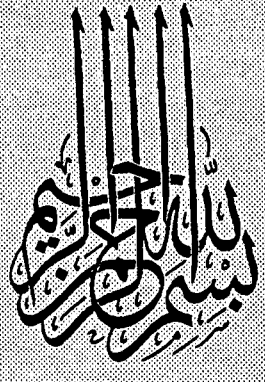


قامت الطالبة بعمل التصويبات المطلوبة

تفويض أعضاء لجنة المناقشة

المترق  
د. عبد الحميد الأمين



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية الدعوة وأصول الدين  
قسم الكتاب والسنة

د. عبد الحميد الأمين  
د. عبد الحميد الأمين

# دوافع السلوك الإنساني وضوابطه العملية في ضوء الكتاب والسنة

٢٧

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



اعداد الطالبة  
جوهرة صالح الظبيبان

اشراف الدكتور  
عبد الحميد الأمين

الجزء الأول  
عام ١٤١٠ هـ



٣٠١٠٢٠٠٠٠٢٣٦٤

# الشكر والتقدير

## \*\*\* شـكـر و تـقـديـر \*\*\*

\*\*\*\*\*

الحمد لله الاول والاخر والظاهر والباطن الذى سير الكون بحكمته  
وسخره بقدرته وخلق الخلق ليكونوا خلفاء فى الارض وجعل فيها  
عوامل الاستخلاف ( لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ) (١) وزين الارض فى  
النفوس لكى تكون دافعا للسلوك . فالحمد لله الذى سخر لنا هذا  
وما كنا له مقرنين .

وبعد الحمد لله المنان كثير الشكر والاحسان اتوجه بالشكر الجزيل  
لمن له الفضل بعد الله بمساعدتى ومديد العون لى والدى الكريمين  
اللذين اخذا بيدي لكى اصل الى بعض ما رسما لمنهجى وسلوكى . وكما  
اتقدم بالشكر الجزيل لزوجى الذى لم يدخر وسعا فى محاولة تهيئة  
ما امكنه تهيئته لاتمام رسالتى والاخذ بيدي . كما اتقدم بجزيل  
الشكر للدكتور الفاضل المشرف على هذه الرسالة الدكتور عبد  
الحميد الامين الذى لم يدخر جهدا فى سبيل مساعدتى بفهمه العميق  
وعلمه الكثير مما كان له اكبر الاثر فى تفهمى لاغوار هذه الرسالة  
ولوقوفى على ابعادها . واخيرا اتقدم بالشكر الجزيل لكل من مدنى  
بمساعده كمن سهل لى الحصول على كتاب وشجعنى بكل ما يستطيع ولله  
الحمد من قبل وله الفضل فى الاخرة والاولى واتمنى ان اخدم فى  
رسالتى هذه الاسلام والمسلمين وان تكون خالصة لوجهه لا ارجو من  
ورائها الا رضى الله وان توافق ما رسم لها من مطابقة العقيدة وان  
تخلو من كل زيغ او ضلالة .

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد بن عبد الله عليه افضل  
الصلاة واتم التسليم .

---

(١) سورة نوح آيه ( ٢٠ ) .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرسالة ( دوافع السلوك الانساني وضوابطه العملية فى ضوء الكتاب  
والسنة ) وتشتمل على ثلاثة ابواب .

### الباب الاول :

باب الدوافع ويكون فى ثلاثة فصول .

تعريف الدافع - اقسام الدوافع - موقف الكتاب والسنة من الدوافع .  
الباب الثانى :

باب ضوابط السلوك النفسية ويشتمل على عشرة فصول :-

( الاستقامة - تحسين ما حسنه الشرع وتقبيح ما قبحه الشرع -  
الاقترداء بالانبياء والذين معهم - النهى عن البدع - مراقبة  
الله - امتلاك زمام النفس ونهيتها عن الهوى - الرغبة فى الجنة  
وما فيها والرغبة من النار وما فيها - الحب فى الله والبغض  
فى الله - احترام الآداب العامة فى المجتمع المسلم - حذار  
المسلم ان يكون مفتاحا للشر . )

### الباب الثالث :

باب الضوابط العملية : ويشتمل على خمسة فصول :-

آداء العبادات على وجهها - الامر بالمعروف والنهى عن المنكر  
- النصيحة - صحبة الاخيار ومفارقة الاشرار - العقوبات الزاجرة

ثم الخاتمة وهى خلاصة البحث وفيه يتضح موقف القرآن الكريم من الدوافع  
واثر الضوابط النفسية والعملية فى تهذيب لسلوك الانسان .

عميد الكلية

المشرف

الطالبة

د. على بن نفيح العليانى

د. عبد الحميد الامين

جوهره صالح الطيبان



(ب)

## المقدمة :

---

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وبعد  
فقد .

دفعنى الى اختيار هذا الموضوع ( دوافع السلوك الانسانى وضوابطه  
العملية فى ضوء الكتاب والسنة ) الرغبة فى ابراز الدوافع لدى  
علماء المسلمين وموقف الاسلام والمسلمين من الدوافع وكيف هذبها  
ووجهها التوجيه الصحيح للسلوك فلا قمع للدوافع بل تهذيب لها بما  
يتفق ومقتضى الاستخلاف وتوجيه صحيح للناشئة لكى ينشأ هذا الجيل  
المسلم على نمط ذلك النموذج الفذ من الرعيل الاول الذى تخرج من  
مدرسة محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة واتم السلام المعلم  
القدوة الذى يأتى به من بعده .

## أهمية اختيار الموضوع :

---

ومما يبرز لنا أهمية هذا الموضوع أن الدوافع هى المحركات لدى  
الكائن البشرى ولكل مجتمع دوافعه وميوله وغرائزه وحسب قوة  
الدوافع وحسب توجيهها يمكن أن نرسم منهاجاً لآخلاق المجتمعات ومدى  
ترفعها عن الرذائل وعدم انهماكها انهماكاً بهيماً وراء الدوافع  
واغرائها أو انحدارها خلقياً وسلوكياً وسيرها وراء شهواتها بما  
يكون لنا صورة كاملة لخلق المجتمع، ومنهجه الذى يسير عليه فيضبط  
مشاعره النفسية ويلتزم بالاستقامة على منهج الله عز وجل فلا يجنح  
بهواه بل يلتزم ازاء هذا الامر منهج الله عز وجل فلا يتبع الحسن  
والقبح لمجرد كون الفعل حسناً أو قبيحاً بل يجعل فوق ذلك أمر الله  
له ونهييه عنه ليلتمس بهذا الحسن والقبح للفعل ولذا يكون قدوته  
فى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يبتدع ولا يتبع الهوى بل  
يراقب الله فى كل سكناته وحركاته ويجعل أمام ناظره الدافع للسلوك  
وهو الذى يتسابق المؤمنون من أجله ألا وهو الجنة فيضبط نفسه عن  
الوقوع فى المعاصى المؤديه الى النار . ويكون حب رسول الله صلى

(ج)

عليه وسلم وصحابته دافعا للترقى فى درجات الخير والوصول الى اعلى درجات رضوان الله عز وجل وكذا فيحذر المؤمن من أن يكون سببا للشر ويجتنبه ويجتنب كل ما يؤدى اليه فتكون النتيجة الحتميه لانضباط النفس انضباط السلوك العملى فيكون اداء العباده على وجهها المشروع ويظهر فى المجتمع التناصح والتحاب والتواصى بالخير والتناهى عن الشر واقامه حدود الله عز وجل عند جنوح الجانحين بما يردع من دوافع العدوان عند الانسان فيقضى عليها وبهذا يظهر لنا اهميه هذا الموضوع وسبب اختياره ودوره التربوى فى ضبط السلوك .

(د)

وقد قسمت هذه الرسالة الى ثلاثة ابواب :-

## الباب الاول :

---

يكون فى الدوافع .وينقسم الى ثلاثة مباحث

الاول :

المبحث تتبع لمعنى دفع فى اللغة والقرآن والسنة وعلم النفس وعلم

الاجتماع

المبحث الثانى :

اقسام الدوافع

المبحث الثالث : موقف الكتاب و السنة من الدوافع

## الباب الثانى :-

---

فى الضوابط النفسيه للسلوك وينقسم الى عشرة فصول :-

١ - الاستقامه

٢ - تحسين ما حسنه الشرع وتقبيح ما قبحه الشرع .

٣ - الاقتداء بالنبيين و الذين معهم .

٤ - اجتناب البدعه .

٥ - مراقبه الله عز وجل .

٦ - امتلاك زمام النفس ونهيها عن الهوى .

٧ - الرغبه فى الجنه وما فيها و الرهبه من النار وما فيها .

٨ - الحب فى اله و البغض فى الله .

٩ - احترام الآداب العامه .

١٠ - لا يكون المسلم مفتاحا للشر .

## الباب الثالث :-

---

الضوابط العملية ويشتمل على خمسة فصول :-

- ١ - أداء العبادات على وجهها .
- ٢ - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٣ - النصيحة .
- ٤ - صحبة الاخيار ومفارقة الاشرار .
- ٥ - العقوبات الزاجرة .

# الباب الأول

## الدوافع

وهو في ثلاثة فصول  
الفصل الأول : تتبع لفظة دفع في اللغة وفي الكتاب والسنة  
ولدى علماء النفس وعلماء الاجتماع

الفصل الثاني : أقسام الدوافع

الفصل الثالث : موقف الكتاب والسنة من الدوافع

# الباب الأول

## باب الحوافم



## الفصل الأول

تتبع لفظ د فم فم اللغة والقرآن  
والسنة وعلم النفس والاجتماع

## الباب الاول " باب الدوافع "

يقتضى منهج البحث ان نبحث عن مادة دفع فى المعاجم اللغوية وفى القرآن الكريم . وفى الحديث النبوى ثم فى كتب علم النفس وعلم الاجتماع .

ومن الملاحظ ان كلمة دافع فى المعاجم اللغوية لم ترد بالمعنى الذى عند علماء النفس ولذلك سأشير الى تعريف الدافع فى اللغة وابين معنى اشتقاق كلمة دافع .

### \*\* الفصل الاول \*\*

\*\*\*\*\*

تتبع لفظ دفع فى اللغة ومن القرآن الكريم وفى السنة المطهرة ولدى علماء النفس وعلماء الاجتماع .  
اولا الدافع فى اللغة :-

لقد وردت كلمة دافع فى المعاجم اللغوية بعدة معان :-

المعنى الاول : بمعنى العطاء :

دفعه - ودفع اليه شيئا أى أعطاه .

المعنى الثانى : بمعنى ازالة الضرر :

دفع عنه الاذى والشر أى ازال الضرر .

المعنى الثالث : بمعنى الازالة :-

ودفاعا بالفتح ومدفعا كمطلب أى ازالة بقوة .

قال تعالى : ( وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ ) ( ١ ) ومن كلامهم ادفع الشر

ولو اصبعا حكاة سيبويه وشاهده ، قول متمم (١) يرثى اخاه مالكا (٢)

فقصرك انى قد شهدت فلم اجد

بكفى عنه للمنية مدفعا

اى مزيلا ومانعا (٣)

(١) متمم بن نويرة التميمى :- كان متمم شاعرا قال الطبرى مالك بن

نويرة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقه بن يربوع

وكان قد آسلم هو واخوه متمم . قال ابوعمر قام مالك فقتله

خالد بن الوليد واختلف كثير من الصحابة وغيرهم فيه هل قتل

مرتدا او مسلما . واما متمم فلم يختلف فى اسلامه وكان شاعرا

محسنا لم يقل احد مثل شعره فى المراثى التى رثى بها اخاه

مالكا . الاستيعاب ج ٤ ص ١٤٥٥ - ١٤٥٦ . . اسد الغابة : ج ٤ ص ٢٨٢ .

(٢) مالك بن نويرة : بن شداد بن عبيد بن ثعلبيه بن يربوع التميمى

اليربوعى اخو متمم بن نويرة .

قدم على النبى صلى الله عليه وسلم واستعمله رسول الله على

جمع صدقات بنى تميم فلما توفى رسول الله وارتد العرب وظهرت

سجاح ( تميمه من بنى يربوع واخوالها من تغلب فلما تراخى

اليها وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ادعت النبوة وقدمت الى

قومها من تميم تريد أن تغزو المدينة وان تقاتل ابا بكر (

صالحها الا انه لم تظهر عنه رده . اسد الغابة : ج ٤ ص ٢٧٧ .

(٣) تاج العروس ج ٥ ص ٣٢٦ . وانظر ايضا القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢

المعنى الرابع : بمعنى الامانة :

قال صاحب البصائر :

الدفع اذا عدى بالى اقتضى معنى الامانة (١) كقوله تعالى ( فَاِذَا  
دَفَعْتُمْ اِلَيْهِمْ اَمْوَالَهُمْ ) (٢) .

المعنى الخامس : بمعنى الحماية :

قال الله تعالى : ( لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ) (٣) اى حام (٤)

المعنى السادس : بمعنى الافاضة والسرعة :

اندفع فى الحديث اى افاض . والفرس اسرع فى سيره .

المعنى السابع : بمعنى الدعاء :

ومنه قولهم واستدفع الله الاسواء طلب منه ان يدفعها عنه

بمعنى الدعاء ( ٥ )

المعنى الثامن : دافع بمعنى الشاة كثيرة اللبن :

قال صاحب تاج العروس : شاة او ناقة دافع ودافعة ومدفع

تدفع اللبن على راسي ولدها لكثرتة وانما يكثر اللبن فى ضرعها حين

تريد ان تضع (٦) .

المعنى التاسع : دافع بمعنى الولع :

يقال دافع الرجل امر كذا اذا اولع به وانهمك فيه (٧)

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين محمد

بن يعقوب الفيروز ابادى دار الباز للنشر من المكتبة العلمية

ج ٢ ص ٦٠٣ .

(٢) سورة النساء آية (٦) .

(٣) سورة المعارج آية (٢) .

(٤) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢ . وانظر ايضا البصائر ج ٢ ص ٦٠٣ .

(٥) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢ .

(٦) تاج العروس ج ٥ ص ٣٢٩ .

(٧) لسان العرب ج ١ ص ٤٤١ .

المعنى العاشر : بمعنى الرد :

يقال دفع القول رده بالحجة وفلانا الى كذا أى أضره (١)  
وبهذا يظهر أن أهل اللغة لم يستعملوا الدافع بالمعنى الذى  
يستخدمه علماء النفس .

ثانيا : ورود كلمة دفع فى القرآن الكريم :-

لقد وردت كلمة ( دافع ) ( وادفع ) ( ودفع ) فى القرآن الكريم  
بعده معان . من البحث وجد ان كلمة دافع استخدمت فى القرآن بمعنى  
مثير فى موضعين اثنين وهى فى قوله تعالى ( ادفع بالتي هى احسن )  
وفى قوله تعالى : ( ادفع بالتي هى احسن السيئة ) .  
ولذا سأشير هنا الى معنى الآيات التى وردت بها كلمة دافع فى  
القرآن الكريم واشتقاقها .

قال تعالى فى سورة البقرة : ( وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ  
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ) (٢)

قال المفسرون فى معنى الآية :-

الدفع بمعنى الرد والمنع وهذا قول ابن جرير حيث قال : أى يرد  
عنهم معالجتهم بالعقوبة على كفرهم ونفاقهم بايمان المؤمنين به  
وبرسوله . (٣)

وقال صاحب البيان :-

المراد صرفهم عما هم عليه بما قدر الله من القتل وغيره .  
ودفع الله الناس بعضهم ببعض على وجهين :-

(١) المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٨٩ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٥١) .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جرير الطبرى ج ٢ ص ٤٠٤ .

الوجه الأول : دفع ظاهر : وهو ما كان بالسواس الاربعة (الانبياء - الملوك - الحكماء - الوعاظ ) .

فسلطان الانبياء عليهم السلام على الكافة خاصهم وعامهم وظاهرهم وباطنهم .

وسلطان الملوك على ظواهر الكافة دون البواطن كما قيل نحن ملوك ابدانهم لا ملوك اديانهم .

وسلطان الحكماء على الخاصة دون العامة .

وسلطان الوعاظ بواطن العوام .

الوجه الثانى : الدافع الخفى فسلطان العقل يدفع من كثير من

القبائح وهو السبب فى التزام سلطان الظاهر (١)

وقيل ان دفع بمعنى الرد : وذلك ان الله يردهم عما هم عليه بما قدره الله تعالى من القتل (٢)

وقيل ( وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ ) أى لولا ان الله يسلط جماعة على جماعة لفسدت الارض وعمت الفوضى (٣)

وقيل بمعنى الكف :

( وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ ) يقال دفعته دفعا ودفاعا مصدر والمعنى على

المنع ودفاع من دافع فالمعنى ( انما يكف الظلمة والعصاة عن ظلم المؤمنين ) ( ٤ ) .

(١) روح البيان للشيخ اسماعيل حقى البرسوى ج٢ ص ٣٩٢ . وانظر

ايضا هامش تفسير جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير

الطبرى ج٢ ص ٤٠٣ .

(٢) روح المعانى للالوسى ج٢ ص ١٥٠ .

(٣) التفسير الواضح ج٢ ص ٨٣ .

(٤) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج٦ ص ١٩١ . وانظر ايضا -

هامش تفسير الطبرى ج٢ ص ٤٠٣ .



ويرى صاحب الظلال فى معنى الدفع أن تعارض المصالح فطرة فى النفس البشرية ولذا قال **الجهني** : ( لولا ان فى فطرتهم التى فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة لتنتقل الطاقات كلما تتزاحم وتتغالب وتتدافع (١) .

فنجده هنا جعل تعارض المصالح دوافع لانطلاق الطاقات .

ولذا قال الجوهري : أن المراد بالآية الجمعية العامة وذلك لاشتراك الناس فى المصالح " فالإنسان محتاج لغيره فلا يقدر على القيام بشؤونها فلا بد من الجمعية العامة " (٢)  
الآية الثانية :-

وقد جاء معنى ادفعوا فى القرآن الكريم أى كثروا السواد .  
قال الله تعالى ( وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ  
ادْفَعُوا ) (٣) .

وقيل فى معنى الآية ادفعوا . اقمعوا - وقيل رابطوا وقيل ادفعوا  
استدعاء إلى القتال حمية . (٤) .

وقيل بمعنى المنع (٥) - وقيل بمعنى الدعاء (٦) .  
الآية الثالثة :

قال تعالى ( فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ) (٧)

(١) فى ظلال القرآن : سيد قطب ج ١ ص : ٢٧ .

(٢) تفسير الجواهر - طنطاوى ج ١ ص : ٢٣ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٧ .

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٤ ص ٢٦٦ .

(٥) فتح القدير ج ١ ص ٣٩٦ .

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٤٢٥ .

(٧) سورة النساء آية ٦ .

وقال الله تعالى : ( فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى  
بِاللَّهِ حَسِيبًا ) (١)

قال ابن كثير: (أى سلموا اليهم اموالهم ) (٢)  
الآية الرابعة :-

قال الله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ) (٣) .  
المراد هنا النصره لهم ورد اعدائهم . (٤)  
الآية الخامسة :-

استخدم القرآن معنى الدفع هنا على انه مثير حيث قال الله  
تعالى : ( إِدْفَعْ بِاللَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ) (٥)  
قال ابن جرير فى تفسيره :

ادفع يا محمد التى هى احسن وذلك الاغضاء والصفح عن جهلة  
المشركين والصبر على اذاهم (٦) ليستجيب خاطرهم فتعود عداوتهم  
صداقة وبغضهم محبة (٧) .

(١) سورة النساء آية (٦) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٥٣ . وانظر صفوة التفاسير ج ١  
ص ٢٦ .

(٣) سورة الحج آية ٣٨ .

(٤) التفسير الكبير ( مفاتيح الغيب ) ج ٦ ص ٣٧٢ , وانظر ايضا  
التفسير الفريد للقرآن المجيد ص ٢٠٤٨ .

(٥) سورة المؤمنون آية ٩٦ .

(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن ابن جرير الطبرى ج ١٨ ص ٣٩ .

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٢٥٤ وانظر ايضا الجامع

لاحكام القرآن ج ١٢ ص ١٤٧ وتفسير روح المعانى للالوسى ج ١٨

ص ٦١ وفتح القدير للشوكانى ج ٣ ص ٤٩ .

فهى دعوة الى مكارم الأخلاق والباعث على ذلك هو أن دفع الاساءة  
بالاحسان عمل على اشارة دافع المحبة والصحة بعد ذلك . فتعود  
العداوة محبة .

ولذا قال الله تعالى مبينا هذا الجانب فى سورة فصلت ( ادفع  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ) (١)  
اى قابل الاسائة بالصفح (٢) لمن اساء اليك بالاحسان اليه (٣)  
ومن هذا نستنتج ان الاحسان مثير لعمل الخير ولتغيير السلوك فهو  
دعوة اسلامية لمكارم الاخلاق لما لها من الاثر الحسن على السلوك .  
الآية السادسة :-

ورد كلمة دافع فى القرآن الكريم بمعنى راد وفى ذلك يقول الله  
تعالى : ( إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ) (٤)  
والمراد ما له من دافع اى عذاب ربك محيط بهم يوم القيامة فلا  
دافع له اى مانع وقيل ما له من دافع اى من يرده . (٥) .  
ورد كلمة دفع فى الحديث النبوى :-

وفى الحديث الشريف ورد لفظ دافع ودفع ومن تتبع بعض الاحاديث  
وجد ان لفظ دفع قد استخدمت بعده معان ومنها أنه مثير .

- (١) سورة فصلت آية : ٣٤ .
- (٢) التفسير الفريد للقرآن المجيد ص ٢١٣٤ .
- (٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ١٠ .
- (٤) سورة الطور آية : ٨ .
- (٥) تفسير المراغى ج ٢٧ ص ١٩ . وانظر ايضا تفسير القرآن العظيم  
لابن كثير ج ٤ ص ٢٤٠ وفتح القدير ج ٩٤ ، وصفوة التفاسير ج ٣  
ص ٢٦٢ وانظر ايضا الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ١٧ ص ٦٢ .

دفع بمعنى اعطاه :-

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه (١) ( أَنْ رَجُلًا أَعْتَقَ غُلَامًا لَهُ  
مَنْ دُبِّرَ (٢) فَأَحْتَاَجَ فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ  
مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟ فَاشْتَرَاهُ نَعِيمٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِكَذَا فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ) (٣)

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن سلمة الانصارى  
السلمى يكنى ابا عبد الله و ابا عبد الرحمن و ابا محمد احد  
المكثريين عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن جماعه من  
الصحابه وله و لاتبه صحبه .

قال جابر لم اشهد بدرا ولا احدا منعنى ابى فلما قتل لم اتخلف  
عن هشام بن عروة قال كان لجابر بن عبد الله حلقة فى المسجد  
يعنى النبوى يؤخذ عنه العلم قال يحيى بن بكير وغيره مات جابر  
سنة ثمان وسبعين وقال على من المديني مات جابر بعد ابن عمر  
فأوصى ان لا يلقى عليه الحجاج .

الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٥ .

(٢) المدبر : الذى يصير حرا بعد وفاة مالكة ج ٤ ص ٣٥٤ فتح  
البارى .

(٣) اخرجه البخارى كتاب البيوع باب بيع المزايده ، ج ٣ ص ٩١ .



٢٢٦٤

عن عروة بن الزبير (١) ان عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت ( واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بنى الدبيل هادياً خريئاً (٢) وهو على دين كفار قريش فدفعنا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صبح ثلاث ) (٣)

قوله فدفعنا اليه راحلتيهما : اى بتسليمه راحلتيهما منهما (٤)

الحديث الثالث :-

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه دفع مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبى صلى الله عليه وسلم وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال أيها الناس عليكم

(١) عروة بن الزبير : بن العوام بن خويلد ابو عبد الله المدنى وامه اسماء بنت ابى بكر وخالته عائشة رضى الله عنها . ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من اهل المدينة وقال كان ثقة كثير الحديث فقيها عالما ثبتا مأمونا وقال العجلي مدنى تابعى ثقة وكان رجلاً صالحاً وكان يدخل فى شيء من الفتن وعده ابو الزناد فى فقهاء المدينة السبعة وكان اعلم الناس بحديث عائشة رضى الله عنها .

ولد لست خلون من خلفه عثمان رضى الله عنه وقال المدينى مات سنة احدى او اثنتين وتسعين وقيل غير ذلك .

تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٨٣ .

(٢) الخريت : الماهر بالهداية ، فتح البارى ج ٤ ص ٤٤٣ .

(٣) اخرجه البخارى كتاب الاجاره ج ٣ ص ١١٦ باب اذا استأجر اجيراً ليعمل له بعد ثلاثة ايام او بعد شهر او بعد سنة جازوما على شرطهما الذى اشترطاه اذا جاء الاجل .

(٤) فتح البارى ج ٤ ص ٤٤٣ .

بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ دَفْعَ بِمَعْنَى أَفَاضَ وَاسْرَعَ .  
الحديث الرابع :-

عن عطاء بن يسار (١) قال : لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ : أَخْبَرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ قَالَ : أَجَلَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ  
صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا  
وَحِرْزًا لِلْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيَّتْكَ الْمَتَوَكَّلُ لَيْسَ بِفِظٍ وَلَا غَلِيظٍ  
وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ  
يُقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى تُقِيمَ بِهِ أُمَّةٌ الْعَوْجَاءَ بِيَأْنَ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَأَذَانًا صَمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا (٢) .

فهنا وردت لفظة دفع بمعنى انها مثير على فعل الخير فلا يدفع  
السيئة بالسيئة بل بالحسنة وهذا خلقه صلى الله عليه وسلم .  
رابعا معنى الدافع لدى علماء النفس :-

لقد وردت عدة تعريفات للدافع لدى علماء النفس سأستعرضها  
لنخرج من مجموعها الى تعريفي يجمع هذه التعريفات :-

(١) عطاء ابن يسار : الهلالي ابو محمد القاضي مولى ميمونة زوج  
النبي صلى الله عليه وسلم . وهو اخو سليمان وعبد الملك وعبد  
الله بن يسار . قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث روى الواقدي  
انه مات بعد ثلاث او اربع ومائة وقيل (٩٤) . وقيل غير ذلك  
وذكره ابن حبان في الثقات وقال قدم الشام وكان اهل الشام  
يكنونه بابي عبد الله وقدم مصر وكانوا يكنونه بابي يسار وكان  
صاحب قصص وعبادة وفضل وكان مولده سنة (١٩) ومات سنة (١٠٣)  
وكان موته بالاسكندرية .

تهذيب التهذيب ج٧ ص٢١٧ وانظر ايضا تذكرة الحفاظ ج١ ص٩٠ .  
(٢) أخرجه البخارى كتاب البيوع .باب كراهية السخب فى الاسواق ج٣ ص٨٧



## التعريف الأول للدوافع :-

---

فالدافع هو الذى يحرك الانسان بمثير ذاتى داخلى او خارجى ليقوم بنوع معين من السلوك مدة محدودة حتى اذا تم اشباع الحاجة الدافعة زال التوتر النفسى وعاد الدافع الى مرحلة ( الكمون ) الى اجل يستأنف بعده الدافع توتره الجديد سعيا وراء اشباع جديد وهكذا تتكرر المحاولة ما دام الانسان حيا .

فالدوافع هى اساس الحياة النفسية للانسان وومصدرها والدافع فى ابسط مفاهيمه ( طاقة جسمية نفسية كامنة على شكل استعداد يدفعنا نحو سلوك معين يهدف الى غاية مثل دافع الجوع والظما لتناول الطعام والماء ودوافع الجنس نحو لقاء الجنس الآخر ودافع الخوف لطلب الانسان وغيرها ) . (١) .

## التعريف الثانى :

---

( الدوافع هى الطاقات التى ترسم للكائن الحى اهدافه وغاياته لتحقيق التوازن الداخلى او تهيء له احسن تكيف ممكن من البيئة الخارجية ) (٢) .

التعريف الثالث :

( الدوافع هى المحاور التى تدور حولها عملية اعادة تنظيم النشاط تنظيما جديدا .

وهى ايضا عوامل التغيير اذ انها تكسب العادات القديمة اتجاهات جديدة وتغير من صفاتها ) (٣) .

---

(١) لمحات نفسية فى القرآن الكريم للهاشمى ص ١٠٢ .

(٢) علم النفس التربوى ص ٧٢ تأليف د. محمد مصطفى زيدان ، د. نبيل السمالوطى - دار الشروق جدة .

(٣) الطبيعة البشرية والسلوك الانسانى - جون ديوى - ص ١١٦ .

### التعريف الرابع :

---

( حب الحياة والاستمتاع بها هو الدافع الاكبر فى الكيان البشرى  
والمحرك الاكبر لما يصدر عنه من نشاط ) (١)

### التعريف الخامس :

---

الدافع هو كل ما يدفع الفرد انسانا كان ام حيوانا الى  
التماس اهداف طبيعية موروثه اى مقررة من قبل فى فطرته مغروزة فى  
جهازه العصبى لذا تسمى الدوافع الفطرية بالغرائز) . (٢)

ومن التعريف يبدو شمول الدافع لدى الانسان والحيوان .

ثم ان الدافع هو الذى يدفع الانسان الى الوصول الى اهدافه

الفطرية اذن هو يفرق بين الهدف والدافع فالدافع غير فطرى وهو

المحرك لاكتساب امور واهداف فطرية ملموسة بين الانسان والحيوان .

### التعريف السادس :

---

الدافع الفطرى بوجه عام قدوة كان ام سلوكا ام دافعا هو ما  
ينتقل عن طريق الوراثة فلا يحتاج الى تعلمه واكتسابه والدافع  
الفطرى فى صورته النقية وبمعناه الدقيق عند الانسان على الاقل هو  
ما كانت مثيراته فطرية وهدفه فطريا (٣) .

وفى هذا التعريف نرى ان الدافع امر فطرى ونلمس ايضا من

التعريف لفظ مثير كانه اراد به ( دافع ويرى ايضا ان الهدف لا بد

وان يكون فطريا ايضا .

---

(١) دراسات فى النفس الانسانية - محمد قطب - ص ١٦٤ .

(٢) علم النفس العام - أحمد عزت - ص ٨٥ .

(٣) نفس المصدر - ص ٥٨ .

## التعريف السابع :

( يرى فرويد (١) ان الدوافع ( تمثيل ميلا فى المادة الحية الى استرجاع حالة سابقة ) وهو يسلم بانها كمية من الطاقة متحركة فى اتجاه معين ) (٢) .

وعلى هذا فالدافع امر مشترك بين الانسان والحيوان لقوة المادة الحية - اى الكائن الحى .

وهى يرى ان الدافع قوة فى الغرائز لاستعادة نشاطها السابق . ثم هو يربط بين الجانب النفسى والمنبهات والمثيرات فيبرز الدافع من المجال النفسى الى الكائن العضوى .

(١) فرويد : سيجموند فرويد : وقد ولد فى فرايبورج بمورفيا عام ١٨٥٦ ولما بلغ الثالثة من عمره انتقل والداه الفقيران الى فينا وهناك تدرج فى تعليمه الى ان اتم دراسة الطب وقد عمل فى مجال الامراض العصبية ولكنه بعد زيارة قام بها لعيادة الطب النفسى يشاركوت فى بارييس " قرر ان يهجر دراسة المخ ويبحث فى خفايا العقل بدلا منه . ونتيجة لهذا التحول امضى فرويد باقى حياته المهنية وهو يحاول تطوير ما نعرفه اليوم باسم التحليل النفسى .

وبعد ان تعرض فرويد للاضطهاد هجر فينا فى عام ١٩٣٨ وقصد الى لندن حيث توفى بها فى العام التالى .

المعرفة ج ٧ ص ١١٦٧ .

اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة . د. محمد فؤاد ابراهيم  
د . حسين فوزى . د . سعاد ماهر . د. محمد جمال الدين الفندى

انتاج ١٩٧٩ شركة انماء للنشر والتسويق بنزرت مطبعة داغر

(٢) كتاب التحليل النفسى والسلوك الجماعى - ترجمة سامى محمود على

- تأليف سول شيد لتجر - ص ٢٣ .

( ولهذا فهو يرى أن الغريزة (١) تعبر عن قوة نفسية راسخة تصدر من صميم الكائن العضوى وتتبع اصلا من حاجات البدن التى تاتى عما يجرى فى اعضاء الجسم واجزائه بما فيه كله من عمليات بيولوجيه لا يستغنى عنها الكائن الحى ) (٢) .

التعريف الثامن :

---

الدافع هو قوى فطرية أودعها الله فى جسم الانسان فتسوقه بحركة داخلية ذاتيه الى المحافظة على بقاءه وبقاء سلالته فهى نزعات للفطرة ومردها الى ثلاث نزعات :

النزعة الى طلب الطعام والشراب - النزعة الى قضاء الوطر - النزعة الذاتية . (٣)

التعريف التاسع :

---

الغريزة هى عبارة عن استعداد فطرى لا يحتاج الى تعلم يدفع الكائن الحى الى القيام بسلوك خاص فى موقف معين (٤) ويرى الكاتب ان الغريزة يثيرها منبه خارجى يؤدى بها الى الظهور بعد الكمون وان هذه الغرائز موجودة فى الانسان منذ المولد

---

(١) ومن الملاحظ ان الدافع بمعنى الغريزة . فالبعض يسميها غرائز والبعض الاخر دوافع .

(٢) علم النفس اصوله وتطبيقاته التربوية د . مصطفى فهمى من ص ١ : ٧٠ بتصرف .

(٣) الخلق الكامل - محمد جاد المولى - ص ٣٤ - ص ٣٥ ج ١ مؤسسة الرسالة دار قتيبه .

(٤) علم النفس اصوله وتطبيقاته - مصطفى فهمى - مرجع سابق - ص ٩

## التعريف العاشر :

ونرى هذا التعريف مطابقا لما جاء فى كتاب اسس الصحة النفسية حيث يقول القوصى :

الغرائز عند الانسان هى ما لديه من استعدادات فطرية تدفعه للقيام بسلوك خاص اذا ما ادرك نفسه فى موقف او مجال معين (١)

فاذن فالمواقف الخارجية هى التى تحرك فى الانسان الشعور الدفين فى الغرائز .

التعريف الحادى عشر :

ويرى مكد وجل (٢) ان الغريزة هى استعداد نفسى فطرى يجعل صاحبه يدرك مثيرا معيننا ويعانى خبرة انفعالية خاصة عند ادراك هذا الممثير او يسلك نحوه مسلكا خاصا او على الاقل يحس بنزعه نحو هذا السلوك (٣)

اذن فالغريزة فى نظر مكد وجل قوى فطرية تتحرك على اثر منبه خارجى تؤدى به الى ميل نحو تحقيق غريزة وهدف فطرى فى مجال معين وهذه الغريزة لا يكتسبها الفرد من بيئته وانما هى توجد فيه بالفطرة .

(١) اسس الصحة النفسية - د. عبد العزيز القوصى ص ٦٩ - مكتبة النهضة المصرية .

(٢) مكد وجل : هو وليم مكد وجل ولد عام ١٨٧١ وتوفى عام ١٩٣٨ م وهو عالم اسكتلندى فى علم النفس النزوعى فهو من انصار المدرسة الغرضية ويطلق هذا الاسم على كل مدرسة او مذهب ينكر ان السلوك يمكن تفسيره كاملا على اسس ميكانيكية .

اصول علم النفس / احمد عزت راجح ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) علم النفس اصوله وتطبيقاته التربوية " مرجع سابق " ص ٨ بتصرف .

## التعريف الثانى عشر :

( الدوافع هى القوى المحركة التى تبعث النشاط فى الكائن الحى وتبدىء السلوك وتوجيهه نحو هدف او اهداف معينة .  
والدوافع تؤدى وظائف ضرورية وهامة للكائن الحى فهى التى تدفعه الى القيام باشباع حاجاته الاساسية الضرورية لحياته وبقائه كما تدفعه الى القيام بكثير من الافعال الأخرى الهامة والمفيدة له فى توافقه مع البيئة التى يعيش فيها ) ( ١ ) .  
وبهذا العرض لمعنى الدافع لدى علماء النفس يتضح لنا ما يلى  
١ - ان الدوافع الفطرية أمر مشترك وعام بين الانسان والحيوان  
٢ - يرى بعض العلماء انها تظهر بصورة تلقائية بينما يرى البعض الأخر انه لا بد من مثير لكى تظهر هذه الدوافع .  
٣ - على ان العلماء يرون ان هذا المثير لا بد وأن يكون داخليا بينما يرى البعض الأخر انه قد يكون خارجيا .  
٤ - واهم ما يتفق عليه العلماء ان الدافع لا بد وأن يكون موجودا فى النفس منذ الميلاد أى قبل أن يستفيد الانسان من الحياة .  
٥ - وهذا يتفق مع ما جاء فى الحديث عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ**  ( ٢ )  
فهذا يدل على ان الاسلام قد أوضح ان هناك دوافع اولية تولد مع الانسان وهى المسماة الفطرية ودوافع مكتسبة يكتسبها من البيئة

- (١) القرآن وعلم النفس - د. محمد عثمان نجاتي - ط١ ص ٢٣ .  
(٢) أخرجه البخارى واللفظ له كتاب الجنائز باب اذا اسلم الصبى فمات هل يصلى عليه ج ٢ ص ١١٨ وكتاب القدر باب الله اعلم بما كانوا عاملين ج ٨ ص ١٥٣ وأخرجه مسلم كتاب القدر باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ج ١٦ ص ٢٠٧ بشرح النووى وأخرجه احمد ج ٢ فى ٣١٥ - ٣٤٦ .



المحيطة به ولذا قال يهودانها أو ينصرانه أو يمجانه .

ويمكن أن نقول أن الدوافع بشكل عام :

تكون نتيجة لكوا من فى النفس تتحرك لتحقيقها فالعقل يوجه الى تنظيمها وفق ضوابط استقرت فى النفس على أساس متين من المثل والقيم . فاذا استجاب الدافع لتوجيه العقل كان الفعل القائم نتيجة للواقع مثاليا واذا لم يستجب لتوجيه العقل كان العقل شاذا بهيميا لذا وجدنا أن الاسلام لم يفرق بين العقل والفطرة السليمة لان العقل لا يخالف الفطرة السليمة وكذلك الفطرة السليمة لا تخالف العقل الا بمؤثر خارجى ومما يوضح هذا القول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ وَيَنْصَرَانِهِ أَوْ يَمَجْسَانِهِ ، كَمَا تَنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تَحْسُونُ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءِ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ . (١)

فالاصل فى الفطرة السلامة التى تكون فى كوا من النفس البشرية فتتحرك الدوافع وتنضبط بالمؤثرات الخارجية فالايمان ضابط ودافع خارجى فهو ضابط عن الكفر وسائر المعاصى ودافع الى الالتزام بما يحق معناه كامل ليحقق الغرض منه وهو موافقة العقل بما يحقق مرضاة الله التزاما بالمثل والاخلاق .

ونخلص من هذا البحث الى أن الدوافع كلفظ ورد معناه فى اللغة وفى القرآن وفى السنة وفى علم النفس والاجتماع على ما يلى : لقد وردت كلمة دافع فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ونجد أن اللفظة تستخدم عدة استخدامات فتارة تاتى متعدية بالى كما فى

(١) سبق تخريجه ص ٦٨ .

قوله تعالى ( فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ ) (١) أو عن مثل قوله ( إِنَّ اللَّهَ  
يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ) (٢) وتارة متجرده عن الی مثل ( لَوْلَا دَفَعُ  
اللَّهُ ) (٣) . أو ( أَدْفَعُوا ) (٤) - ( دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ) (٥) - ( ادْفَع ) (٦)  
- ( دَافِعٍ ) (٧)

وللعلماء فى تفسير دفع فى الآيات الكريمة معانٍ متقاربة مع  
علماء اللغة ومنه قولهم دفع الله ردهم بقوة سواء بتشريع القتال  
كما ذهب لذلك بعض علماء التفسير أو بغيره وهو مثل قول علماء  
اللغة الدفع الازالة بقوة وقد تاتى بمعنى التكافل الاجتماعى  
والحاجات فقد جعل الله كلا يحتاج الى غيره بجعل المصالح مشتركة  
بينهم . وهى بمعنى الحاجات التى تكون سببا فى تحرك الدافع كما  
يراها علماء النفس .

وقد تاتى بمعنى القوة أو التسلط أو بمعنى الكف والمنع أو  
الرد مثل قوله تعالى : ( ما له من دافع ) و( يدافع ) ( دفع الله )  
أى لا راد له .

وتأتى بمعنى المزاحمة فيقال تزاخم القوم أى تدافعوا ومنه قوله  
تعالى ( أو ادفعوا ) أى كثروا سواد المسلمين بالمزاحمة فالمزاحمة  
تدل على الكثرة وتأتى بمعنى المرابطة .

أما اذا عدى الدفع بالى فيقول علماء التفسير فى قوله : ( دفعتم  
إليهم ) أى سلمتم وهو مذهب علماء اللغة أيضا وذلك ان الدافع اذا  
عدى بالى اقتضى معنى التسليم والأمانة .

- 
- (١) سورة النساء آية : ٦ .  
(٢) سورة الحج آية : ٣٨ .  
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥١ .  
(٤) سورة آل عمران آية : ١٦٧ .  
(٥) سورة النساء آية : ٦ .  
(٦) سورة المؤمنون آية : ٩٦ .  
(٧) سورة الطور آية : ٨ .

أما قوله تعالى : ( ادفع ) فهذا يأتي بمعنى الصرف ازالة الضرر برفق ولين وهكذا .

وفى اللغة معالتي لم ترد فى كتاب الله عن الدافع كأن يكون الدافع سببا وهو المعنى الذى استعمله علماء النفس فى تعريف الدافع . وكذا تاتى بمعنى اولع به وانهمك فيه .

وتستعمل فى الاضداد كأن يقال هذا رجل ( لا يدافع ) فى نسبه اى شريف ( ومدافع ) اى حقير او فقير وهو مجاز ونأتى بمعنى السرعة والطلب . واما علماء النفس فيرون ان الدافع هو المحرك او الطاقة والمحاور التى تكون سببا فى اشارة الرغبات فى الانسان ومن اجل ذلك حبيب الله الينا الدنيا وزينها فى نفوسنا لكى يكون ذلك دافعا لنا من اجل البقاء .

ونستطيع ان نخلص الى القول بأن الدوافع هى :-

الحوافز والمحركات لرغبات الانسان بحيث تثير فيه القوة الكامنة للقيام بعمل ما سواء للبحث عن الطعام او الجنس او الدفاع عن النفس ما أمكن بما يحقق قضية الاستخلاف فى الارض والتى من اجلها انزل ادم الى الارض فقال الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ) (١) .

## الفصل الثامن

### أقسام الدوافع

**\*\* أقسام الدوافع \*\*****\*\*\*\*\***

ويشمل ————— :-

- (١) دوافع فطرية وهى التى يطلق عليها اولية أو دوافع اصلية .  
ودوافع مكتسبة وهى التى يطلق عليها ثانوية أو دوافع فرعية .
- (٢) بيان انواع كل قسم .  
والمقصود بأنواع الدوافع ذكر العدد الذى ذكره كل عالم وذكرته كل مدرسة ومقارنتها ببعضها لانتهاى بوضع العدد المختار الذى يجمعها جميعا .
- (٣) ذكر رأى العلماء فى التقسيم .
- (٤) بيان الفرق بين الدوافع الفطرية - والدوافع المكتسبة .  
اذا نظرنا الى السلوك الانسانى وجدنا أنه مدفوع بدوافع معينة بعضها فطرى وبعضها مكتسب .  
فالانسان يولد وهو مزود ببعض الدوافع الفطرية الاولية اللازمة لحفظ بقاءه مثل دافع التنفس والبحث عن الطعام ودافع الاخراج وغيره .  
( ولكن الانسان يولد فى بيئة اجتماعية يتفاعل معها وتتفاعل معه فتضطره هذه البيئة الاجتماعية الى التعديل من بعض دوافعه الفطرية فضلا عن تكوين بعض العادات الانفعالية التى تكون ما نسميه بالدوافع المكتسبة ) (١)
- اقسام الدوافع :-

تنقسم الدوافع الى قسمين رئيسيين وهى :-

(١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - محمد محمود محمد - ص ١٣٦ .

(١) الدوافع الفسيولوجية وتسمى بالدوافع الأولية :  
وهي الدوافع التي ترتبط بحاجات البدن الفسيولوجية وما يحدث  
فى أنسجة البدن من نقص أو اختلال الاتزان وهي تقوم بتوجيه سلوك  
الفرد الى الاهداف التي تشبع حاجات البدن الفسيولوجية أو تسد  
النقص الذى يطرأ على أنسجة البدن وتعيدها الى حالتها السابقة من  
الاتزان .

( ٢ ) دوافع نفسية :  
وهي الدوافع التي تكتسب بالتعلم اثناء التنشئة الاجتماعية  
للفرد (١) وتسمى بالدوافع المكتسبة أو الثانوية .  
فاذن الدوافع قسمان الفطرية ( الاولى ) - الدوافع المكتسبة  
(الثانوية) (٢) .

### ثانيا : انواع الدوافع :-

لقد قسم العلماء كلا من الدوافع الأولية والدوافع الثانوية الى  
عدة انواع يرجع كل نوع الى خصائصه التي جعلته يكتسب صفته الأولية  
أو الثانوية فعن الدوافع الأولية نجد ان بعض العلماء قسمها الى  
عدة انواع :

#### اولا انواع الدوافع الأولية :-

(١) دوافع تكفل المحافظة على بقاء الفرد - وتسمى بالحاجات  
العضوية أو الفسيولوجية (٣) .

(١) القرآن وعلم النفس - محمد عثمان نجاتي ص ٢٣ "مرجع سابق "  
(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام د . محمد محمود محمد ص ١٣٧  
. وانظر ايضا علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية د. مصطفى  
فهيمى ص ٨٥ .

(٣) علم النفس العام - د. احمد عزت " مرجع سابق " ص ٨٨

وشمل هذا الدافع الجوع ، العطش ، التعب ، الحرارة ، البرودة ، الألم والتنفس (١) والنوم .

(٢) دوافع تكفل المحافظة على بقاء النوع وهى الدافع الجنسي دافع الامومة (٢) وهذان النوعان يتوقف عليهما بقاء النوع . (٣) .

(٣) دوافع الطوارئ : وهى دوافع وثيقة الصلة بالمحافظة على بقاء الفرد وبقاء النوع وهى دافع الهرب ودافع المقاتلة (٤) وهذه الدوافع مدخرة لوقت الحاجة حيث تظهر فى وقت الخوف أو الدفاع عن النفس أو نحوه .

(٤) دوافع تمكن الفرد من التعرف على البيئة وتساعده على اعداد نفسه للحياة كدافع الاستطلاع ودافع اللعب . (٥)

وسأعرض لبعض هذه الدوافع ان شاء الله فى فصل الدوافع وموقف القرآن منها .

## ثانيا : اقسام الدوافع المكتسبة :-

وهى التى تنشأ من اثر محاولة تكيف الانسان مع بيئته .

فيقول الدكتور : احمد عزت راجح ( لا بد وان يعدل الانسان من سلوكه الفطرى بما يتفق ونظم وقوانين وعادات وتقاليد وقيم وعرف ذلك المجتمع الذى يعيشه (٦) .

(١) القرآن وعلم النفس / محمد عثمان نجاتى ص ٢٥٠ . وانظر ايضا

علم النفس العام - احمد عزت ص ٨٨ .

(٢) علم النفس العام / احمد عزت ص ٨٨ .

(٣) القرآن وعلم النفس د. نجاتى ص ٣٤ .

(٤) علم النفس العام - احمد عزت ص ٨٨ .

(٥) نفس المرجع ٨٨. ص

(٦) اصول علم النفس - احمد عزت راجح ص ١٠٩ " بتصرف " .

وهذا القول باطل نظرا لأنه ينبغي للمسلم أن يجعل سلوكه ومنهجه مستخلصا من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وبهذا تنشأ الدوافع المكتسبة .

اذن فالدوافع المكتسبة تنشأ كنتيجة لوجود الفرد فى البيئة التى يعيشها ومحاولته التكيف مع نظمها فيعدل بالتبعية من دوافعه الفطرية وينظمها تنظيما خاصا فتتكون الدوافع المكتسبة الشعورية . وأحيانا يصطدم الفرد بالبيئة وهو بصدد اشباع دوافعه وعندئذ يحدث صراع بينه وبين بيئته هذا الصراع قد يؤدي به الى كبت دوافعه فى اللاشعور ومن هنا تتكون الدوافع المكتسبة اللاشعورية (١)

إذا الدوافع المكتسبة :-

١ - دوافع مكتسبة شعورية

٢ - دوافع مكتسبة لا شعورية .

فهذا التقسيم للدوافع المكتسبة من الناحية النفسية الا ان نجد من يقسمها من ناحية ارتباطها بالمجتمع لذا فهى تقسم من هذه الناحية الى ثلاثة اقسام وهى :-

١ - دوافع اجتماعية عامة .

٢ - دوافع اجتماعية حضارية .

٣ - دوافع اجتماعية فردية . (٢)

اولا الدوافع الاجتماعية العامة :-

وهى من الدوافع القوية لدى الانسان وهذا الدافع يبدو فى ميل الانسان الى العيش فى جماعات والى الاجتماع ببني جنسه والاشترك معهم فى اوجه نشاطهم وفى شعوره بالضييق والوحشه ان حيل بينه وبين ذلك (٣) .

(١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - ص ١٤٦ . محمد محمود محمد

(٢) اصول علم النفس - احمد عزت راجح - ص ٩٢ - ط ٩ عام ١٩٧٣ .

(٣) اصول علم النفس - احمد عزت راجح ص ١٠٩ .



ويسمى هذا الدافع الدافع الى الانتماء وهو من الدوافع الأساسية للنمو النفسي والنمو الاجتماعى السوى السليم (١) وهن ان يشعر الفرد بانه ينتمى الى اسرة وينتمى الى جماعة من الاصدقاء او ان ينتمى الى وطن معين ويعتز بانتمائه لهذه الجماعات واذا شعر الطفل او الفرد بعدم انتمائه للاسرة او الجماعة للاعتراه القلق والضيق والحزن لان الانسان اجتماعى بطبعه ويفضل ان يعيش مع الجماعة (٢) . وهذا الدافع له دوره فى البناء على هذه البسيطة وذلم لتحقيق مبدا الاستخلاف فى الأرض فاذا تكونت الجماعة قامت بهم الأمة ويتحقق بهذا الدافع بناء الاسرة المسلمة عن طريق التزاوج ليتم انتماء الاشخاص الى الأسرة .

ويشمل هذا الدافع دافع المحاكاة - والاستغاثة .

فالمحاكاة شائعة بين الاطفال والكبار بين الافراد وبين الأمم . ودافع الاستغاثة دافع اجتماعى يثيره فشل دافع المقاتلة وحاجة الفرد الى المعونة فهو يقوم على عجز الانسان وقلة حيلته (٣) . ان الدوافع الاجتماعية المثير لها رؤية الناس والهدف تحقيق المشاركة مع الناس لما له من الأثر على الفرد فى بناء شخصيته .

### ثانيا : الدوافع الاجتماعية الحضارية :-

وتشمل دافع السيطرة والعدوان ودافع التملك .

ويبدو دافع السيطرة فى ميل الفرد الى الظهور والتفوق والغلبة والتزعم ويرى مكدوجل مؤسس المدرسة النزوعية فى علم النفس ان دافع السيطرة دافع فطريا . وذهب "ادلر" مؤسمة مدرسة علم النفس الاجتماعى الى ان السيطرة اقوى غرائز الانسان .

(١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - محمد محمود محمد ص ١٤٩

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - محمد محمود محمد ص ١٤٩

"بتصرف" .

(٣) اصول علم النفس - احمد عزت راجح ص ١١١

غير أن هذا الدافع ليس دافعا فطريا إذ أنه اثبتت البحوث ( الانثروبولوجية ) أن دافع السيطرة لا اثر له فى الشعوب والقبائل البدائية كقبيلة " ارابشى " (١) .

فمن الملاحظ ان بعض المجتمعات تشجع دافع السيطرة لدى الأفراد وتعمل على تنميته خلال عملية التطبيع الاجتماعى فيما نجد مجتمعات اخرى تشجع الميل الى الخضوع والمسالمة (٢) فالهدف من السيطرة هو تحصيل مكانة مرتفعة داخل الجماعة (٣) .

اما غريزة العدوان :

---

ويظهر هذا الدافع فى سلوك الانسان العدوانى تجاه الآخرين بهدف الحاق الأذى بهم (٤)

ويرى فرويد منشاء مدرسة التحليل النفسى ( أن العدوان ينشأ من كبح الميول الجنسية وكبتها وانه استعداد غريزى قائم بذاته لدى الانسان أى أنه مغروز فى فطرة ابن آدم حتى وان لم يعتد عليه معتد ، فالانسان يكره اخاه بلفطه ، ووراء المحبه الظاهرة بين الناس عدااء كامن مستور وليست طيبة الانسان الا وهما وخرافة . فالظلم من شيم النفوس .

غير أن البحوث السيكلوجية (٥) والانثروبولوجية (٦) فندت هذا الرأى فقد دلت البحوث التجريبية ان العدوان غالبا ما يكون نتيجة لاحباط شديد يصيب دوافع الفرد .

- 
- (١) اصول علم النفس د. احمد عزت راجح ص ١١٢ .
  - (٢) الحياة النفسية د. محمد فرغلى فراج - دار الثقافة للنشر ص ٣٥ .
  - (٣) علم النفس الاجتماعى - حامد عبد الله زهران وآخرون ص ١١٨ .
  - (٤) القرآن وعلم النفس ط١ . نجاتى ص ٤٤١ - مرجع سابق .
  - (٥) السيكلوجية : علم النفس انظر ص ٦١ من معجم المصطلحات النفسية .

(٦) الانثروبولوجية : علم نشؤ الانسان معجم المصطلحات النفسية والتربوية اعداد د . مصطفى زيدان دار الشروق - جده ص ١١ .

وكشفت البحوث الانثربولوجية أن العدوان بالمعنى الذى يراه فرويد لا أثر له فى بعض القبائل مثل قبيلة ارابيش (١) .  
 وسأشير فى فصل موقف القرآن من الدوافع ان شاء الله الى غريزة العدوان وكيف وجهها الاسلام حتى اصبحت محبة وامن وسلام فى المجتمع المسلم .

### ثالثا : دافع التملك والادخار :-

( دافع التملك من الدوافع النفسية التى يتعلمها الانسان اثناء تنشئته الاجتماعية فالانسان يتعلم من الثقافة التى ينشأ فيها ومن خبرته الشخصية حب لامتلاك المال والعقارات والأراضى والممتلكات المختلفة التى تشعره بالامن من الفقر وتمده بالنفوذ والقوة فى المجتمع (٢) .

إذا فالهدف من التملك هو الامن من الفقر وتهيئة النفوذ ثم المكانة والجاه والسلطان الذى يتحقق لذى وجود المال والذى يثير هذا الدافع وجود المال ووجود ما يدخر من العقار والطعام ونحوه .  
 " ويعتبر مكد وجل أن هذا الدافع غريزة فطرية ، غير أن البحوث الانثروبولوجية دلت على ان هذا الدافع لا وجود له فى بعض المجتمعات ففى جزر ( الملانيزيا ) تنص المبادئ على أن جميع ما تخرجه الارض من زرع أو ما يخرج البحر من صيد وما يصنعه الأفراد لانفسهم من أدوات واسلحة كل اولئك يقسم بينهم جميعا فلا خوف من الفقر و لاداعى لجمع الثروة . (٣)

(١) ارابيشى هى احدى الشعوب غنيا الجديدة ، انظر اصول علم النفس ، أحمد عزت ص ٨٦ ط ٩ .

(٢) القرآن وعلم النفس - عثمان نجاتى - ص ٣٩ .

(٣) اصول علم النفس - احمد عزت راجح " مرجع سابق " ص ١١٥ .

اذن الدوافع المكتسبة ظاهرة اجتماعية بحتة وهى لعدد كبير من العوامل الاجتماعية بقدر توفر موارد الرزق واخذ المجتمع باسباب الحضارة والمدنية .

وهكذا يتبين ان الميل الى التملك دافع مكتسب يكتسبه الفرد من البيئة وينمو معه بحسب ظروف المجتمع الذى يعيش فيه . (١)

**رابعاً: دوافع اجتماعية فردية :-**

وتشمل الدوافع التى يتميز بها الافراد بعضهم عن بعض حتى فمن ينتمون الى حضارة واحدة . فقد يكتسبها بعضهم نتيجة لخبرته الخاصة ولا يكتسبها البعض الآخر . هذا يميل الى القراءة وذاك الى الرسم هذا يميل الى النشاط الاجتماعى والآخر يميل الى النشاط الرياضى وهكذا . (٢)

اذن العوامل المؤثرة فى هذا الدافع هو الاتجاهات والعواطف وايضا الاتجاه النفسى لذا سوف اعرف كلا منهما على حده .

الاتجاهات والعواطف وهى تتكون من تكرار اتصال الفرد بموضوع الاتجاه والعاطفة فى مواقف مختلفة ترضى فيه دوافع مختلفة وتثير فى نفسه مشاعر سارة لذيدة أو تحبط لديه بعض الدوافع وتثير فى نفسه مشاعر منافرة مؤلمة .

**تعريف الاتجاه النفسى :-**

الاتجاه النفسى استعداد وجدانى مكتسب ثابت نسبياً يحدد شعور الفرد وسلوكه نحو مواصفات معينة ويتضمن حكماً عليها بالقبول أو الرفض . (٣)

(١) علم النفس الاجتماعى د. حامد عبد السلام زهران ط٤ - عالم

الكتب - ١٩٧٧ م ص ١١٩ .

(٢) اصول علم النفس العام - احمد عزت راجح ص ١٢٢ - ص ١٢٤ "بصرف" .

(٣) اصول علم النفس العام - احمد عزت راجح ص ١٢٢ - ص ١٢٤ "بصرف"

فالدوافع المكتسبة الشعورية :-

وهي عبارة عن حاجات نفسية يحتاجها الانسان لحفظ بقائه  
السيكولوجى بمعنى ان صلتها بالتطويع النفسى اوثق من صلتها  
بالتكويعن العضوى . وهناك العديد من الدوافع النفسية المكتسبة  
فمنها مثلا :

الدوافع الى الحب والحنان :

ان الدوافع الى الحب ذا جذور عميقة فى حياة الانسان ويؤكد  
علماء النفس الأهمية البالغة لهذه العاطفة المتبادلة بين الطفل  
وامه على مستقبل شخصيته وصحته النفسية .

( لكى يشبع الطفل دافع الحب والعطف والحنان ينصح رجال الصحة

النفسية بالأىحرم الطفل من ثدى امه ومن حمله الى صدرها ) (١)

وسأشير ان شاء الله الى موقف الاسلام من دافع الحب ونعرض مثلا

لهذا الدافع فى القرآن الكريم .

الدافع الى الامن :

يظهر هذا الدافع فى مظاهر عدة ، والخوف هو اهم تلك المظاهر

على الاطلاق (٢) .

وهذا الدافع له دور عظيم فى قضية الاسخلاف اذ انه وراء العمل

المستمر خوفا من الغد ليجمع قوته فتطمئن نفسه الى تهيئة اسباب

العيش والراحة .

وهو ايضا وراء تقويم سلوك الفرد خاف الانسان من العقوبة فى

الدنيا استقام سلوكه ولم يفكر فى معصية واذا خشى الآخرة وعذابه فى

النار كان هذا دافعا له الى العمل للآخرة حتى يفوز بها وينجو

(١) علم النفس العام - احمد عزت راجح ص ١٢٢ - ص ١٢٤ بتصرف

" مرجع سابق " .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٣ .

مما يخاف من عذاب النار ) ويسعى الفرد الى انه لن يتهدهد الخطر  
وانه لن يجد نفسه فى لحظة من اللحظات لا يجد المأوى والطعام أو  
المكانة الاجتماعى ( ١ )  
الدوافع المكتسبة اللاشعورية :-

• الدافع اللاشعورى هو الذى لا يشعر الفرد بوجوده وطبيعته  
اثناء قيامه بالسلوك وتؤثر هذه الدوافع اللاشعورية فى سلوك الانسان  
بطريقة خفية فيكون فى اغلب الاحيان غير واع للدوافع المحركة  
لسلوكه ( ٢ ) .

يظهر مما سبق ان علماء النفس المسلمين والمعاصرين قد كتبوا فى  
اقسام الدوافع ومن الملاحظ انهم لم يختلفوا فى تقسيمها الى قسمين  
كبيرين وهى دوافع اولية - ودوافع مكتسبة .  
ومن الملاحظ ايضا ان الدوافع الفطرية تسمى اصلية واولية  
بينما الدوافع المكتسبة تسمى فرعية وثنائية .

الا ان الباحث فى هذا الامر يجد ان الاختلاف ينصب على انواع هذه  
الدوافع فبينما نجد ان الدوافع الاولية قسمت الى ٣٢ نوعا فانا نرى  
ان البعض يصل الى ٤٢ غريزة وهكذا . الا اننا لو امعنا النظر  
لوجدنا ان هذه الدوافع وان تباين تقسيمها لدى العلماء فهى لا تخرج  
عن اما ان تكون دوافع اولية تعمل على الاحتفاظ بالكيان العضوى  
للشخص كالاكل والشرب واخراج الفضلات ونحوها مما عدها وليم جيمس

( ١ ) الحياة النفسية د . محمد فرغلى فراج - دار الثقافة للطباعة  
والنشر ١٩٨٠ - ص ٣٤ .

( ٢ ) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام د . محمد محمود محمد ص ١٥٦  
وانظر ايضا علم النفس التربوى - احمد زكى صالح ص ٨١٤ ط ١٢  
- مكتبة النهضة المصرية .

انواعا خاصة فهي ترجع الى هذا القسم من الدوافع فالخوف غريزة تظهر فى الانسان منذ الولادة اى انه غريزة فطرية هدفها فطرى اىضا وهو المحافظة على الكيان العضوى للشخص وكذا بالمناسبة للابتسام فهو فطرى فى النفس الانسانية يظهر منذ الميلاد تماما كبحت الرضيع عن ثدى أمه .

اما شورنديك (١) فقد اضاف البلع والاكل والمقاتلة والتشاؤب والسعال مما لا يخفى تعلقه بالدوافع الأولية التى تعمل على الاحتفاظ بالكيان العضوى للشخص .

أما مكدوجل فقد اضاف الهجرة والنوم فالهجرة محافظة على بقاء النوع الببرى والنوم محافظة على بقاء الكيان العضوى للشخص فلا يخفى تعلقها بالدوافع الأولية .

### مميزات الدوافع الفطرية :

- ١ ( ان اشباعها يأتى فى المقام الأول لأن عدم اشباعها قد يؤدى بحياة الكائن الحى (٢) .
- ٢ ( ظهورها منذ الميلاد ومن سن مبكرة اى قبل ان يفيد الفرد من الخبرة والتعلم كالجوع والعطش (٣) فهذا يدل على انها فطرية موروثة وغير مكتسبة أو متعلمة (٤) .

(١) شورنديك ادوارد : عالم امريكى اهتم بالتجارب المعملية على الحيوانات العليا من قطة وكلاب وقرأ ملخص تجارب كيف نتعلم الخروج من مأزق ومتاهات بسيطة تمهيدا لدراسة وظائف التفكير والتعلم عند الاطفال ويعتبر من الاتجاه اتجاه سلوكى للبحث .

اصول علم النفس العام . د. عبد الحميد الهاشمى ص ٦٦ .

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٥ .

(٣) علم النفس العام - احمد عزت - ص ٨٨ " مرجع سابق " .

(٤) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٥ .

- ٣ ) انها دوافع ضرورية لا غنى للانسان عنها ولا غنى له عن احدها ولا يمكنه استبدال واحد منها بالآخر أو بآى دافع آخر جديد (١) .
- ٤ ) ومن هذه العلامات أن يكون الدافع عاما مشتركا بين افراد النوع الواحد جميعا مهما اختلفت بيئاتهم وحضارتهم . (٢)
- ٥ ) اشتراك الدافع الفطرى بين الانسان والحيوان فهو جزء من كيانهما الحيوانى (٣) .
- ٦ ) اهم ما يميز الدافع الفطرى هو ثبات هدفه الطبيعى بالرغم من تغيير السلوك الذى يحقق هذا الهدف (٤) .
- ٧ ) أن الدوافع الاولية ليست بدرجة واحدة من القوة فدافع الامومة ليس كدافع الجوع أو الجنس (٥) وعلى هذا فالدافع وان كان فطريا الا ان قوته تختلف حسب نوعه والحاجة اليه .
- ٨ ) الدافع الواحد تختلف قوته من انسان الى انسان تبعا لمبدأ الفروق الفردية .
- ٩ ) الدافع الواحد لدى الانسان ذاته قد تختلف قوته من مرحله الى أخرى فى حياته فدافع الجنس لدى الانسان يكون قويا فى شبابه بالمقارنة به عند شيخوخته وهكذا سائر الدوافع تضعف باختلاف مراحل العمر حتى تتلاشى بالكلية او تضعف وفقا لمبدأ الضعف الذى

- 
- (١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٥ مرجع سابق .
- (٢) علم النفس العام ، احمد عزت ص ٨٨ وانظر علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٥ .
- (٣) كتاب علم النفس مصطفى فهمى ص ٥٧ دار الثقافة . وانظر علم النفس العام احمد عزت راجح ص ٨٨ .
- (٤) علم النفس العام احمد عزت راجح ص ٨٨ وانظر ايضا دراسات فى النفس الانسانية ص ١٨٧ " مرجع سابق " .
- (٥) لمحات نفسية فى القرآن الكريم ص ١٠٤ للهاشمى .



يُصِيبُ الْإِنْسَانَ فِي كِبَرِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ( ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً... ) (١)

### مميزات الدوافع الثانوية :-

ويلاحظ ان الدوافع الثانوية تمتاز بصفات خاصة تميزها عن الدوافع الأولية سأوردها ثم نستطيع من خلال هذه المميزات ان نستنبط الفروق بين الدوافع الاولية والثانوية .

- ١ ( ان الدوافع الثانوية لها اختصاص بالانسان .
  - ٢ ( ان الدوافع الثانوية مشتركة على أن بعضها له صلة بالناحية الفسيولوجية (٢)
- الفروق بين الدوافع الاولية والدوافع الثانوية :-

الدوافع الثانوية	الدوافع الأولية
تنشأ من الخبرة وتكتسب بالتعلم من البيئة .	١ ( الدوافع الأولية تنشأ منذ الميلاد بمعنى انه لا تكتسب ولا يستفيدها الشخص من ممارسة الحياة .
الدوافع الثانوية خاصة بالانسان فقط	٢ ( الدوافع الفطرية يشترك الانسان والحيوان .
تختلف حسب الاشخاص ورغباتهم	٣ ( ثبات الهدف اذ ان الدافع الفطري هدفه الابقاء على الكائن العضوي للانسان وبقاء الجنس .

(١) سورة الروم آية : ٥٤ .

(٢) علم النفس ، مصطفى فهمى ص ٥٧ - دار الثقافة .

## الدوافع الأولية

## الدوافع الثانوية

- ٤ ( تكون حدة الدافع تقريبا  
متساوية  
يختلف حدة هذا الدافع حسب الظروف  
البيئية فمثلا دافع السيطرة تؤكد  
الذات نجده يقوى فى بعض  
المجتمعات الغربية ويضعف او  
يتلاشى فى قبيلة ارابشى البدائية  
وهكذا .
- ٥ ( المثير يكون داخليا  
المثير يكون خارجيا .

ولكن على الرغم من وجود هذه الفروق بين الدوافع الأولية والثانوية الا انا نجد ان كلا من هذه الدوافع هى السبب فى مظاهر السلوك الانسانى ولذا فنحن نلمس مظاهر السلوك يبدو واضحا . الا ان الدوافع وراء هذا السلوك قد لا يبدو واضحا فمن السهل مثلا ان نعرف من سلوك الطفل انه جائع فنقول وراء هذا السلوك دافع وهو الجوع وهدفه ابقاء الكائن العضوى للانسان . بينما لا نستطيع ان نقول ان هذا الدافع هو السبب وراء السلوك الظاهر من الانسان بمعنى اننا لا نستطيع تحديد نوع الدافع بالذات وراء جميع انماط السلوك الانسانى.

## الفصل الثالث

موقف القرآن الكريم من السنة والحدوافم

موقف الكتاب والسنة من الدوافع

\*\*\*\*\*

يتبين لنا مما سبق أن مشيئة الله سبحانه وتعالى اقتضت وجود الدوافع الفسيولوجية في فطرة كل من الحيوان والإنسان لتحقيق الأهداف التي أرادها الله تعالى منها وهي حفظ الذات وبقاء النوع . ومن الطبيعي أن يكون أشباع هذه الدوافع أمر ضروريا تقتضيه الفطرة . ولذلك جاءت أحكام القرآن وأوامره في شأن هذه الدوافع متفقة مع فطرة الإنسان .

ولذا فنستطيع أن نقول أن القرآن والسنة النبوية يسلكان في موضوع الدوافع على النحو التالي :-

- ١ ( الاعتراف بالدوافع الفطرية والمكتسبة معا .
  - ٢ ( تدعوا الى اشباعها في الحدود التي بينها الشرع .
  - ٣ ( ليس في القرآن ولا في السنة ما يشير الى استقذار هذه الدوافع او انكارها او يدعو الى كبتها .
  - ٤ ( يدعوا القرآن وكذلك تدعو السنة الى السيطرة على الدوافع والتحكم فيها واشباعها فقط في الحدود التي يسمح بها الشرع دون اسراف او تجاوز لهذه الحدود .
- اذن فالقرآن يدعو الى تنظيم اشباع الدوافع والتحكم فيها وتوجيهها توجيهها سليما تراعى فيه مصلحة الفرد والجماعة ، بحيث يصبح الفرد هو المسيطر على دوافعه والموجه لها ، ولا يكون دوافعه هي المسيطرة عليه والموجه له . (١)

اذن ففي هذا الفصل سأتكلم عن الدوافع والضوابط معا في تكوين النفس البشرية وموقف القرآن والسنة منهما .

(١) القرآن وعلم النفس ط ٥ ص ٥٠ - عثمان نجاتي "بتصرف" .

ذكرنا فى الفصل الثانى ان الدوافع قسمان :-

١ ( دوافع اولية .

٢ ( دوافع ثانوية .

وان كل دافع من هذه الدوافع ينقسم الى انواع تتفرع فتدخل تحته

ولذا سأستعرض اولا موقف القرآن من اهم الدوافع الاولى .

اولا الدوافع الاولى هى نوعان :-

الدافع الى حفظ الذات

الدافع الى حفظ النوع . (١)

فلو استعرضنا دوافع حفظ الذات لوجدنا انها تشمل :

دوافع تكفل المحافظة على بقاء الفرد . وهى دافع الجوع - العطش -

التنفس - دافع النوم والراحة - دافع الاخراج .

اولا دوافع الجوع والعطش :-

فاشباع دافع الجوع يعطى الجسم الطاقة التى تلزمه للقيام

بمختلف وظائفه الحيوية . (٢)

ولذا كان الجوع هو الدافع والمحرك للانسان للبحث عن الطعام

الذى اباح الاسلام ضمن قيود ونظام معين يجعله لا ينطلق انطلاق

البهائم الباحثة عن الطعام والتى ليس لها من عملية الضبط الا

الضبط الذاتى .

ولذا يقول سيد قطب : ( الجوع والعطش هما المهماز الذى يدفع

الانسان بالالتم فىسعى الى الطعام والشراب لاسكات هذا الالتم الذى لا

يهدأ ولا يكف حتى يستجاب له من الخلف يدفعان الى طلب الطعام

(١) دراسات فى النفس الانسانية - ص ١٦٣ - دار الشروق - محمد قطب

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - ص ١٣٩ .

والشراب محافظة على كيان الذات ) (١)

إذا الدوافع المحركة للاكل والشرب هي :-

١ ( الألم حيث يشعر الانسان بآلام الجوع والعطش فيبحث عن الطعام .

٢ ( اللذة التي تتحقق نتيجة الشعور بالشبع والرى .

( وازاء هذا الدافع يبيح لنا الاسلام الطعام والشراب ضمن

ضمانات تستهدف بقاء الانسان على انسانيته على النحو التالي ) (٢)

أمر بالطعام والشراب لحفظ الحياة سليمة وصحيحة فالاضراب

المتواصل عن الأكل والشرب اثم لأنه يؤدي الى اضعاف الجسم ثم الى

الانتحار . قال الله تعالى فى اباحة الأكل والشراب ( كُلُوا وَاشْرَبُوا

مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مَافْسِدِينَ ) (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم من رواية انس بن مالك رضى الله عنه

(جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون

عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها

فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم

من ذنبيه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً وقال

الأخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج

أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم

كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر

وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سننئى فليس منى (٤)

(١) دراسات فى النفس الانسانية - سيد قطب - ص ١٦٩ "مرجع سابق "

(٢) لمحات نفسية فى القرآن الكريم للهاشمى - ص ١١٠ .

(٣) سورة البقرة آية : ٦٠ .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح باب الترغيب فى النكاح ج ٧ ص ٢

وأخرجه مسلم كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه

اليه ووجد مؤنة ص ١٧٥ - ١٧٦ ج ٩ بشرح النووى . وأخرجه احمد

فى مسنده ج ٢ ص ١٥٨ - ١٦٥ - ١٧٠ - ١٨٨ - ٢١٠ .

اذن ليس من الاسلام فى شيء تحريم الاكل او الشراب فالآية والحديث

اباحة الأكل والشرب ضمن ضمان خاص وهو عدم الافساد فى الأرض .

٢ - كما يجب ان نمتثل لأوامر الله ونحن بصدد اشباع هذا الدافع لقوله تعالى ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ) (١) .

وفى الحديث الشريف توجيه للطفل وهو فى مرحلة التعلم الى آداب

الطعام فى الاسلام فعن عمر بن أبى سلمه (٢) يقول : كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطْيِشُ فِي الصَّفْحَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ وَكُلَّ بِيَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدَ ) (٣)

عدم الأكل أو الشرب من المحرم :-

فقال الله تعالى : ( قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) (٤) .

(١) سورة الانعام آية : ١٢١ .

(٢) عمر بن أبى سلمه :- بن عبد الاسد القرشى المخزومى ربيب رسول

الله صلى الله عليه وسلم أمة أم سلمة زوج رسول الله صلى الله

عليه وسلم يكنى أبا حفصه ولد فى السنة الثانية من الهجرة

بأرض الحبشة وقيل أنه كان له يوم قبض النبى صلى الله عليه

وسلم تسع سنين وشهد مع على رضى الله عنه موقعه الجمل

واستعمله على البحرين .

١ سد الغابة ج ٣ ص ٦٨٠ .

(٣) أخرجه البخارى كتاب الاطعمة باب التسمية على الطعام والاكل

باليمين ج ٧ ص ٨٨ .

(٤) سورة الانعام آية : ١٤٥ .

وفى الشراب المحرم قال الله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ  
 لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ) (١) .

اذن فالآية الكريمة حددت لنا ما حرم علينا من الطعام كالميتة  
 او شرب الدم المسفوح . وكذا اكل لحم الخنزير او اى شىء ذبح لغير  
 الله عز وجل .

وكذا حرم شرب الخمر وكل هذه ضوابط تبين لنا سيطرة الانسان على  
 غرائزه بحيث تمنعه من الانحدار البهائى وراء شهواته . وقال صلى  
 الله عليه وسلم فيما يرويه مقدم بن معد يكرب (٢) : سمعت رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( ما ملا آدمى وعاء شرا من بطن  
 بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبة فان كان لا محالة فنلث لطعامه وثلث  
 لشرابه وثلث لنفسه ) (٣)

هكذا يتجلى الضبط فى اسمى معانيه فالاكل والشرب ليس محرما  
 ولكن ينبغى ان يكون ضمن المعقول بحيث لا يؤدي الى الاسراف فى تناول  
 الطعام ثم يؤدي الى التخمة والاضرار بالصحة العامة .

(١) سورة المائدة آية : ٩٤ .

(٢) المقدم بن معد يكرب : بن عمرو يزيد بن معدى كرب ابو كريمه  
 وقيل ابو يحيى الكندى نزل حمص ذكره ابن سعد فى الطبقة  
 الرابعة من اهل الشام وقال مات سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى  
 وتسعين سنة . ج ١٠ ص ٢٨٧ تهذيب التهذيب .

(٣) قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح أخرجه الترمذى كتاب الزهد  
 باب ٤٧ ما جاء فى كراهية كثرة الاكل ص ٥٩٠ ج ٤ . وأخرجه احمد  
 بن حنبل ج ٤ ص ١٣٢ .



فان مبدأ تناول الطعام والشراب ينحصر فى الاسلام بما يلى :-

- ١ ( اباحة الأكل والشرب من الحلال الطيب .
  - ٢ ( عدم الاضرار عن الأكل حتى الموت أو المرض لأن هذا اخلال بالصحة العامة .
  - ٣ ( عدم الاسراف فى تناول الطعام والشراب لئلا يؤدي الى الاضرار بالصحة .
  - ٤ ( اباحة جميع اصناف الطعام ومزجه وتنويعه اذا اجتنب المحرم منه
- كما قال الله تعالى : ( وَكَلَامِهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ) (١)
- الدافع الثانى : دافع النوم والراحة :-

يعتبر هذا الدافع من الدوافع الاولى الضرورية للبقاء على الكائن الحى فكل فرد منا يشعر من حين الى آخر بحاجاته الى الراحة والى النوم (٢) ولا يمكن ان يظل الانسان بدون نوم ولذا نقول ما موقف القرآن والسنة من النوم والبحث عن الراحة بعد مشقة النهار وعنايته .

قال تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ) (٣) وقال الله تعالى فى معرض الامتنان بجعل النوم للراحة : ( إِذْ يُغَشِّيكُمْ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ) (٤)

ومما يشير الى أن دوافع الجوع والعطش والتعب من الدوافع التى لا يستطيع أن يتحملها الانسان عادة مدة طويلة لما تسببه له من ألم وما تلحقه به من ضرر ما وعد الله تعالى به المؤمنين من ثواب

(١) سورة البقرة آية : ٣٥ .

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٢

(٣) سورة الفرقان آية : ٤٧

(٤) سورة الانفال آية : ١١

لتحملهم الجوع والظما والتعب فى سبيل الله (١) .

قال الله تعالى : ( مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ) (٢) .

وايضا مما يدل على ان كلا من الجوع او العطش او ارهاق النفس

بالتعب ليس من الاسلام فى شىء فليس هو عبادة ولا قربة الى الله .

وفى رواية انس بن مالك رضى الله عنه : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلى الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ) (٣) .

فانكار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ذلك دل على ان

عملهم منافى للفطرة ومعارض للدوافع الطبيعية والنفسية التى هى

فى صميم خلق الانسان كدافع الجوع والعطش والراحة والنوم . هكذا

لم يعارض ديننا الاسلامى هذه الدوافع بل اباحها وجعل لها النظام

الذى يكفل للانسان اقامة حياة كريمة تتفق مع انسانيته .

(١) القرآن وعلم النفس - عثمان نجاتى ص ٢٧ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٠ .

(٣) سبق تخريجه . ص ٤٠

اذن موقف الاسلام من هذا الدافع نجد موقفه يتجلى بما يلي :-

١ ( اباح النوم والراحة اذ جعل الليل سباتا .  
٢ ( جعل النوم قسطا لفترة من يوم الانسان ولم يبح له ان ينام يومه  
وليلته بمعنى انه امر بالسعى بقوله ( وَجَعَلْنَا النَّهَارَ  
مَعَاشًا ) (١) .

٣ ( اذا فاعترف الاسلام بالنوم والراحة واضح جدا اذ قوله صلى الله  
عليه وسلم ( لكنى اصوم وافطر واصلى وارقد ) يحارب مبدا  
اجهاد النفس والمشقة عليها .

( ان التعب دافع هام يدفع الانسان الى الراحة والنوم بعد عناء  
العمل اثناء النهار فتسترد خلايا بدنه نشاطها وحيويتها ويستيقظ  
الانسان بعد النوم قويا نشيطا قادرا على مواصلة عمله فى حيوية  
ونشاط ويؤدى النوم الى التخلص من التوتر البدنى الذى ينشأ عن  
المخاوف التى تنتاب الانسان وعن كثير من المشكلات التى يتعرض لها  
اثناء حياته اليومية ) (٢) .

قال الله تعالى : ( إِذْ يَغْشَىٰكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ  
مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ  
قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ) (٣) .

ثالثا : دافع التنفس :-

يعتبر دافع التنفس من اهم الدوافع البيولوجية الاولية على "

(١) سورة النبا آية : ١١ .

(٢) القرآن وعلم النفس المعاصر - عثمان نجاتى - ص ٣٢ .

(٣) سورة الانفال آية : ١١ .

الاطلاق لأن من اهم احتياجات الجسم حاجته الى الاكسجين . (١)

ويتضح لنا الاهمية الكبرى للاكسجين بالنسبة للانسان من قوله تعالى : ( فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ اَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْاِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ اَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ) (٢)

وبهذا تتضح اهمية دافع التنفس كدافع فسيولوجى فطرى يؤدي

وظيفة هامة فى حفظ الذات وبقائها . (٣)

ومن المعلوم ان العلو سبب لفقد الاكسجين لذا بين سبحانه فى الآية

ضيق صدر الكافر وكأنه صعد الى السماء بحيث لا يتنفس .

ومما يبين لنا اهمية الاقرار بدافع التنفس عناية صلى الله

عليه وسلم بذلك حيث قال فى الحديث السابق ( وثالث لنفسه ) (٤)

رابعاً : دافع قضاء الحاجة :-

الاخراج من الدوافع البيولوجية الاولية الملحة والذى قد يضر عدم

اشباعه بالانسان ضرراً بالغاً بل ربما يؤدي به الى الهلاك . (٥)

(١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام " مرجع سابق " ص ١٤٢ .

(٢) سورة الانعام آية : ١٢٥ .

(٣) القرآن وعلم النفس المعاصر - ص ٣٤ .

(٤) سبق تخريجه ص ٤٤ .

(٥) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام ص ١٤٣ "مرجع سابق " .

قال صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن الحرث بن جزء  
الزبيدي (١) يقول أنا أول من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول  
( لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ) (٢) وفى الزوائد اسناده صحيح  
وحكم بصحته جماعة .

فهذا من الآداب العامة والتي هى وسيلة لضبط دافع الأخرار  
لمراعاة الآداب واحترام القبلة .

---

(١) عبد الله بن الحرث بن جزء : أبى عبد الله بن معد يكرب بن  
عمرو بن زبيد الزبيدي أو الحرث نزل مصر له صحبه روى عن  
النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه عبيد الله بن المغيرة  
وسليمان بن زياد الحضرمى قال ابن يونس توفى سنة ست وثمانين  
وكان قد عمى وقال غيره سنة خمس وقيل سبع وقيل ثمان وذكر أبو  
جعفر الطحاوى ان وفاته كانت بسفط القدر قرية أسفل مصر . وقال  
أبو جعفر الطبرى انه كان اسمه العاصى فسماه الرسول صلى الله  
عليه وسلم عبد الله وقال أبو زكريا بن سناره هو آخر من مات  
بمصر من لصحابة رضى الله عنهم تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٧٩  
طبقات بن سعد ج ١ ص ١٥ وانظر أيضا الإصابة فى تمييز الصحابة  
ج ٧ ص ٢٩٩ .

(٢) أخرجه ابن ماجه كتاب الطهارة وباب النهى عن استقبال القبلة  
بالغائط والبول واللفظ له ج ١ ص ١١٥ حديث ٣١٧ . وأخرجه مسلم  
فى كتاب الطهارة باب الاستطابة ص ١٥٢ ج ٣ بشرح النووى .  
وأخرجه احمد ج ٤ ص ١٩٠ - ١٩١ . وأخرجه الترمذى كتاب الطهارة  
باب النهى عن استقبال القبلة بغائط أو بول ص ١٣ ج ١ .

ثانيا : دوافع تكفل المحافظة على بقاء النوع وتشمل :

دافع قضاء الوطر - دافع الامومة .

فالجنس اداة لحفظ النوع لذا وجد فى تكوين كل انسان دافع

الميل نحو النساء واشباعه بالزواج الحلال . (١)

وهذا الدافع يقوم بوظيفة هامة هى التناسل لبقاء النوع وعن

طريق الدافع قضاء الوطر تتكون الاسرة ومن الاسرة تتكون المجتمعات

والشعوب فتعمر الأرض وتتعارف الشعوب وتزدهر الحضارة . (٢)

اذا الدوافع المحركة لهذه الغريزة هى :-

١ ( اللذة التى تصحب العلاقة الزوجية .

٢ ( الالم الناتج عن كثير من المشاكل الزوجية من الحمل والولادة

والرضاع والنفقات ونحوها . وذا قال سيد قطب فى ذلك . تعمير

وجه الأرض بالنسل يحمل الوالدين جهدا مضنيا كل فى دائرة

اختصاصه الأم تحمل جنينها وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين ،

وما تنتهى من واحد حتى تستعد لحمل جديد وجهد جديد . والاب

يحمل تبعه اطعام هذا النسل بعد مرحلة الرضاع وتبعه كسوته

واسكانه وحمياته وتوفير الراحة له ثم اعداده وتربيته حتى

يصبح قادرا على تسلم الدور الانشائى من جديد . (٣)

اذن على الرغم من هذا الالم كله الا ان دافع الجنس اقوى منه يدفع

الانسان الى ممارسة الجنس بالزواج الشرعى فلذا نقول هل الدين

وقف معارضا لهذا الدافع على قوته أم انه سايره وابع له اشباعه

(١) لمحات نفسية فى القرآن الكريم - للهاشمى - ص ١١٠ .

(٢) القرآن وعلم النفس - ص ٣٤ .

(٣) دراسات فى النفس الانسانية ص ١٦٧ .

بطرق شرعية تضمن له البقاء والاستمرار على احسن حال . اذن ما موقف الكتاب والسنة ازاء هذا الدافع بالذات .

قال الله تعالى فى شرعية الزواج وابطاحته : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ وَاتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ) (١)

وقال الله تعالى فى الحث على الزواج : ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .. ) (٢) .

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزواج ودعى اليه فى اول مراحل الرغبة الجنسية وفى أشدها وهى مرحلة الشباب فى الحديث عن علقمته (\*) قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ فَلَقِيَهُ عُمَانُ بِنْتِي فَقَالَ يَا

(١) سورة النساء آية : ١ .

(٢) سورة النور آية : ٣٢ .

(\*) علقمة هو علقمة بن قيس . بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل ويقال كهيل بن بكر بن عوف ويقال ابن المنتشر بن النخع ابو شبيل النخعي الكوفي ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال مغيرة محمد بن ابراهيم كان علقمة عقيما وقال ابو طالب عن احمد شقة من اهل الخير وقال انه عمش عن عمارة بن عمير قال لنا ابو معمر قوموا بنا الى اشبه الناس هديا وسمتا ودلا بابن مسعود فقمنا معه حتى جلس الى علقمه وقد شهد صفين وقال قابوس بن ظبيان عن أبيه ادركت أناسا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يسالون علقمه يستفتونه . قال ابو نعيم مات سنة احدى وستين وقيل سنة ٦٢ وقيل غير ذلك وله تسعون سنة وكان غزا خراسان واقام بخوارزم سنتين ودخل مرو فاقام بها مدة . تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٧٧ .

أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ لِي بِإِلَيْكَ حَاجَةً فَخَلِيَا (١) فَقَالَ عُمَانُ هَلْ لَكَ يَا  
 أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ نَزُوجَكَ بِكَرًا تَذَكَّرُكَ مَا كُنْتَ تَعَهَّدُ ، فَلَمَّا رَأَى  
 عَبْدُ اللَّهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا أَشَارَ إِلَى فَقَالَ يَا عَلْقَمَةُ  
 فَاَنْتَهَيْتُ بِإِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ يَا مَا كَيْتُنْ قُلْتِ ذَلِكَ ، لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ  
 وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ (٢)

بل لقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء الوطر امرا فيه  
 اجر وشواب فقال صلى الله عليه وسلم ( عَنْ أَبِي ذَرٍّ (٣) أَنَّ نَاسًا مِنْ

(١) فخليا : أى دخلا فى موضع خال ج ٢٠ ص ٦٧ عمده الفارى .  
 (٢) اخرجه البخارى كتاب النكاح باب من استطاع منكم الباءة  
 فليتزوج لانه اغض للبصر واحص للفرح ص ٣ ج ٧ . واخرجه مسلم  
 كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت اليه نفسه ووجد  
 مؤنته ص ١٧٢ ج ٩ شرح النووى . واخرجه ابن ماجه كتاب النكاح  
 باب ما جاء فى فضل النكاح ص ٥٩٢ ج ١ حديث رقم ١٨٤٥ .  
 الباءة : ١ - الجماع فتقدير الكلام من استطاع منكم الجماع لقدرته  
 على مؤنة وهى مؤنة النكاح فليتزوج .

٢ - المراد مؤنة النكاح سميت باسم ما يلازمها .  
 الوجاء : رضى الخصيتين والمراد الصوم بقطع الشهوة كما يفعله  
 الوجاء . صحيح مسلم ج ٩ - ١٧٤ . بشرح النووى

(٣) ابو ذر الغفارى الزاهد المشهور مختلف فى اسمه واسم ابيه  
 والمشهور انه جندب بن جنادة بن سكنى وكان من السابقين الى  
 الاسلام وكان وفاته بالربده سنة احدى وثلاثين ويقال انه صلى  
 عليه ابن مسعود .

الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١١ ص ١٢١ الى ١٢٣ بتصرف .



أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ يَطْلُونَ كَمَا نَطْلِي وَيَصُومُونَ كَمَا  
نُصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا  
تَصَدَّقُونَ إِنْ بَدَأَ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَهُ . وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَهُ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَهُ  
وَكَُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَهُ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَهُ وَفِي بُضْعِ  
أُحْدِكُمْ صَدَقَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَّتِي أُحَدِّثُ شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا  
أَجْرٌ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا  
وَوَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ (١)

هكذا نظر الاسلام الى دافع الجنس وابعاح ممارسته بطرق شرعية لها

اهداف ثابتة وتشمل الاهداف :-

- (١) احسان الفرج من الوقوع بالفاحشة نتيجة لهذا الدافع الفطرى .
  - (٢) بناء اسرة تقوم على روابط الزوج والزوجة والذرية .
  - (٣) تحقيق للام وللاب دافع فطرى وهو التربية . فالامومة والابوة دافع فطرى فى النفس البشرية . لذا فالوالديه اشباعها انجاب الذرية يشمل الابوة والامومة ان هذا الدافع فى مستواه الانسانى يقضى التزاما خلقيا وسلوكيا من طرفى الوالدين . (٢) .
- هذه الالتزامات هى الضوابط التى تضبط نظام التجمع الاسرى لثلا يكون تجمع بهائى فيظهر منها نظرة الاسلام الى الدافع الجنسى ودافع الوالدين .

(١) اخرجه مسلم كتاب الزكاة باب ٥٣ كل نوع من المعروف صدقة ص ٩١

ج ٧ . واخرجه احمد بن حنبل ج ٥ ص ١٦٧ .

(٢) لمحات نفسية فى القرآن الكريم " مرجع سابق " ص ١١٠ .

هذه الضوابط هي :-

- ( ١ ) فى جانب الآباء والامهات ليس مجرد تناسل حيوانى بل ذرية شريفة معروفة النسب يقوم الوالدان بتقديم تربية مقصودة تشمل الجسم غذاء وتسمو بالروح ايماناً بالله . (١) .
- قال الله تعالى : ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ) ( ٢ ) .
- ( ٢ ) يجب نسبة الابناء لآباءهم قال الله تعالى : ( ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَلِإِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) ( ٣ ) .
- ( ٣ ) التربية الغذائية قال الله تعالى : ( وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ ) ( ٤ ) .
- هكذا جعل الاسلام منهج تربية الفرد المسلم غذاء للروح وغذاء للجسم ثم تكوين أسرة معروفة النسب فلا تبني فى الاسلام هذه اول لبنة فى المجتمع المسلم ثم تتكون لبنات مماثلة متتالية حتى يتكون المجتمع المسلم ليتم به الاستخلاف فى الأرض .
- اذن يمكن ان نلمس مما ذكر موقف الاسلام من دافع قضاء الوطر على النحو التالى :-

- (١) لمحات نفسية فى القرآن ص ١١٠ .
- (٢) سورة الطور آية : ٢١ .
- (٣) سورة الاحزاب آية : ٥ .
- (٤) سورة البقرة آية : ٢٣٣ .

١ ( تشجيع الزواج وبناء عليه فليست الرهبانية من الاسلام فى شىء فلا رهبانية فى الاسلام .

٢ ( تشجيع تكوين أسرة ففى الحديث عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّى مَبَاهُ بِكُمْ الْأُمَّمَ ) (١) .

٣ ( الزواج هو الوسيلة الوحيدة لانجاب الذرية واشباع دافع الوالدية .

٤ ( لم يشأ الله أن يجعل الانسان كغيره من سائر المخلوقات الاخرى

الحيوانية والنباتية فيدع غرائزه تنطلق دون وعى او ضابط (٢) وفى ذلك يقول الله تعالى : ( وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا . حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَلَاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ

(١) اخرجه ابو داود كتاب النكاح باب النهى عن تزويج من لم يلد من

النساء حديث ٢٠٥٠ ج ٢ ص ٢٢٠ واخرجه احمد ج ٣ ص ١٥٨ - ص ٢٤٥

. رواه الهيثمى وقال رواه احمد واسناده حسن . انظر الفتح

الربانى ج ١٦ ص ١٤٥ .

ورواه الحاكم فى مسنده وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

بهذه السياقه وقال الذهبى حديث صحيح . انظر المستدرک ج ٢

ص ١٦٢ .

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام مرجع سابق ص ١٤٤ .

اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ  
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَلِيمًا حَكِيمًا (١)

هذه الآيات الكريمة ترسم منهاجا متكاملًا لتكوين الأسرة المسلمة

ومشروعية الزواج التي يتم عن طريقها ممارسة دافع قضاء الوطر .  
وهي منهج متكامل أيضا للضوابط في ممارسة هذا الدافع على النحو  
التالى :-

- ١ ( تحريم الزواج بنساء الآباء .
  - ٢ ( بيان المحرمات كما ذكرت الآية الكريمة بوضوح .
  - ٣ ( تحريم الزواج بزوجة الابن .
  - ٤ ( تحريم قضاء الوطر الغير مشروع .
- وبهذا وضع الله لدافع قضاء الوطر سبيله المأمون . (٢)
- ثالثا : دوافع الطوارئ :-

وهي دوافع مدخرة لوقت الحاجة حيث تظهر وقت الخوف او الدفاع  
عن النفس (٣) كدافع المقاتلة ودافع الهروب .  
ولذا كانت المنة التي امتنها الاسلام على الانسان هو منة الامان  
حيث وفر جميع اسبابه فقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث ( عن  
سلمه بن عبد الله بن حصن (٤) الخطمى عن ابيه وكانت له صحبة ، قال

(١) سورة النساء آية : ٢٢ - ٢٤ .

(٢) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - ص ١٤٥ " بتصرف " .

(٣) علم النفس العام - احمد عزت - ص ٨٨ .

(٤) سلمه بن عبد الله بن محص الأنضارى الخطمى المدنى روى عن ابيه  
ويقال له صحبه ذكره ابن حبان فى الثقات له فى السنة هذا

الحديث فقط تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٤٨ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سَرِيَّةٍ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا ) ( ١ )

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث مروان ابن معاوية فظهر لنا من هذا الحديث انه اذا توفرت للانسان وسائل الغذاء والسكن والصحة شعر الانسان بالامن من الخوف من المستقبل .  
رابعاً : دوافع تمكن الفرد من التعرف على البيئة وتساعد على اعداد نفسه للحياة كدافع الاستطلاع ودافع اللعب . ( ٢ )

---

دافع الاستطلاع قد فتح الله سبحانه وتعالى صفحة الكون للجميع للنظر والتدبير وحث عليه بل جعله جزءاً من العبادة .  
لذا قال الله تعالى : ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ) ( ٣ )  
وقال الله تعالى : ( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ) ( ٥ )

---

( ١ ) أخرجه الترمذى كتاب الزهد باب ٣٤ ص ٥٧٤ ج ٤ . وأخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب ٩ ص ١٣٨٧ ج ٢ حديث رقم ٤١٤١ باب القناعة . وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد ج ١ ص ٣٩٤ .  
وأخرجه الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن ابى عاصم النبيل الضحاك بن مخلد الشيبانى المتوفى سنة ٢٨٧ هـ فى كتاب الزهد ص ٩٩ - تحقيق د . عبد العلى عبد الحميد - الدار السلفية برمباى ٣ .

( ٢ ) علم النفس العام - احمد عزت - ص ٨٨

( ٤ ) سورة الانعام آية : ١١ .

( ٥ ) سورة الغاشية آية : ١٧ .

عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين (١) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( أن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به والممد به وقال : ارموا واركبوا ، ولأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا ، كُلُّ مَا يَلَهُ بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمِيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيَتِهِ فَرَسَهُ وَمَلَاعِبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ ) (٢) .

اذن فدافع اللعب المشروع من الدوافع التي أقرها الرسول صلى الله عليه وسلم لما لها من أثر على النمو النفسى والجسمى والتألف بين الزوجين .

ثانيا الدوافع الثانوية :-

وتشمل دافع التملك والادخار - ودافع العدوان والسيطرة وغيرها

(١) عبد الرحمن بن الحسين بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف المكي النوفلى وامه أم عبد الله بنت ابي سروعه قال احمد والنسائى وابو زرعه ثقة وذكره ابي حبان فى الثقات وقال ابي عبد البر ثقة عند الجميع فقيه عالم بالمناسك .  
تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٩٣ .

(٢) أخرجه الترمذى كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء فى فضل الرمى فى سبيل الله ج ٤ ص ١٧٤ حديث ١٦٣٧ وقال ابو عيسى وهذا حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن ماجه كتاب الجهاد باب الرمى فى سبيل الله حديث ٢٨١١ ج ٢ ص ٩٤٠ - وأخرجه احمد ج ٤ ص ١٤٤ - ١٤٨ . وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ج ٢ ص ٩٥ وقال الذهبى صحيح .

وسأشير الى موقف القرآن والسنة الى كل من هذه الدوافع من حيث  
الاقرار بهذه الدوافع ثم الضوابط التي تحد من حدة الدوافع .

### اولا دافع التملك والادخار :-

لضمان حفظ الذات وحفظ النوع كان لا بد من الاستحواذ على اشياء  
من الطعام والشراب والملبس وغيرها من الحاجات .. خوفا من نفاذها  
وتعرض الانسان للهلاك . (١) .

وهو من الدوافع النفسية التي يتعلمها الانسان اثناء تنشئته  
الاجتماعي فيتعلم من خبرته الشخصية حبة للامتلاك (٢) وقد اشار  
القرآن في كثير من المواضع الى دافع التملك .ومما يبين ان هذا  
الدافع من الدوافع الضرورية لقيام الحياة الطبيعية ان القرآن  
اشار الى حب الانسان الى المال والنساء .

قال الله تعالى : ( زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ  
وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ  
وَالحَرثِ ذَلِكُمْ مَتَعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ المَثَابِ ) (٣)

كما نلاحظ ايضا اقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لحب صحابته  
الى المال ولكنه طمأنهم على مستقبلهم وأن المال صائر اليهم ثم  
وجههم الى ضابط يحد من اندفاعهم وراء المال وتخويفه اياهم من  
كارثة جمعه وحبه حتى قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف

(١) دراسات في النفس الانسانية - سيد قطب - ص ١٧٠ .

(٢) القرآن وعلم النفس - عثمان نجاتي - ص ٢٩ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٤ .

عن عرووة بن الزبير انه اخبره ان المسور بن مخرمه (١) اخبره ان عمرو بن عوف (٢) وهو حليف لبنى عامر بن لؤى وكان شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ الْحَضْرَمِي فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتِ الْإِنصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أَنْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُمْ

(١) المسور بن مخرمه : بن نوفل بن اهياب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهرى ابو عبد الرحمن امه الشفا بنت عوف اخت عبد الرحمن بن عوف روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابيه قال عمر بن على ولد بعد الهجرة بسنتين فقدم به المدينة فى عقب ذى الحجة سنة ثمان ومات سنة اربع وستين اصابه المنخيف وهو يصلى فى الحجر فمكث خمسة ايام وهو ابن ثلاث وستين .  
تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٥١ .

(٢) عمر بن عوف الانصارى : المعروف عند اهل المغازى انه من المهاجرين وهو موافق لقولهم انه حليف لبنى عامر بن لؤى لانه يشعر بكونه من اهل مكة ويحتمل ان يكون وصفه بالانصارى بالمعنى الاعم ولا مانع ان يكون اصله من الأوس والخزرج ونزل مكة وحالف بعض اهلها فهذا الاعتبار يكون انصاريا مهاجرا - وهو معدود فى اهل بدر باتفاقهم ووقع عند موسى بن عقبه فى المغازى انه عمير بن عوف بالتصغير وكأنه يقال فيه بالوجهين وهو الصواب .  
وقال ابن حجر ظهر لى ان وصفه بالانصارى وهمم .  
فتح البارى ج ٦ ص ٢٦٢ ، انظر التهذيب ج ٨ ص ٨٧ .



ثم قال : ( أَظْنَكُم سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عَبِيدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ ؟ قَالُوا أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَبَشِّرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسْرُكُمُ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تَبْسُطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، كَمَا بَسِطَتْ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِكُمْ فَتَنَّا فُسُوهَا كَمَا تَنَّا فُسُوهَا وَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ ) (١)

هكذا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوك الصحابة بالموعظة الحسنة اذ ابان لهم انه لا يخشى عليهم الفقر ولكنه يخشى من انغماسهم فى الدنيا وملذاتها .

اذن فقد اباح الاسلام جمع المال والتملك ولكنه هذب هذه الغريزة ووجهها توجيهها صحيحا فحرم الكسب الحرام .

كما نهى عن ان يكون كل هم ابن آدم جمع المال فلا ينصرف الا اليه كما فى حديث ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار والدرهم والقطيبة والخميصة ان اعطى رضى وان لم يعط لم يرضى (٢) . فكان توجيهه صلى الله عليه وسلم لتخفيف حدة هذا الدافع الى النفقة والصدقات .

عن ابي هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط

(١) اخرجه البخارى كتاب المغازى باب ١٢ ص ١٠٨ ج ٥ كتاب الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ج ٨ ص ١١٢ .  
واخرجه مسلم كتاب الزهد ح ٩٥ ج ١٨ . واخرجه الترمذى كتاب القيامة باب ٢٨ ص ٦٤ ج ٤ حديث ٢٤٦٢ . واخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب ١٨ فتنة المال ص ١٣٢٤ ج ٣ حديث ٣٩٩٧ . واخرجه احمد ج ٤ ص ١٣٧ - ص ٣٢٧ - ص ٦٠ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب الجهاد ص ٤٢ ج ٤ واللفظ له - كتاب الرقاق باب ١٠ ما يتقى من فتنة المال ص ١١٤ ج ٨ .

منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلتفا . (١) .  
 وفى ذلك قال الله تعالى : ( مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا  
 فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَوَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ) (٢) .  
 وقال الله تعالى : ( مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ  
 يَشَاءُ ) (٣) .

ويقول سيد قطب : كان لا بد كذلك من الحداء من الامام والالم من  
 الخلف (٤) فعلى هذا نقول ان الدافع المحرك لهذا الدافع هو الحداء  
 بمعنى الجذب للذه التملك التى يميل اليها الانسان والتى اقرها  
 القرآن والسنة النبوية .

وكذلك الالم من الخلف بمعنى ان هذا الالم هو الضابط للاندفاع  
 المتهور وراء لذة طلب المال او المسكن او نحوها .  
 اذن لقد وجه الاسلام دافع حب المال ليسمو به فلا يستغرق هذا الحب  
 مشاعر المؤمن على وجهه لكى يتفق فى سبيل الله كالصدقات والزكاة  
 والكسب الطيب الحلال وتحريم الكسب المحرم ونحوها فنجد هذا التوجيه  
 ضابطا لسلوك المؤمن لكى لا يستغرق حب المؤمن ومشاعره .

---

(١) اخرجه البخارى واللفظ له كتاب الزكاة باب قول الله تعالى :  
 (فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) واما من  
 بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ) وقوله صلى الله  
 عليه وسلم : ( اللهم اعط منفق مال خلفا ) ج ٢ ص ١٤٢ واخرجه  
 مسلم كتاب الزكاة باب ٥٧ كل نوع من المعروف صدقه ج ٧ ص ٩٦  
 بشرح النووى .

واخرجه احمد ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣٤٧ و ج ٥ ص ١٩٧ .

(٢) سورة الحديد آية : ١١

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦١ .

(٤) دراسات فى النفس الانسانية ص ١٧٠ .

والملك رغبة عفيفة جدا فى حس الانسان فهو يجد لذة كبرى فى ان يمتلك كما يجد الما عنيفا فى الحرمان ( ١ ) .  
ثانيا : دافع السيطرة والعدوان :-

ويظهر دافع العدوان فى سلوك الانسان العدوانى تجاه الآخرين بهدف الحاق الاذى بهم سواء كان ذلك فى صورة عدوان بدنى او فى صورة عدوان لفظى . ( ٢ ) .

ودافع العدوان قد يكون سببه حب السيطرة والبروز مما يدفع الانسان الى الحاق الاذى بالآخرين - او قد يكون الدافع للعدوان هو شدة الغضب وسنرى كيف عالج القرآن والسنة موضوع الغضب والعدوان وكيف حاد بهما عن حب للسيطرة والظهور حتى اصبح لا وجود للعدوان ولا وجود لشدة الغضب المؤدى الى العدوان .

قال الله تعالى : ( اِدْفَعْ بِاَلَّتِي هِيَ اَحْسَنُ فَاِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَاَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ) ( ٣ ) .

فهذا توجيه من الله سبحانه وتعالى الى دفع الاسائة بالاحسان ثم تتقلب العداوة مودة ومحبة .

وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم من حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ اِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ كَمَا يَمْلِكُ الْعَضْبُ ) ( ٤ ) .

(١) دراسات فى النفس الانسانية - ص ١٩٣ .

(٢) القرآن وعلم النفس - عثمان نجاتى - ص ٤١ .

(٣) سورة فصلت آية : ٣٤

(٤) أخرجه البخارى كتاب الادب باب ٧٦ ص ٣٤ ج ٨ - وأخرجه مسلم

كتاب البر باب ١٠٧ - ١٠٨ - فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأى

شئ يذهب الغضب ص ١٦١ ج ١٦ . وانظر ايضا الموطأ كتاب حسن

الخلق باب ١٢ ح ٥٦٥ وأخرجه احمد ج ٢ ص ٢٣٦ ، ص ٢٦٨ - ٥٠٧ .

## الرد :-

هكذا وجه الاسلام دافع الغضب الى ان جعل الضبط فيه هو اساس القوة فلا قوة لمن لا يملك القدرة على السيطرة على غضبه ودفع الغضب بقوة الضبط فى النفس وان غضبت فلا تغضب الا لله ( والغضب لله مقام عال لا يقدر عليه الا من ترقى الى المقام الذى تسمى فيه النفس المطمئنة . (١)

وقد مدح تعالى الكاظمين الغيظ حيث قال ( وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) (٢) .

والمراد انه اذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعلموه وعفوا مع ذلك عن اساء اليهم - والغضب هو الدافع الى المعاصى فالانسان لا يرتكب عملا اذا الا اذا استفز اليه باى دافع من الدوافع حسب اسبابه وظروفه وهذا الاستفزاز الذى قد تولده اى الاسباب هو نفسه الغضب - اما اذا امتلك الانسان نفسه وراجعها وحملها على كظم الغيظ فهناك تحمد العاقبة ويزن الانسان نفسه ويملك اعصابه فينظر الى ما هو واقع بين يديه ويثوب الى رشده فلا يقع فى محذور (٣) وبهذا ظهر الرد على فرويد وعلى جنوحاته من ان الغضب موجود والعدوان موجود وان اظهر الانسان خلافه وان اساسه الناحية الجنسية . فالانسان من هذا العدوان المثار لاي سبب ووجهه توجيه صحيح فلا يغضب الا بنصره دين الله والحق .

(١) مخطوطة السير والسلوك الى ملك الملوك - تاليف قاسم الخانى

ص ٢٦ والخان قرية من قرى حلب ١١٩٥ هـ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .

(٣) ادب القرآن - تاليف فؤاد شاکر - ص ٤٦ ن ص ٤٧ " بتصرف " -

مطبعة ام القرى .

ثالثا : دافع الانتماء :-

( ويدفع الى الانتماء الشعور بالوحدة المؤلمة ويكون اشباعها بالتجمع (١) .

وقد سبق ان بينا رأى علماء النفس فى هذا الدافع وما يهمنى فى هذا الدافع الآن هو موقف القرآن والسنة من هذا الدافع هل اقر دافع الانتماء ام وقف معه على حياء ام نهى عنه .

الحقيقة ان هذا الدافع قد اقره الاسلام بمبدا اقراره بالزواج وتشجيعه عليه لينتمى الفرد الى أسرة فقال الله تعالى فى مشروعية

الزواج : ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ) (٢) .

وقال الله تعالى : ( وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ) (٣) .

وقال تعالى فى انتماء الابناء لاسرهم : ( ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ) (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم ( يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ) (٥)

هكذا شرع الاسلام وابعاح مبدا الانتماء بل سما به اذ جعل اهم رابط فى الانتماء هو رابط الاخوة الاسلامية فوضع مبدا الاخوة الاسلامية وسما بها لتعلوا على كل رباط فلاخوة الا بالله .

فالاخوة فى الدين اعلى مراتب الاخوة واعظمها واكبرها وهى رباط اجتماعى لا يماثله رباط آخر ولا يقاربه حتى الرباط بين الوالد وولده وبين الاخ فى النسب واخيه . (٦)

(١) لمحات نفسية فى القرآن الكريم ص ١١٠ .

(٢) سورة النور : آية ٣٣ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٤) سورة الاحزاب آية : ٥ .

(٥) سبق تخريجه ص ٥٠

(٦) السلوك الاجتماعى فى الاسلام - حسن ايوب - دار البحوث العلمية -

فهذا نوح نبي الله عليه السلام ينفى الرباط بينه وبين ابنه لاختلاف الدين فيقول الله تعالى: ( رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ) فيقول تعالى له: ( يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ) (١) .

ولذا يقرر الاسلام مبدا الاخوة والتي يكون بها الانتماء فيقول الله تعالى: ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ : يَكْفُ عَلَيْهِ ضِيَعَتَهُ (٣) وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ (٤) .

هذا مبدا الاخوة فى الله ومبدا الانتماء الى الجماعة والاقرار به حتى قال صلى الله عليه وسلم فى اقرار هذا المبدأ عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَكَنَتِ الْأَنْصَارُ

(١) سورة هود آية : ٤٥ - ٤٦ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٠ .

(٣) ضياعته ما يكون سبب معاشه من ضاعه او غيره . معالم السنن للخطابى ج ٥ ص ٢١٧ .

(٤) اخرجه ابو داود كتاب الادب باب النصيحة والحياطه حديث ٤٩١٨ ج ٤ ص ٢٨٠ واخرج نحوه الترمذى كتاب البر والصله باب ما جاء فى شفقته المسلم ج ٤ ص ٣٢٥ وقال يحيى بن عبيد الله ضعفه وشعبه .

وَإِدِيًّا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ( ١ ) .

مع انه صلى الله عليه وسلم قرشى وليس من الانصار .

رابعاً : دافع الحب والحنان :-

لقد ذكر علماء النفس اهمية هذا الدافع فى التكوين النفسى

للطفل حتى ينمو نموا سليما .

ويشير القرآن الى عاطفة الأمومة وشوقها المتلهف الى حب الابن

كما فى قصة سيدنا موسى . وكذا شوق الاب للبنوة وحب الابناء كما فى

دعاء زكريا عليه السلام .

ويصف القرآن عواطف الام وحبها لاولادها وشغفها بهم وخوفها عليهم

وحزنها لبعدهم عنها ، وفرحها لقربهم (٢) منها فقال الله تعالى

: ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتَبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ

قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) ( ٣ ) .

(١) أخرجه البخارى كتاب التمنى باب ما يجوز من اللو ص ١٠٦ ج ٩ -

وكتاب مناقب الانصار باب مناقب الانصار والذين تبؤ الدار - ص

٣٨ ج ٥ باب قول النبی صلى الله عليه وسلم لولا الهجرة لكنت من

الانصار - ص ٣٨ ج ٥ . كتاب المغازى باب غزوة الطائف ص ٢٠١ ج ٥

• حديث الانصار كتاب الزكاة باب اعطاء المؤلفة ومن يخاف على

ایمانه ص ١٥١ ج ٧ ، ص ١٤٢ - ١٥٣ - ١٥٦ ، وحديث ٣٩٠١ .

وأخرجه ابن ماجه كتاب المقدمة باب فضائل اصحاب رسول الله

وفضل الانصار ص ٥٧ ج ١ رقم الحديث ١٦٣ . وأخرجه احمد فى

مسنده ج ١ ص ٥ و ج ٢ ص ٤١٠ - ٤١٤ - ٤١٩ - ٤٦٩ - ٥٠١ ، ج ٣

ص ٥٧ - ٦٧ - ٧٧ - ٨٩ - ١٦٩ - ١٧٢ - ١٨٨ - ٢٤٦ - ٢٤٩ - ٢٧٥ -

٢٨٠ ، ج ٤ ص ٤ ص ٤٢ ، ج ٥ ص ١٢٧ - ١٣٨ - ٣٠٧ .

(٢) القرآن وعلم النفس المعاصر - عثمان نجاتى ص ٣٧ . "بتصرف "

(٣) سورة القصص آية : ١٠ .

وقال الله تعالى فى بيان شغف الاباء بأبنائهم والأمهات بأبنائهن  
( لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِمْ ) ( ١ ) .

وفى دعاء زكريا عليه السلام لشغف الوالد بحب الولد وطلبه ابا  
حتى قال ( هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً  
إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ) ( ٢ ) .

ويشير القرآن الكريم الى حاجة الطفل الى امه وحبها لها " لكى  
يشبع الطفل دافع الحب والعطف والحنان يوصينا القرآن باتمام  
الرضاعة عامين كاملين تأكيدا لاشباع الدافع الى الحب والحنان  
للطفل الرضيع (٣) قال الله تعالى ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ  
أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ  
الْمَصِيرُ ) ( ٤ ) .

ومن أجل ذلك يضع الاسلام ضوابط لغريزة الحب والكره ضوابط تتصل  
بالروح وضوابط تتصل بالعقل وجميعها تتصل بالله ( ٥ ) .

ولذا فان الاسلام اباح الحب فى الله والبغض فى الله الذى قام به  
المجتمع فى الرعيل الاول فكون مجتمعا منقطع النظير .

هكذا عالج الاسلام الدوافع الفطرية الأولية - والمكتسبة الثانوية  
ليس هنالك قمع لهذه الدوافع ولا انكار لها بل اقرار بها واعتراف  
كامل بكل الدوافع .

وان كان القرآن لم يذكر لنا كل الدوافع بل ذكر بعضها فانما

(١) سورة البقرة آية : ٢٣٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٣٨ .

(٣) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام د . محمد محمود محمد ص ١٤٨  
"مرجع سابق .

(٤) سورة لقمان آية : ١٤ .

(٥) دراسات فى النفس الانسانية ص ١٥٢ - مرجع سابق .



هو بذلك يفسح لنا المجال للنظر والتتبع والاستنتاج بناء على الدوافع الكبرى التي اشار اليها .

وانا اذا نظرنا الى كتاب الله عزوجل لا نجده يسميها دوافع وانما لها مسميات اخرى سوى الدوافع ولذا يقول الهاشمي .

(بالنسبة للدوافع نجد ان القرآن يضى عليها سمات محببة لان

الله فطر الناس عليها وام تلك السمات القرآنية للدواع ما يلي ( ١ ) دوافع طيبات وحلال وخير وهذه الصفات من اشد درجات الاعتراف

بهذه الدوافع واحترامها . وعدم محاولة التنكر لها او محاربتها فليس فى التربية القرآنية كبت ( ١ و عقد ) للدوافع

بل هى حلال ومن الطيبات . ( ١ ) .

( ٢ ) وهى عامة للناس جميعا قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ

كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ) ( ٢ ) اذن دافع الاكل حلال وطيب .

وصف المال بانه خير لانه يؤدى الى الخير " فالمال وسيلة لفعل الخير انفاقا ووسيلة لرخاء العيش شكرا لله تعالى وذلك خير

ايضا ( ٣ ) .

قال الله تعالى : ( كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ) ( ٤ ) .

( ٣ ) الدوافع زينة الحياة لانها تجعل الحياة ذات بهجة وحيوية تدفع

للعمل والكسب والانجاب للبنين والبنات ودافع الاكل والشرب وارتداء الملابس الجميلة . كما نجد ذلك مفصلا فى الايات

التالية :-

(١) لمحات نفسية فى القرآن الكريم للهاشمي ص ٢١٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٨ .

(٣) لمحات نفسية فى القرآن الكريم للهاشمي ص ٢١٤ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٠ .

دافع المال قال الله تعالى : ( الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ) (١)  
دافع حب الزينة والاقرار بها قال الله تعالى ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ  
اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادَةٍ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَعْلَمُونَ ) (٢) .

( ٤ ) ان تكون الدوافع فى مستواها الطبيعى دون تعمد الاشارة  
الاصطناعية المتكلفة لان الاستشارة ترهق الاعصاب والعضلات والاجهزة  
العضوية الجسمية المتمله بتلك الدوافع (٣) .  
هكذا ظهر لنا موقف الاسلام من الدوافع وهو وان لم يسمها دوافع  
ولكنه سماها باسماء اخرى كزينة وحلال وطيبات " فدوافع الفرد  
هى نقط الابداء التشرب معارف ومهارات من يعتمد عليهم ممن هم  
اكثر نضجا وهى كذلك حواسنا التى نرسلها لجمع الغذاء الذى  
نحتاج اليه من التقاليد والتى تجعل من الطفل فى الوقت المناسب  
فردا قادرا على العمل المستقل وهى الوسائل لتحويل القوة  
الاجتماعية الحالية الى قدرة فردية وهى وسائل لنمو العقول (٤)  
فكان من الطبيعى ان لا يحاربها الاسلام ولا يكبتها بل نظمها كما  
يقول سيد قطب " كل دافع من الدوافع يحمل معه قوته الدافعة .  
ولكنه يحملها بطريقة فذة فيها كل الضمانات التى تضمن الا  
يتعطل الدافع او تغلبه العقبات .لايكفى ان يكون الدافع من  
الخلف بل يصحبه الجذب من الامام حتى اذا ضعفت

(١) سورة الكهف آية : ٤٦ .

(٢) سورة الاعراف آية : ٣٢ .

(٣) لمحات نفسية فى القرآن الكريم ص ٢١٤ " بتصرف " .

(٤) الطبيعة البشرية والسلوك الانسانى - جون ديوى - ص ١١٦ .

احدى القوتين لسبب من الاسباب كانت كفيلة بآداء الدور المطلوب (١)  
ويقصد بالآخرى هى الضوابط لذا فساشير الى تعريف الضوابط .

### الضوابط فى اللغة :-

( ضبطه ضبطا وضباطه حفظه بالحزم . ورجل وجمل ضابط وضبطى قوى شديد وتضبطه اخذه على صبر وقهر ) (٢)  
وجاء فى لسان العرب الضبط لزوم الشيء وحبسه . وضبط علمه يضبط ضبطا وضباطه لزوم الشيء لا يفارقه فى كل شيء . وضبط الشيء حفظه بالحزم والرجل ضابط اى حازم . يقال فلان لا يضبط عمله اذا عجز عن ولايه ما وليه . (٣)  
وقيل ضبطه ضبطا وضباطه حفظه حفظا بليغا ولزمه وقهره وقوى عليه واحكمه واتقن عمله . وفلان لا يضبط عمله اى لا يقوم لما فوض اليه ولا يضبط قراءته ولا يحسنها (٤) . وضبط الكتاب ونحوه اصلح خلله او صححه وشكله . ويقال ضبط البلاد وغيرها قام بامرها قياما ليس فيه نقص . (٥)  
اذن الضبط صنعه تؤدى الى الاتقان فى العمل والقوة والشدة . وهذا يعنى ان الضبط هو الذى يوجه الدوافع توجيهها سليما بحيث تؤدى الى القوة والشدة والتوازن مع متطلبات الانسان . لذا يعرف علماء النفس الضوابط بما يلى :-

- 
- (١) دراسات فى النفس الانسانية - سيد قطب - ص ١٦٨
  - (٢) القاموس المحيط - ج ٢ - ص ٣٨٤ .
  - (٣) لسان العرب ج ٩ ص ٢١٤ . وانظر ايضا تاج العروس ج ٥ ص ١٧٤
  - (٤) اقرب الموارد - ط ١ ص ٦٧٥ .
  - (٥) المعجم الوسيط ج ٢ ص ٥٣٥ .

الضوابط قوة فطرية تولد مع الانسان كامنة فى كيانه ولكنها لا تظهر فى مبدأ الامر كما تظهر الدوافع . ثم انها فى حاجة الى مساعدة خارجية ليتم لها النماء والنضج والا بقيت ضامرة لا تؤدى وظيفتها كاملة فى حياة الانسان . (١)

اذن فى كيان الانسان قوة ضابطة تمنع الشصط فى اى دافع من الدوافع الفطرية او المكتسبة . (٢) .

ويظهر من هذا ان الاسلام لم يترك الدوافع سواء الفطرية ام المكتسبة بدون تهذيب او ضبط بل جمعها تحت لواء عاطفة كريمة هى التدين والخشوع والخضوع لطاعة الله سبحانه وتعالى .

فقد اعد الاسلام للعبد المؤمن اجرا وثوابا كبير ازاء تهذيبه لدوافعه واشباعها بالطرق الشرعية السوية التى ترضى الله تعالى ورسوله الكريم (٣) .

وفى ذلك حديث جامع يضع الفرد امام نفسه فيسمو بكل دوافعه ويعلو بها ليصل الى درجة التقوى . عن ابن عباس قال : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَقَالَ يَا غُلَامُ مِمَّ عَلِمْتَ كَلِمَاتٍ يَأْخُذُ اللَّهُ بِحِفْظِكَ ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تَجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصُّحُفُ . (٤)

(١) دراسات فى النفس الانسانية - سيد قطب ص ١٧٣ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٠

(٣) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - د. محمد محمود محمد ص ١٦٤

(٤) اخرجه الترمذى كتاب صفة القيامة باب ٥٩ ص ٦٦٧ ج ٤ . حديث

قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وقد زود الله سبحانه وتعالى الانسان بوسائل الادراك والتي هي بدورها تعمل كضوابط تحد من حدة الدوافع وتوجيهها التوجيه السليم فقال تعالى فى بيان هذه الوسائل ( وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ) (١) فالعلم وسيلة من وسائل الادراك وهو ايضا وسائل انضباط الشهوات وعدم اندفاعها الا بعد الوعى والادراك زوده قال الله تعالى : ( قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ) (٢) .

فهذه الوسائل الثلاث يستطيع الانسان بها ادراك ما ينفعه مما يضره وبالتالي يمكن بعد هذا الادراك ان تكون ضوابط للاندفاع المتهور وراء الشهوات .

وزوده بارادة والاختيار قال الله تعالى ( وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ) (٣) وقال الله تعالى ( وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ) (٤)

فان كان قد زود الانسان بوسائل الاختيار والمعرفة فهو جدير بان يختار احسن الطرق الموصلة الى رضى الله فى الدنيا والاخرة فيستطيع تعمير هذه البسيطة كما هيا الله لها ويستطيع ايضا بذلك ان يصل الى رضوان الله سبحانه وتعالى من حدة هذه الشهوات وتوجيهها التوجيه المناسب لتعمل فى الحياة الدنيا باتزان تام .

(١) سورة البقرة آية : ٣١ .

(٢) سورة الملك آية : ٢٣ .

(٣) سورة الشمس آية : ٧ - ١٠ .

(٤) سورة البلد آية : ١٠ .

## الباب الثاني

### ضوابط السلوك النفسية

وهو في عشرة فصول :-

الفصل الأول : الاستقامة .

الفصل الثاني : تحسين ما حسنه الشرع وتقيح ما قبحه .

الفصل الثالث : الاقتداء بالنبيين والذين معهم .

الفصل الرابع : اجتناب البدعة .

الفصل الخامس : مراقبة الله عز وجل .

الفصل السادس : امتلاك زمام النفس ونهيتها عن الهوى .

الفصل السابع : الرغبة في الجنة وما فيها والرغبة من النار وما فيها

الفصل الثامن : الحب في الله والبغض في الله .

الفصل التاسع : احترام الآداب العامة في المجتمع المسلم .

الفصل العاشر : حذر المسلم أن يكون مفتاحا للشر .

## ضوابط السلوك النفسية

ويقتضى منهج البحث ان اشير الى معنى الضابط والسلوك فى اللغة والاصطلاح .

### اولا : الضوابط - :

#### ١ - الضوابط فى اللغة :-

( ضبطه ضبطا وضابطه حفظه بالحزم ورجل ضابط وضبطى قوى شديد وتضبطه اخذه على صبر وقهر ) ( ١ ) .

وجاء فى لسان العرب رجل ضابط اى حازم وضبط الشئ اى حفظه بالحزم ( ٢ ) .

فاذا من معنى الضبط اللغوى يتجلى لنا ان الضبط وسيلة من وسائل المنع بالقوة والشدة فان كان السلوك سيئا اضطر الانسان الى استخدام الضبط لمنع الفعل القبيحة ومن هنا يظهر لنا دور الضبط فى تنشئة الجيل .

#### ٢ - الضوابط فى الاصطلاح :-

ان الضوابط قوة فطرية تولد مع الانسان كامنة فى كيانه ولكنها لا تظهر فى مبدأ الامر كما تظهر الدوافع ثم انها فى حاجة الى مساعدة خارجية ليتم لها النماء والنصح والا بقيت ضامرة لا تؤدى وظيفتها . ( ٣ )

( ١ ) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٧٠ .

( ٢ ) لسان العرب ج ٩ ص ٢١٤ .

( ٣ ) دراسات فى النفس الانسانية ص ١٧٣ .

## ثانياً السلوك :-

---

### ١ - في اللغة :-

---

السلوك مصدر تسلك طريقاً وسلك المكان يسلكه وسلوكاً وسلوكه غيره وفيه واسلكه اباه وفيه وعليه (١) .

وقيل السلوك سيره الانسان ومذهبه واتجاهه يقال فلان حسن السلوك او سيء السلوك (٢)

### ٢ - السلوك فى الاصطلاح :-

---

هو عمل ارادى يسمى سلوكاً تقول الصدق والكذب والكرم والبخل . والسلوك الانسانى اسس نفسيه يصدر عنها كالغريزة والعادة ولا تقع حواسنا على هذه الاسس ولكن على اشارها وهى السلوك فنحن لا نحس بالغريزة ولكن نحس بما يصدر عنها وبمعرفة اسس السلوك نستطيع ان نعالجه ان كان سيئاً او تشجيعه ان كان حسناً (٣) .

فالانسان كما يصوره القرآن كائن متعدد الميول والمواهب والحاجات وتستقطب قراه ثنائية ظاهرة فهناك الميول الروحية او الروح التى تقوم بضبط الميول الانسانية واخضاعها لمقتضيات الدين والرسل والرسالات لطف الهى فالانسان هدفه التمكين للميول الروحية لديه (٤)

---

(١) لسان العرب ج ١٠ ص ٤٤٢ .

(٢) المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٤٧ مجمع اللغة العربية دار اجياء التراث - بيروت .

(٣) الأخلاق موسوعة احمد امين الأدبية ص ٢٤ دار الكتاب العربى .

(٤) الفضائل الخلقية فى الاسلام احمد عبد الرحمن ابراهيم ص ١٣٧ .



فاذا دوافع السلوك ذات قيمة خاصة بالنسبة للتربية لان الهدف العام من التربية هو تكوين المؤمن الصالح الذى يتميز بعملية توافق سليمة مع بيئته الخارجية بحيث ينسجم مع مجتمعه طالما انه جزء فى هذا المجتمع ولا شك ان المؤمن الصالح لا بد ان يتميز بشخصية سليمة تتصف بتنظيم دوافعها الداخلية مع متطلبات الدين والحياة .  
 ( وهكذا يتصف السلوك الحيوى بصفات مختلفة فهو غرض بمعنى انه لا سلوك دون دافع معين يكمن وراءه يحدد له الهدف الذى يرمى اليه ولكى يحدث السلوك لا بد له من وجود حافز او دافع له . (١)  
 ومن هنا يبرز لنا أهمية السلوك وسبب الاهتمام به اذ بمقتضاه تهذب الاخلاق وبدراسة السلوك يستدل على سلامة حسن الفعل او قبحه فان كان حسنا كان السلوك عليه حسنا وان كان سيئا وجه الطفل او الناشئة للانضباط امام الفعل القبيح ليمنع عنه .  
 وسأعرض الى ضوابط السلوك النفسية وأثرها على ضبط النفس عن اتباع الهدى .

---

(١) علم النفس التربوى . احمد زكى صالح ص ٧٩٠ - ٧٩١ يتصرف -  
 مكتبة النهضة .

# الفصل الأول

## الاستقامة

## الفصل الأول

## الاستقامة

ان الله سبحانه وتعالى قدم للانسان رسم منهاج يسير عليه وخطة يلتزمها في سلوكه مع الله ومع غيره . وهذا المنهج يتلخص في امرين :-

١ - صحة الايمان بالغيب كله كما جاء في القرآن بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تاويل .

٢ - التزام كتاب الله وما فسرت به سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا ومتابعة هذا المنهج وترسم هذه الخطة هو المعبر عنه بلا استقامة وقد اشار الله سبحانه الى هذا في قوله الكريم : ( **وَإِنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَطَعْمٌ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ) (١)

اي ان صراط الله وطريقه الذى جعله منهاجاً للسلوك مستقيماً لا عوج فيه وان على الناس ان يتبعوا هذا الطريق السوي وانهم اذا اتبعوه وساروا عليه امنوا من الزيغ والضلال فى الدنيا وسعدوا برضوان الله ونعيمه فى الآخرة . (٢) .

ولهذا فمنهج الله عزوجل هو المنهج القويم والذى يستحق الداومة عليه لكى ينضبط سلوك الفرد والمجتمع معا عليه فلا اتباع للاهواء ولا سلوك على مبادئ مبتدعه واهواء متفرقة بل هو منهاج واحد وثبات عليه كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ( **فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ** ) (٣) . فالامر له وامر لامته بدوام السير على منهاج الله عزوجل . ولذا فساتطرق فى هذا الفصل الى الاستقامة وموقف الاسلام من هذا المنهج الذى رسمه سبحانه وتعالى لعباده .

(١) سورة الانعام آية ١٥٣ .

(٢) اسلامنا سيد سابق ص ١٤٥ دار الكتاب العربى بيروت لبنان .

(٣) سورة الشورى آية : ١٥ .

الاستقامة فى اللغة :-

الاستقامة التقويم - استقامت المتاع اى قومته - والقائم بالدين المتمسك به الثابت عليه وكل من ثبت على شىء وتمسك به فهو قائم عليه قال تعالى : ( لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ) (١) .  
انما هو من المواظبة على الدين والقيام به . وقال الفراء القائم المتمسك بدينه . وقال تعالى : ( لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ) (٢) اى مواظبا ملازما . يقال قام فلان على الشىء اذا ثبت عليه وتمسك به اى داوموا لهم فى الطاعة واشتوتوا عليها ما داموا على الدين وثبتوا على الاسلام يقال قام واستقام كما يقال اجاب واستجاب قال الخطابى الاستقامة هنا الاقامة على الاسلام . (٣) .  
الاستقامة فى الاصطلاح :

اولا الاستقامة عند المفسرين :

وقد وضع علماء التفسير لهذا المصطلح عدة تعريفات :-

( ١ ) الاستقامة هى لزوم المنهج المستقيم وهو التوسط بين الافراط والتفريط وهى كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل وسائر الاخلاق فتشمل العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين والامور الخاصة به . (٤) .

فعلى هذا التعريف يتضح لنا ان الاستقامة تشمل كل ما يتعلق بالحياة من العلم والعمل والاخلاق والعقائد .

(١) سورة آل عمران آية : ١١٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧٥ .

(٣) لسان العرب ج ١٢ ص ٥٠٠ - ص ٥٠١ .

(٤) تفسير روح المعانى للالوسى ج ١٢ ص ١٥٢ .

## تعريف القرطبي :-

٢ ( الاستقامة : ) اعتدلوا على الطاعة عقدا وقولا وفعلا وداموا على ذلك . (١)

والاعتدال بمعنى المتوسط فقد اتفق مع الالوسي في ان المتوسط هو من  
٣ ( الاستقامة . وقد نقل العلماء تفسير الصحابة رضى الله عنهم  
للاستقامة فقالوا : قال ابو بكر رضى الله عنه : ( فى الاستقامة  
ان لا تشرك بالله شيئا ) (٢) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
: ( هى ان تستقيم على الامر والنهى ولا تروغ وروغان الشعالب ) .  
وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : ( هى اخلاص العمل لله ) .  
وقال على ابن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس : ( الاستقامة  
اداء الفرائض ) .

وقال الحسن : ( الاستقامة هى العمل بالطاعات واجتناب المنهيات )  
وقال مجاهد : ( استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى  
لحقوا بالله ) (٣) .

(١) القرطبي ج ١٥ ص ٣٥٨ .

(٢) مدارج السالكين ج ٢ ص ١٠٨ . للامام السلفى المحقق ابى عبد  
الله محمد ابى بكر بن ايوب ابن قيم الجوزية . دار الكتب  
العلمية - بيروت .

(٣) ص ١٠٩ ج ٢ المدارج وانظر رايشا تفسير روح المعانى للالوسي  
ج ٢٤ ص ١٢١ .

## ٤ - تعريف الهروي (١) :

يقول الهروي : ( الاستقامة روح تحس بها الاحوال كما تربو للعامة عليها الاعمال . وهي برزخ بين اوهاد التفرق وروابي الجمع ) (٢) .

٥ ( وقال ابن القيم قولا جامعاً في تعريف الاستقامة :

( الاستقامة هي السداد والاصابة في النيات والاقوال والاعمال (٣) فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجاميع الدين وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد . والاستقامة تتعلق بالاقوال

(١) شيخ الاسلام هو الحافظ الزاهد ابن اسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن احمد بن علي بن جعفر بن منصور بن حسن الانصاري الهروي . من ذرية ابي ايوب الانصاري رضى الله عنه ولد سنة ست وتسعين وثلاث مائة . صنف الاربعين وكتاب الفاروق في الصفات وكتاب ذم الكلام واهله وكتاب منازل السائرين . وكان سيفاً مسلولاً على المخالفين وجزعاً في اعين المتكلمين وقد امتحن مرات قال ابن طاهر وسمعته يقول بهراه عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي ارجع عن مذهبك لكن يقال لي اسكت عن خالفك فاقول لا اسكت . وهو من دعاه السنة وعصبه آثار السلف .

توفى في ذي الحجة سنة احد وثمانين واربع مائة وقد جاوز اربعا وثمانين سنة ١١٨٣ ص ١١٩٠ تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ .

(٢) منازل السائرين للهروي مرجع سابق . ص ٣٢ / لشيخ الاسلام عبد الله الانصاري الهروي - ٣٩٦ - ٤٨١ ، حققه وترجمه وقدم له الاب دى لوجيه دى بوركى الدومنى . مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة عام الطبع ١٩٦٢ هـ .

(٣) ص ١٠٩ المدارج ج ٢ .

والأفعال والأحوال والنيات فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى  
أمر الله . (١)

فعلى هذا فشرط الاستقامة وقوعها لله أى إخلاص وخلص العمل من  
الرياء . والمتابعة فى أمر الله عزوجل فلا يزداد على فرائضه ولا  
ينقص منها لتقع الاستقامة فى الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .  
ثانيا : الاستقامة عند المحدثين :-

١ - هى لزوم طاعة الله تعالى - وهى من جوامع الكلم وهى نظام  
الأمور . (٢) .

٢ - الاستقامة هى التزام منهج الإسلام . (٣)  
فلو نظرنا الى تعريفات العلماء جميعها نجد أنها تتفق فى  
تعريف الاستقامة على النحو التالى :-

- ١ ( المداومة على العمل .
  - ٢ ( المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما شرع .
  - ٣ ( الإخلاص وخلص العمل من الرياء والسمعة ظاهرا وباطنا قولاً  
وفعلاً .
  - ٤ ( الاعتدال فلا إفراط ولا تفريط .
  - ٥ ( الاستمرار على الطاعة فلا يقطعها لعارض طرأ عليه .
- ورود الاستقامة فى القرآن :-

وقد وردت الآيات فى كتاب الله تحث على الاستقامة والامتابعة  
ولزوم العمل فقال تعالى موجهها الخطاب لخير البرية وقدوة الأمة  
محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ص ١١٠ المدارج ج ٢ .

(٢) ج ١ ص ٢٨٢ دليل الفالحين .

(٣) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ص ١٢٠ .

( فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ) (١) .

والمراد أن الاستقامة لا تتحقق الا اذا التزم المرء ما امر الله به وان النبي صلى الله عليه وسلم مطالب من الله بأن يلتزم الاستقامة هو ومن معه فمن تاب عن الشرك ورجع الى الله واتبع النبي صلى الله عليه وسلم الامى وان المؤمنين لا يحل لهم تجاوز ما امر الله به غلوا فى الدين فان ذلك طغيان والله مطلع على اعمال الناس يبصرها ويراهما فيجازى عليها الجزاء العادل ان خيرا فخييرا وان كان شر فشر . (٢) .

وقال القرطبي : ( الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره فاستقم على امتثال امر الله والمراد اطلب الاقامة على الدين من الله واساله ذلك ) .

فيدخل فى الخطاب اصحابه الذين تابوا عن الشرك وايضا امته من بعده (٣) ( فاستقم انت يا محمد على امر ربك والدين الذى بعثك به والدعاء اليه كما امرك ربك ومن تاب معك اى ومن رجع معك الى طاعة الله والعمل بما امره ربه من بعد كفره ) (٤)

وقال الالوسى والظاهر ان هذا امر بالدوام على الاستقامة وهى لزوم المنهج المستقيم . (٥)

فلم يكتف تعالى بأن يدعو محمدا صلى الله عليه وسلم الى الاستقامة ولا امته بل بين ان منهج دعوة صلى الله عليه وسلم اصلا هي

(١) سورة هود آية ١١٢ .

(٢) اسلامنا ص ١٤٨ ، ١٤٩ مرجع سابق .

(٣) ص ١٠٧ ج ٩ تفسير القرطبي مرجع سابق .

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ١٢ ص ٧٥ .

(٥) ج ٢ ص ١٥٢ تفسير روح المعانى للالوسى مرجع سابق



الدعوة الى الصراط المستقيم فقال تعالى : ( وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ) (١)

فلما بين سبحانه زيف بعض الطرق اتبعه ببيان صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ( وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) لأن ما دل الدليل على صحته فهو فى باب الاستقامة ابلغ من الطريق المستقيم - اما الذين لا يؤمنون بالآخرة فهم عادلون عن الطريق المستقيم (٢) .

وفى هذا اشارة الى التوجيه السماوى الذى كرم الله به المؤمنين والقانون الالهى الذى شرعه لغيرهم ونفعهم ضبطا للصلة القائمة بين المخلوق والخالق وتنظيما للعلاقة القائمة بين الانسان واخيه الانسان . (٣) ولم يكتف بهذا فحسب بل جعل منهجه صلى الله عليه وسلم هى الاستقامة على الصراط المستقيم والدعوة اليه . فقال تعالى : ( قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) (٤) .

أى هذه السبيل التى هى الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلى ادعو على بيان وحجة واضحة غير عمياء . (٥) فهذا هو شبابه فى الدعوة الى الله عزوجل والاستقامة على منهج التوحيد والايمان به عزوجل ولذا فقد اثنى الله على سائر المؤمنين الذين ساروا على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاستقامة

(١) سورة المؤمنون آية : ٧٣ - ٧٤ .

(٢) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ٢٣ ص ١١٢، ١١٣ "بتصرف" .

(٣) التيسير فى احاديث التفسير / محمد مكى الناصرى - دار الغرب الاسلامى ج ١ ص ٢٠ ، ١٤٠٥ هـ ط ١ .

(٤) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٥) روح المعانى للالوسى ج ١٣ ص ٦٧ .

على الدين والثبات عليه فلم يروغوا عنه ولم يميلوا يمنه ولا يسرة بل التزموا المنهج القويم فاشى الله عليهم بقوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ) (١) .

وفى هذه الآية بيان فضل المؤمنين الذين استقاموا ويقول العلماء فى ذلك " اى ان الذين آمنوا بالله ايماناً حقا واستقاموا على الطريق الذى رسمه لعباده . (٢) وتشمل :-

- ١ - الاقرار بوحدا نيته فلم يرجعوا الى الشرك .
- ٢ - المداومة على العمل الصالح والثبات عليه .

اذن فليس المراد من الاستقامة القول باللسان فقط لان ذلك لا يفيد الاستقامة فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا ان ذلك القول كان مقرونا باليقين التام والمعرفة الحقيقية ففى الاستقامة قولان :-

- ١ - ان المراد منه الاستقامة فى الدين والتوحيد والمعرفة .
  - ٢ - ان المراد منه الاستقامة فى الأعمال الصالحة فهذا قول جماعة .
- كبيرة من الصحابة والتابعين قالوا وهذا اولى حتى يكون قول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) متناولا للقول والاعتقاد ويكون قوله ثم استقاموا متناولا للأعمال الصالحة (٣)

(١) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(٢) اسلامنا سيد سابق مرجع سابق ص ١٤٨

(٣) ص ١٢١ ، ١٢٢ ج ٢٧ . التفسير الكبير مرجع سابق وانظر ايضا

دليل الفالحين ج ١ ص ٢٨٤ .

فهذا اثناء جميل على الذين آمنوا ثم استقاموا وقد تضمنت الآية عدة بشارات لهم وتشمل :-

- ١ - نزول الملائكة تبشرهم ان لا تخافوا من الموت وما بعده .
- ٢ - وان لا تحزنوا على ما خلفتم من اهل وولد فنحن نخلفكم فيهم (١)
- ٣ - وقيل تتنزل عليهم يمدونهم فيما يعن ويطرا لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام .
- ٤ - وقيل لا تخافوا رد حسناتكم فانها مقبولة . ولا تحزنوا على ذنوبكم فانها مغفورة .
- ٥ - وقيل المراد نهيهم على الغموم على الاطلاق . فعلى هذا يكون المعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا . (٢)
- ٦ - ولهم عند الله جميع الرغبات التى تشتهيها انفسهم ولهم جميع ما يطلبون وان ذلك اعدده الله لهم لانه غفور يتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم برحمته فى عباده الصالحين . (٣)

لكن ثمرة الاستقامة اعتقادا وعمل فجزاء الاستقامة عظيم عند الله وذلك لعظمتها وصعوبة الالتزام بها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية اشد من هذه الآية ولا اشق منها . واستدل بعض المفسرين على عسر الاستقامة (٤) بما ثبت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال : قال ابو بكر الصديق

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج ١ ص ٢٨٢ ، وانظر ايضا

اسلامنا سيد سابق مرجع سابق ص ١٤٨ .

(٢) روح المعانى للالوسى ج ٢٤ ص ١٢١ .

(٣) اسلامنا مرجع سابق ص ١٤٨ .

(٤) روح المعانى ص ١٥٤ ج ١٢

رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أراك قد شئت قال  
شيبتنى هود والواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت . (١) وذلك  
لأن الاستقامة تلزم الثبات على العمل والدوام عليه وهى بتوفيق من  
الله عزوجل وبهدايته ولذا قال تعالى ( وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَى الَّذِينَ  
آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) (٢)

قال الالكوسى : المراد بالصراط المستقيم النظر الصحيح الموصل  
الى الحق الصريح أى انه تعالى لهادى المؤمنين فى الأمور  
الدينية (٣) وهذه دعوة المؤمنين الخالدة اذ يدعو كلا منهم بالثبات  
على الهدى ولذا قال تعالى : ( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ) (٤)  
والمعنى على ذلك أى ثبتنا على الهدى أى العمل بما أمر الله  
به وترك ما نهى الله عنه فى جميع الأمور والهدى الى الصراط  
المستقيم يتناول التعريف بما جاء به الرسول مفصلاً ويتناول التعريف  
بما يدخل فى أوامره الكليات ويتناول الهام العامل بعمله فان مجرد  
العلم بالحق لا يحصل به الاهتداء ان لم يعمل بعلمه . (٥)

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستقامة والثبات  
على الطاعة ففى صحيح مسلم عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمُظِّىِّ قَالَ : قُلْتُ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ قُلْ  
آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ (٦)

- 
- (١) اخرجه الحاكم فى مستدرکه ج ٢ ص ٣٤٣ كتاب التفسير وقال هذا  
حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه . قال الذهبى (خ)  
(٢) سورة الحج آية : ٥٤ .  
(٣) روح المعانى ج ١٧ ص ١٧٤ .  
(٤) سورة الفاتحة آية : ٦ .  
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيميه مرجع سابق ج ١٠ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .  
(٦) اخرجه مسلم كتاب الايمان فى باب جامع اوصاف الاسلام ج ٢ ص ٨

وقد نقل القاضى عياض رحمه الله فقال " هذا من جوامع كلمة وهو مطابق لقوله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ) (١) أى وحدوا الله وأمنوا به ثم استقاموا فلم يحدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى الى ان توفوا على ذلك (٢) وهم ملتزمون بالطاعات ومنتهون عن المخالفات (٣) .

فقوله صلى الله عليه وسلم " قل آمنت بالله " يفيد انه اقرار بالوحدانية ولذا قال العلماء أى جدد ايمانك متذكرا بقلبك ذاكرا بلسانك مستحضرا تفاصيل معانى الايمان الشرعى التى فى حديث جبريل (٤) .

وقد ذكر السائل رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم حاجة أى قولاً جامعاً مانعاً واضحاً فى نفسه بحيث لا يحتاج الى تفسير غيرك اعمل عليه واكتفى به فلا يحتاج بعده ان يسأل لما اشتمل عليه البديع والاحاطة والشمول ونهاية الايضاح والظهور الى ان اسأل عنه احد غيرك (٥) وقال ابن حجر لقد جمع صلى الله عليه وسلم لهذا السائل فى هاتين الكلمتين جميع معانى الايمان والاسلام اعتقاداً وقولاً وعملاً . (٦)

(١) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ج ٢ ص ٨ .

(٣) رياض الصالحين لآبى زكريا ص ٥٥ .

(٤) حديث جبريل . سيأتى تخريجه ص مع كتابته كاملاً ص ٢٦٦ .

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين تأليف محمد بن علان

الصدىقى الشافعى الأشعري المكى - دار الفكر - الطبعة الأخيرة

١٩٧٠م ص ٢٨٣ وأنظر أيضاً فتح المبين لابن حجر ص ١٧٩ .

(٦) فتح المبين ص ١٨١ .

## الخلاصة :-

وفى هذا ضبط لجوارح المرء المسلم على الاستقامة وثبات عليها لان بها تدوم الطاعة وهى من الشدائد التى لا يطيقها الا مؤمن لذا قال له صلى الله عليه وسلم اول ما قال : ( قل آمنت بالله ) فالايمان بالله هو الدافع للثبات على الاستقامة والالتزام بمناهج الايمان والاسلام وهى من الصعاب التى لا يطيقها الا مؤمن . وقال البيضاوى " وذلك خطب جسيم لا يحصل الا لمن اشرق قلبه بالانوار القدسية وتخلص من الكدورات البشرية والظلمات الانسية وايده الله من عنده واسلم بطبيعته شيطانه بيده وقليل ما هم " (١) .

واهم ما يراعى فيه الاستقامة من الجوارح هو اللسان . ولذا فقد زاد الترمذى فى هذا الحديث زيادة وصفها العلماء بانها مهمة وقال الترمذى حسن صحيح وهى قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف على فاخذ بلسان نفسه وقال هذا لينبهننا على ان اعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان فانه ترجمان القلب والمعبر به (٢)

ففى الحديث عن سفيان بن عبد الله الشقفي (٣) قال : (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أُعْتَصِمُ بِهِ قَالَ قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخُوفٌ مَا تَخَافُ عَلَيَّ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ هَذَا ) (٤)

(١) حاشية فتح المبين ص ١٨١ .

(٢) فتح المبين ص ١٨١ .

(٣) سفيان بن عبد الله بن ابي ربيعه بن الحارث بن مالك بن حطيظ الشقفي الطائفي . له صحبة ورواية وكان عاملا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على الطائف . انظر اسد الغابة ج ٢ ص ٢٥٣ -

تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١٦ - والتقريب ج ١ ص ٣١١ - ٣١٣ ..

(٤) اخرجه الترمذى كتاب الزهد باب ما جاء فى حفظ اللسان ج ٤ ص

٦٠٧ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

ولما كانت الكلمة فى الاسلام تلقى العناية الخاصة قامت بها حدود وزنت بها الشعوب وتحدد بها العقاب والعذاب فى الدنيا والاخرة فلذا حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلمة وحذر من عواقبها واخرج احمد عن على بن مسعدة (\*) رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ) (١) فقد جعل استقامة الايمان باستقامة الجوارح ولعل اجمع هذه الجوارح القلب فاذا استقام القلب وهذا لن يحصل الا اذا استقام اللسان لانه دليله والناطق بخفاياه واسراره وقعت الاستقامة وحصل الثبات عليها فدعوى الايمان لا تكفى ما لم يدل على الايمان العمل فانه ترجمه له وثمره من ثمراته والاستقامة درجة عليه تدل على كمال الايمان وعلو المهمة (٢) .

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة الكثيرة على ان الايمان يشمل ما فى القلوب من العقائد الصحيحة واعمال القلوب من الرغبة فى الخير والرغبة من الشر واردة الخير وكراهية الشر من اعمال الجوارح ولا يتم ذلك الا بالثبات عليه (٣) .

- 
- (\*) على بن مسعدة : الباهلى ابو حبيب البصرى قال ابو داود الطيالسى ثقة وقال البخارى فيه نظر وقال ابن حبان لا يحتج بما لا يوافق فيه الثقات ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٨١ .
- (١) اخرجه احمد ج ٣ ص ١٩٨ . ورواه المنذرى وقال رواه احمد وابن ابى الدينا فى الصمت كلاهما من رواية على بن مسعدة وقال البنا فى الفتح على بن منصور وثقة ابو داود الطيالسى وقال ابو حاتم لا باس به وقال النسائى ليس بالقوى وقال فى التهذيب لا باس به ، الفتح الربانى ج ١٩ ص ١٨٤ .
- (٢) نزهة المتقين ص ١١٩ مرجع سابق .
- (٣) بهجة قلوب الأبرار فى شرح جوامع الأخبار مرجع سابق ص ١٦ .

فالثبات على أعمال الخير خير ضابط لسلوك الفرد وبمراقبة الله وبالتقوى يقوى هذا الضابط ويشدد فالعبرة فى الثبات والقدرة على الاستمرار وهذا ما ترويه كتب الحديث من قصة حواء بنت تويت (١) رضى الله عنها

الحديث الأول :

ففى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليَّها وعندها امرأة قال : من هذه؟ قالت فلانة تذكر من صلاتها قال مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليهم ما دام عليه صاحبه . (٢)

وفى الحديث فضيلة المداومة على العمل القليل الدائم خير من الكثير المنقطع لان بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والاخلاص والاقبال على الله . (٣)

الحديث الثانى :-

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قَارِبُوا (٤) وَسَدِّدُوا وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوا أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ

(١) حواء بنت تويت : ابن حبيب بن اسد بن عبد العزى بن قصى القرشيه الاسديه ذكرها ابى سعد وقال اسلمت وبايعت . الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١٢ ص ٢٠٧ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب الايمان باب احب الدين الى الله ادومه ج ١ ص ١٧ ، دار الجيل - بيروت واخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب المداومة على العمل ص ٤١٦ ج ٢ حديث ٤٢٣٨ واخرجه احمد ج ٦ ص ٤٦ (٣) فتح البارى ج ١ ص ٨٥ ط ٢ بتصرف .

(٤) المقاربة القصد الذى لا غلو فيه اى مجاوزة المأمور به بزيادة او نقص شىء منه .



بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ . (١)

هكذا وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مداومة الاستقامة والثبات عليها فالسداد بمعنى الاستقامة والاصابة فى الأحوال والأعمال والمقاصد ولأن دعوى الايمان لا تكفى ما لم يدل على الايمان والعمل فانه ترجمة له وثمره من ثمراته (٢).

لذا حثنا رسولنا صلى الله عليه وسلم على الاستقامة لان الاستقامة دافع الى عمل كل ما يرضى الله سبحانه وتعالى امرا ونهيا . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ( الاستقامة ان تقوم على الامر والنهى ولا تتروغ عنه روغان الثعلب ) (٣) فعمر رضى الله عنه يحث على المداومة والثبات على الأوامر والبعد عن النواهي جميعها من غير مخالفة ومن غير مراوغة عن منهج الله عزوجل لا سرا ولا جهرا ) . فالاستقامة على هذا المنهج له اشهره على سلوك الفرد وسلوك المجتمع على حد سواء " فالمؤمن الصادق الايمان يقف عند حدود الله وينتهى عما نهاه الله وينأى بنفسه عن ارتكاب الموبقات والانغماس فى أحوال المحرمات وارسال العنان للشهوات ان ايمانه يأتى عليه ان يفرغ طاقته فى سهر عابث ولهو محرم . وبذلك يظل محتفظا بحيويته وطاقته الجسدية والعصبية والعقلية والنفسية فلا يصرفها الا فى العمل الصالح او ما يعين عليه من لهو برىء (٤) بهذا المعنى وعلى هذا النحو كانت الاستقامة ضابطا لسلوكه على النحو التالى :-

- 
- (١) أخرجه البخارى كتاب الطب باب تمنى المريض الموت ج ٩ ص ١٥٧ وأخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار ج ١٣ ص ١٦٠ وأخرجه ابن ماجه كتاب الزهد ج ٢ ص ١٤٥ . وأخرجه احمد ج ٢ ص ٢٥٦ .
- (٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج ١ ص ٢٨٥ .
- (٣) نزهة المتقين مرجع سابق ص ١٢٠ .
- (٤) كتاب الايمان والحياة للقرضاوى مؤسسة الرسالة ط ٩ ١٤٠٣ هـ

١ - فهى ضابط لسلوكه النفسى اذ ان الايمان هنا قد وصل به الى درجة المراقبة لله عزوجل فمنعه نفسيا ان يقع بتفكير او لهو عابث .  
 ٢ - وهى ضابط لسلوكه الجسدى وذلك ان استقامته على منهج الله عزوجل حرمت عليه الخمر وما يجده من فتن النساء والوقوع بالمحرمات .

٣ - ضابط لصرف ماله فلا ينفقه فيما حرم الله عزوجل فى شهوات محرمة ولا قمار ولا خمر ولا غيره مما حرمه الله .

" وبذلك يظل محتفظا بحيويته وطاقته الجسدية والعصبية والعقلية واسية فلا يصرفها الا فى العمل الصالح . (١)

هكذا ارادنا الاسلام افرادا لنكون كذلك زمرا وجماعات ولذا فاننا نراه قد ارسى قواعد العقيدة النفسية الصحيحة والاستقامة فى مرحلة الدعوة المبكرة فى مكة فاذا تتبعنا الايات السالفة فى الاستقامة وجدناها مكية على النحو التالى :-

١ - سورة فصلت ( حم السجده ) وهى سورة مكية وهى من اوائل ما نزل بمكة . (٢)

٢ - سورة هود وهى مكية . (٣)

٣ - سورة الشورى وهى مكية بالاجماع . (٤)

---

(١) كتاب الايمان والحياة للقرضاوى مؤسسة الرسالة ط ٩ ١٤٠٣ هـ ص ٣٠٤ .

(٢) فصلت مكية نزلت بعد غافر وعدد آياتها ٥٤ .

(٣) سورة هود مكية الا الايات ١٣ - ١٧ - ١١٤ فمدنية واياتها ١٢٣ نزلت بعد يونس .

(٤) سورة الشورى مكية الا الايات ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ فمدنية واياتها ٥٣ .

## ٤ - سورة الفاتحة . (١)

فاذا هي تربية للأفراد في أول دعوة للإسلام وفي أول بناء للشخصية الإسلامية بناء للعقيدة الفذة منذ مهدها منذ انتقالها من الديانات ذات العبودية لغير الله إلى دين واحد قوامه التوحيد والاستقامة عليه ( والاستقامة من شأنها أن ترقى بالإنسان وتصل به إلى الذروة من الكمال وتحفظ عقله وقلبه من أن يتطرق إليهما الفساد وتصون نفسه من التردى في حما الرذيلة ) (٢) ولذا فالاستقامة ضابط للمجتمعات ( فاذا سيطرت الرغبة في الاستقامة على جماعات وسادت بينهم حسنة أحوالهم واستقامت أمورهم وعمهم الأمن والسلام ) (٣) هكذا الاستقامة تبني الأفراد الذين تقوم بهم المجتمعات كلها ( واذا ضعفت الرغبة في الاستقامة ضعف الأقبال على الخير وعظم التورط في الأثم وفشا المنكر وتعرض الفرد والجماعة للانحراف والخطايا والانحلال الذي يعقبه سلب الحرية ) (٤).

لذا كانت دعوة الإسلام للاستقامة :

### منهج الإسلام في الدعوة إلى الاستقامة :

وأسلوب القرآن في الدعوة إلى الاستقامة كاسلوبه في الدعوة إلى سائر الفضائل والأعمال " أسلوب يستهوي الأفتدة ويؤثر في النفوس

(١) قال القرطبي اختلفوا أهى مكة أم مدنية فقال أبى عباس وقتاده وأبو العالیه وغيرهم أهى مكة وقال : أبو هريرة ومجاهد والزهرى وغيرهم أهى مدنية ويقال نصفها بمكة ونصفها بالمدينة حكاه أبو الليث السمرقندى والأول أصح - الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١١٥ .

(٢) اسلامنا مصدر سابق ص ١٤٦ .

(٣) نفس المرجع ص ١٤٦ .

(٤) نفس المرجع ص ١٤٦ .

ويحملها على التزامها والتعلق باهدابها " (١)  
 ١- الثناء الجميل على أهل الاستقامة :

قال تعالى فى امتداح اهل الاستقامة وبيان فضلها ( **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**  ) (٢)

فيظهر من الآية فضائل الاستقامة على المستقيمين على النحو التالى :-

- ١ - نزول الملائكة عليهم فى الحياة وعند الموت .
- ٢ - تطمين نفوسهم بعدم الخوف وعدم الحزن .
- ٣ - تحمل اليهم البشارة بالجنة .
- ٤ - مناصرة الملائكة لهم .
- ٥ - أن لهم فى الجنة كل ما تشتهى انفسهم .

هذه البشارات المتتالية فى الآية مع حذف كل ما يكدر صفو الأمن والاستقرار من الحزن أو الخوف هى لأولئك الذين استقاموا على طريقة الله ومنهاجه ( والتزم المرء ما أمر الله به ليتحقق له الاستقامة (٣) .

٢- دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه الى الاستقامة :-

قال تعالى ( **فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**  ) (٤)

(١) اسلامنا ص ١٤٨ .

(٢) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(٣) اسلامنا ص ١٤٨ .

(٤) سورة هود آية : ١١٢ .

فدعوته فى هذه الآفة هى دعوة عامة للجميع موجهة لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث أنه مطالب بالاستقامة وهى أيضا لكل من سار على نهجه واتبع منهجه فى سلوكه . فالامر يشمل الجميع فى الحث على الاستقامة ودوام السلوك عليها . ثم التحذير المرعب فى النهى عن الطغيان ومجاوزة الحد فى ترك الاستقامة وأن المؤمنين لا يحل لهم تجاوز ما أمر الله به علو فى الدين فان ذلك طغيان والله مطلع على أعمال الناس يبصرها ويراها فيجازى عليها الجزاء العادل أن خيرا فخير وأن شرا فشر . بل وبلغ من اهتمامه تعالى أنه هو الذى يتولى الهداية إليها (١) .

( وَأَنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) (٢)

قال الألوسى فى تفسير هذه الآفة : المراد بالذين آمنوا المؤمنون من هذه الأمة على تقدير التخصيص . والمؤمنون مطلقا على تقدير التعميم والمراد بالصراط المستقيم النظر الصحيح الموصول الى الحق الصريح أى أنه تعالى لهادى المؤمنين فى الأمور الدينية خصوصا (٣) .

٣ - انزال الكتب التى تدعو الى الاستقامة :-

ولاجل هذه الهداية انزل كتبه ليهدى بها الناس الى الاستقامة على الصراط قال تعالى : ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ) (٤) .

أى لتخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال والطغيان الى نور الايمان والهداية والاستقامة على هذا الطريق .

(١) اسلامنا ص ١٤٩ .

(٢) سورة الحج آفة : ٥٤ .

(٣) روح المعانى للألوسى ص ١٧٤ ج ١٧ .

(٤) سورة ابراهيم آفة ٢ .

٤ - التزام النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة :

فقد بينها في سلوكه اوضح بيان (١) قال تعالى : ( وَإِنَّكَ لَتَهْدَى  
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ ) (٢) .

٥ - الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم :-

في طلب الاستقامة والثبات عليها لذا نجدهم يهتفون من اعماق  
قلوبهم في كل ليلة (٣) ( اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ) (٤) .

هكذا دعا الاسلام الى الاستقامة والى السلوك عليها حتى التزم بها  
سائر المؤمنين ودعوا بها من اعماق قلوبهم ليضلوا على الصراط وعلى  
النهج القويم حتى يصلوا الى النجاة .

ولذا فان الاسلام رسم خطوطا عريضة لهذا الطريق والوصول اليه  
فالاستقامة امر شاق مما يلزم وضع طريقا قويما لكي يصل المرء الى  
الاستقامة .

الطرق الموصلة الى الاستقامة :-

وقد اشار ابن القيم الى هذه الطرق الموصلة الى الاستقامة حيث  
قال : اقرب الطرق المؤدية الى الاستقامة طريقان :  
١ - حراسة الخواطر وحفظها والحذر من اهمالها والاسترسال معها فان  
اصل العناد كله من قبلها يجيء لانها هي بذر الشيطان . (٥)

(١) اسلامنا ص ١٤٨ .

(٢) سورة الشورى آية : ٥١ ، ٥٢ .

(٣) اسلامنا ص ١٤٨ .

(٤) سورة الفاتحة آية : ٦ .

(٥) كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية - دار

الكتاب العربي بيروت ص ٢٢٠ .

فهو بهذا يدعو الى مقام جليل اى مقام المراقبة لله عزوجل حتى فى الخواطر فاذا حصلت هذه المراقبة استقام حال الفرد وصلاح ظاهره وباطنه وساعرض فى فصل كامل اثر المراقبة على سلوك الفرد ان شاء الله .

وقد اشار ابن القيم الى طرق حفظ الخواطر :

١ - " العلم الجازم باطلاع الرب سبحانه ونظره الى قلبك وعلمك بتفصيل خواطرك " (١) فالعلم والايمان بان معية الله مع الفرد وانه محيط به فهو بهذا يكون ضابطا لسلوك الفرد عند تفردده اذ يشعر المرء انه مراقب من الله عزوجل .

٢ - حياؤك منه :-

ويقصد بالحياء من الله عزوجل والحياء ايضا ضابط لسلوك الفرد اذ يمنعه من ارتكاب ما يتسنى .

٣ - اجلالك له ان يرى مثل تلك الخواطر .

٤ - خوفك منه ان تقع عينه على تلك الخواطر .

٥ - ايثارك له ان تساكن قلبك غير محبته .

خشيتته ان تتولد تلك الخواطر ويشعل شرارها فتاكل ما فى القلب من الايمان ومحبة الله فتذهب به جملة وانت لا تشعر .

٦ - ان تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هى وخواطر الايمان ودواعى المحبة والايمان اصلا بل هى ضدها من كل وجه وما اجتمعتا فى قلب الاغلب احدهما صاحبه واخرجه واستوطن مكانه .

٧ - ان الخواطر بحر من بحور الخيالات لا ساحل له فاذا دخل القلب فى غمراته غرق منه .

٨ - ان الخواطر تشمر الندامة والخزى واذا غلبت على القلب اورثته الوسوس وعزلته عن سلطانها وافسدت عليه .

---

(١) كتاب طريق الهجرتين مرجع سابق ص ٣ .

٩ - صدق التائب للقاء الله من انفع ما للعبد ابلغه في حصول استقامته فان الاستعداد للقاء الله هو مفتاح جميع الاعمال الصالحة والاحوال الايمانية من اليقظة والتوبة والانابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم وسائر اعمال القلوب والجوارح فمفتاح ذلك صدق التائب والاستعداد للقاء الله (١) .

فقد عرض ابن القيم رحمه الله طريقتين للنشبات على الاستقامة وهى التفريغ والملء وقد عمدت الى نقل نصوصه رضى الله عنه وساتطرق الى شرحها هنا فعملية التفريغ من الخواطر الشيطانية ووساوس النفس ولا تتم هذه العملية الا بايمان جازم بعلم الله عزوجل وانه مطلع على كل صغيرة وكبيرة فمجرد الايمان بمعية الله ضابط حتى للوساوس من الوقوع فى الصدور والنفوس . ثم الحياء ايضا مانع من الوقوع في الموبقات فالحياء لا يأتى الا بخير كما فى الحديث عن **عَمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ** (٢) قال قال صلى الله عليه وسلم  
( **الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ** ) (٣)

(١) طريق الهجرتين ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٢) عمران بن حصين : بن عبيد بن خلف يكنى ابا نجيد بابنه نجيد اسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة غزوات بعثه عمر بن الخطاب الى البصرة ليفقه اهلها وكان قاضيا ثم استغنى فاعفاه وكان مجاب الدعوة ولم يشهد الفتنة وكان فى مرضه تسلم عليه الملائكة . توفى بالبصرة سنة اثنين وخمسين - اسد الغابة ج ٣ ص ٧٧٨ .

(٣) اخرجه البخارى كتاب الادب باب الحياء ج ٨ ص ٣٥ - واخرجه مسلم كتاب الايمان باب الحياء شعبه من شعب الايمان ج ٢ ص ٦ بشرح النووى - واخرجه ابو داود كتاب الادب باب الحياء حديث ٤٧٩٦ بلفظ ( الحياء خير كله ) ج ٤ ص ٢٥٢ .



تعظيم الله وتقديره والخوف منه كل هذه ضوابط ايمانية تمنع المرء من الوقوع فى الفسوق وتدفعه على الدوام على الطاعة وسبيل الاستقامة الخوف من الله هو ضابط ايضا لسلوك الفرد وسأشير الى فصل فيه عن الرهبة من النار وما فيها وسأعرض كيف يكون الخوف من النار ضابطا لسلوك الفرد من الوقوع بالمحرمات . فهو على هذا النحو يحذر من الخواطر الشيطانية ويبين اثرها على الفرد وانها تورث الندامة والخزى فى الدنيا والآخرة .

ثم اذا حصل تفريغ النفس من نوازع الشر ووساوس الشيطان تمكن المرء المؤمن من عملية الملء لهذه النفس الفارغة فلا تترك هكذا تتلاعب بها الأهواء بل تملأ(بالخواطر الايمانية الرحمانية التى هى اصل الخير كله فان ارض القلب اذ بذرفيها خواطر الايمان والخشية والمحبة والانابة والتصديق بالوعد ورجاء الثواب اثمرت له كل فعل جميل وملاّت قلبه من الخيرات واستعملت جوارحه فى الطاعات . ولذا فقد اشار الى هذا فى

ب - الطريق الثانى حيث قال :

( ان لا يجعل مجرد حفظها هو المقصود بل لا يتم ذلك الا بان يجعل موضوعها خواطر الايمان والمحبة والانابة والتوكل والخشية فيفرغ قلبه من تلك الخواطر ويعمره باضدادها . (١)

هكذا ارادنا الاسلام نفوسا ملئت بالايمان والثبات عليه واستقرت بذكر الله عزوجل ومجاهدة كل الطرق المؤدية الى الضلال والزيغ لتكون هذه المجاهدة دافعا للمرء على الثبات على الاستقامة حتى وان شق عليه الامر " ولهذا قالوا لا يطيق الاستقامة الا من ايد بالمشاهدات القوية والانوار السنية . ثم عصم بالثبث بالحق (٢) قال تعالى ( وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنْ إِيَّهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ) (٣)

(١) طريق الهجرتين ص ٢٢٢

(٢) روح المعانى للالوسى ج ١٢ ص ١٥٢ .

(٣) سورة الاسراء آية ٧٤ .

وقيل انه لا يطبقها الا الاكابر لانها خروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله سبحانه وتعالى على حقيقة الصدق ولعزتها اخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لن يطيقوها (١) فقد اخرج ابن ماجه وغيره من حديث ثوبان (٢) قال قال صلى الله عليه وسلم اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تَحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ (٣)

فالاستقامة طريق الى الثبات على الحق والقرب منه لعل الله ان يدخلنا بفضلہ وبرحمته الجنة . قال ابو هريرة رضى الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا وَلَا يَتَمَنِينَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَّادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِينًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ (٤)

(١) فتح المبين / مرجع سابق ص ١٨١ .

(٢) ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ثوبان بن بجدد يكنى ابا عبد الله وقيل عبد الرحمن والاول اصح وهو من حمير من اليمن اشتراه الرسول صلى الله عليه وسلم فاعتقه وشبث على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل معه سفرا وحضرا الى ان توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٢٩٦ - انظر اسد الغابة ج ١ .

(٣) اخرجه ابن ماجه ج ١ ص ١٠٢ وقال وفى الزوائد رجال اسناده شقاب اثبات الا ان فيه انقطاعا بين سالم وثوبان ولكن اخرجه الدارمى وابن حبان فى صحيحه عن طريق ثوبان متصلات . سنن ماجه تخريج وتعليق محمد فؤاد وعبد الباقي .

(٤) سبق تخريجه ص : ٩١

## الفصل الثامن

تحسين ما حسنه الشرع وتغبيح ما قبحه

### تحسين ما حسنه الشرع وتقبيح ما قبحه

\*\*\*\*\*

#### الحسن والقبح الشرعيان :-

لقد بعث الله الانبياء عليهم السلام ليكونوا رسل الله الى اهل الارض وليبلغوا عن الله عزوجل وهم الوسطاء بين جبريل عليه السلام وبين سائر الخلق ليعلموا الناس كل حسن ويبينوا للناس كل قبح ينهى الله عنه وبالتالي يترتب على هذه البعثة الحساب من ثواب وعقاب فاذا كشف الغطاء حقيقة الفعل او قبحه . فعلى هذا فمعرفة حسن الافعال من قبحها مسألة يتجاوز بها طرفا بعثة الانبياء للبيان والتفصيل - صحة العقل الذي يوصل الى معرفة الحقيقة .

ولذا فانى سأعرض فى هذا الفصل الى معنى الحسن والقبح . ثم اعرض مواقف بعض الفرق الاسلامية من القول بحسن الفعل او قبحه ثم الرد عليهم ومن خلاله يظهر لنا موقف اهل السنة والجماعة من حسن الافعال وقبحها .

#### اولا التعريف اللغوى :-

الحسن ضد القبح ونقيضه وحسنت الشيء تحسينا زينته واحسنت اليه . (١)

#### القبح فى اللغة :-

القبح ضد الحسن ويكون فى الصورة والفعل والاستقباح ضد الاستحسان . (٢)

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ١١٤ ص ١١٥ .

(٢) ج ٢ ص ٥٥٢ .

## التعريف الاصطلاحى :-

اولا : المراد من الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله .  
 والمراد من القبيح ما ورد الشرع بذم فاعله  
 اذا الحسن ليس صفة زائدة على الشرع مدركة به ، فلما هو عبارة عن  
 نفس ورود الشرع بالثناء على فاعله وكذلك القول فى القبيح . (١)  
 ثانيا : يقول الدكتور محمد خضرى بك اختلف الناس فى معنى حسن  
 الفعل وقبحه فمن قائل ان الحسن ما يوافق غرض فاعله  
 باعتبار انه جالب له لذة او دافع عنه الما والافعال بهذا  
 الاعتبار تختلف باختلاف الشخص الواحد واحواله فقد يكون جالبا  
 لشخص لذة فى آن وجالبا له الما فى آن آخر .  
 وبهذا لا يمكن ان نقول ان الفعل قد اتصف بالحسن والقبح  
 اتصافا ذاتيا (٢) لانه لاثبات لذلك الوصف والاستقرار فليس بذاتى

ومن قائل ان الحسن ما يوافق عرض المجتمع (٣) بان يكون  
 جالبا له لذة او دافعا الما من غير اعتبار للقائل الا من جهة  
 كون واحد من المجتمع مثل الجمعيات الخيرية (٤)

(١) كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة فى اصول الاعتقاد ص ٢٥٩ للجوينى  
 ٩١٩ - ٤٧٨ هـ / حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه - د. محمد  
 يوسف موسى ود. على عبد المنعم عبد الحميد . الناشر مكتبة  
 الخانجى مصر . جماعة الأزهر للنشر والتأليف .

(٢) المراد بالوصف الذاتى ما يحكم به العقل بمجرد ان يخطر  
 الموصوف بباله .

(٣) غرض المجتمع : رأى اكثر من يصل اليهم هذا الفعل . اصول  
 الفقه محمد الخضرى بك ص ٢٢ .

(٤) اصول الفقه . د. محمد الخضرى بك ص ٢٢ ط ٦ مؤسسة دار احياء  
 التراث الاسلامى .

ثالثا : وفى اصطلاح العلماء هو العدول عن قياس جلى الى قياس خفى  
او استثناء مسألة جزئية من اصل كلى او قاعدة عامة لدليل  
يقتضى هذا العدول . (١)

رابعا : يقول ابن حزم : الاستحسان بما رآه الحاكم اصلح فى العاقبة  
وفى الحال لما رأى برأيه من ذلك وهو استخراج ذلك الحكم  
الذى رآه . (٢)

خامسا : هو العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل خاص من كتاب  
او سنة .

سادسا : وقيل هو ان تترك حكما الى حكم هو اولى منه وهذا الاختلاف  
فى المعنى ولكن الاختلاف بمجرد الأسماء . (٣)

سابعا : الاستحسان نوع من الترجيح بين الأدلة فان حقيقته كما يلاحظ  
وكما يصرح به كثير من الأصوليين انه اخذ بأقوى الدليلين .  
والاستحسان بهذا المعنى لا يخالف فيه احد وعند التحقيق  
يلاحظ انه لا يوجد خلاف بين اهل العلم فى الأخذ به باعتباره اخذا  
بأقوى الدليلين (٤) .

(١) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية د. عبد الكريم زيدان ط١  
القدس مؤسسة الرسالة ص ٢٠٠ .

(٢) كتاب الأحكام فى اصول الأحكام ص ١٦ لآبى محمد على بن احمد بن  
سعيد بن حزم - مؤسسة دار الأوقاف الجديد بيروت ج ٦ ط ١ عام  
١٤٠٠ هـ

(٣) نزهة خاطر العاطر . عبد القادر بن احمد بن مصطفى بدران  
الدومى ثم الدمشقى شرح كتاب روضة الناظر وجنة المناظر فى اصول  
الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل شيخ الاسلام موفق الدين ابى  
محمد بن عبد الله بن احمد بن قدامه المقدس الدمشقى ج ١ ص ٤٠٧ ،  
٤٠٨ دار الكتاب العلمية / بيروت .

(٤) رفع الحرج فى الشريعة الاسلامية رسالة دكتوراة د. صالح بن حميد ص ٣٠٣ .

شامنا : الاستحسان هو ايثار دليل يعارضه لمرجع يعتمد به شرعا (١)  
ويلاحظ من بعض التعريفات ما يلى :-

- ١ - ان هذه التعريفات متقاربة والظاهر منها ان الحسن ما يتفق مع الشريعة الاسلامية - والقبيح ما يخالف هذه الشريعة .
  - ٢ - ان الجهة التى ينبنى عليها صفة الحسن او القبح هى الشريعة .
  - ٣ - لا يمكن للعقل الاستقلال بادراك حسن الفعل وقبحه .
- حجية الاستحسان :-**

الاستحسان مصدر من مصادر الفقه المعتبرة لانه ليس الاخذ بقياس او بدليل آخر اما من انكره من العلماء كالشافعى فانه اراد بالاستحسان اتباع الهوى وتشريع الاحكام بغير دليل وهذا لا يجوز ولهذا اسلم به اصحابه بعد ان تبين لهم مراد القائلين به (٢)  
**موقف الفرق الاسلامية من القول بالحسن والقبح :-**

#### اولا : الاشاعة

ان الافعال لا تحسن ولا تقبح الا بامر الشارع او نهيه ليس فى ذاتها ولا لامر خارج عنها صفة تكسب بها اسم الحسن والقبح (٣)  
وقال ابن تيميه قالت الاشاعة ان ما جاء به الشرع من الحسن والقبح يخرج عن نطاق العقل . (٤)

- (١) كتاب المقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها - علاها الفارس مكتبة الوحدة العربية دار البيضاء ص ١٣٤ .
- (٢) المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص ٢٠١ مرجع سابق .
- (٣) اصول الفقه - محمد الخضرى بك ص ٢٣ مرجع سابق .
- (٤) الرسالة التدمرية فى تحقيق الاثبات لاسماء الله وصفاته وبيان حقيقته الجمع بين الشرع والقدر تاليف شيخ الاسلام تقى الدين احمد بن تيميه القاهرة ١٣٨٧ هـ . نشرها قصى محب الدين الخطيب ص ٦٨ بتصرف . اى ثابت بالشرع فقط دون العقل وانظر مدارج السالكين ص ٢٥٥ ج ١ .

ثانيا : المعتزلة :

---

( ذهب المعتزلة الى ان التحسين والتقبيح من مدارك العقول على الجملة ولا يتوقف ادراكها على السمع وللحسن بكونه حسنا صفة وكذلك فى القبح عندهم . (١) )

فقوله لا يتوقف ادراكها على السمع اى انه ليس ثابتا عندهم شرعا ولذا قال ابن تيميه ان المعتزلة توهمت ان الحسن والقبح يعلم بالعقل فقط . (٢) .

ونقل الخضرى بك للمعتزلة فى ذلك قولين :-

القول الأول :-

---

ان للافعال صفة حسن او قبح وهؤلاء نظروا الى الذاتى بغير نظر الاولين فانما يريدون به ما يحزم به العقل لمجرد تعقل الفعل .  
ومنهم من غلا وقال ان الصفة التى يحكم بها على بعض الافعال ذاتية بحيث تكون ملازمة له فى جميع جزئياته .

الفريق الثانى :-

---

ومن المعتزلة من قال ان الافعال تتصف بصفة الحسن او القبح للاعتبارات التى تقترب بها وذلك لان الحكم الكلى على الافعال لا يمكن لانه لا يكون الا بعد الاستقراء التام لجزئيات الافعال وهو غير ممكن .  
ثم انه وجد عند الاستقراء ان الفعل كثيرا ما ينفع ثم يصادف فى انات اخرى انه يضر وحينئذ لا يمكن للعقل ان يحكم على الفعل بحسن او قبح اذا روعيت اعتباراته وظروفه اما الحكم بطريقة كلية فلا .  
ونخلص من القولين السابقين للمعتزلة الى ان :

---

(١) كتاب الارشاد الى قواع الادلة فى اصول الاعتقاد للجوينى مرجع سابق ص ٢٥٨ .

(٢) الرسالة التدمرية مرجع سابق لابن تيميه ص ٦٨ بتصرف .



( للافعال حسنا وقبجا باعتبار جلب اللذة ودفء الالم لمعظم من يصل اليهم آشارها وان هذا الحكم يمكن بعض العقول ان يدركه بالاستقراء (١) الناقص ويحكم به حكما كليا وان بعض العقول قد يؤثر فيها الهوى فيفسد عليها حكمها ) (٢)  
 فيظهر من هذا موقف الفرق الاسلامية من القول بحسن الفعل او قبحه على النحو التالى :

١ - الاشاعرة : ترى ان الحسن والقبح لا يمكن ان يحكم على الفعل الا شرعا .

٢ - المعتزلة : ترى ان الحسن والقبح عقلى بحت .

الرد عليهم :-

وبالرد على هذه الفرق يظهر لنا موقف اهل السنة والجماعة من القول بحسن الفعل وقبحه .

يمكن ان نرد عليهم من عدة نواح :-

اولا : ان الحسن والقبح لا يعرف من ضرورة العقل ونظره . ولم يرد من سمع متواتر ولا نقل آحاد ومهما انتقى الدليل وجب النفى .

ثانيا : انا نعلم باجماع الامة قبل على ان العالم ليس له الحكم بمجرد هواه وشهواته من غير نظر فى الادلة والاستحسان من غير نظر حكم بالهوى المجرد فهو استحسان العامى واى فرق بين العامى والعالم فى غير معرفة الادلة الشرعية وتمييز صحيحها عن فاسدها .

ولعل مستند استحسانه وهم وخيال اذا رضى على الذلة لم

يحصل منه طائل . (٣)

(١) الاستقراء : هو المتابعة للتعرف عليه .

(٢) اصول الفقه د. محمد الخضرى بك ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ بتصرف .

(٣) نزهة خاطر العاصر مرجع سابق ص ٤١٠ ج ١ .

ثالثا : الدليل السمعى :

فقد دل القرآن على ان لا تلازم بين الامرين وانه لا يعاقب الا

بارسال الرسل (١)

الادلة : قال تعالى : ( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) (٢)

وقال تعالى : ( رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى

اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ) (٣) .

وقال تعالى : ( كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فُجُورًا سَالِمًا خَزَنَتِهَا أَلَمْ

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا

نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ) (٤) فلم يسألهم عن مخالفتهم للعقل بل

للنذر وبذلك دخلوا النار .

رابعا : لقد دل القرآن على ان الفعل فى نفسه حسن وقبيح :

قال تعالى : ( وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا

آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ

وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا

بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا

الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُّهْتَدُونَ \* يَا

بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ \* قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي

أُخْرِجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي

الحياة الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ

بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) (٥) .

(١) المدارج ج ١ ص ٢٥٥ مرجع سابق . (٢) سورة الاسراء آية : ١٥ .

(٣) سورة النساء آية : ١٦٥ . (٤) سورة الملك آية : ٨ - ٩ .

(٥) سورة الاعراف آية : ٢٨ - ٢٩ .

ويلاحظ من الآية ما يلي :-

١ - اخبر سبحانه ان فعلهم فاحشة قبل نهيه عنه وامر اجتنابه ياخذ الزينة .

٢ - اخبر سبحانه بانه لا يامر بالفحشاء بقوله : ( **إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ** ) .

اي لا يامر هو فاحشة فى العقول والبطرة .

٣ - لو كان انما علم كونه فاحشة بالنهى وانه لا معنى لكونه فاحشة الا تعلق النهى به لصار معنى الكلام ان الله لا يامر بما ينهى عنه وهذا يصان عن التكلم به احد العقلاء فضلا عن كلام العزيز الحكيم .

واى فائدة فى قوله : ( **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ) (١) على انه طيب قل التحريم وان وصف الطيب فيه مانع من تحريمه مناف للحكمة .

٥ - قال تعالى : ( **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ** ) (٢) ولو كان كونها فواحش انما هو لتعلق التحريم بها وليست فواحش قبل ذلك لكان حاصل الكلام ( قل انما حرم ربي ما حرم ) وكذلك تحريم الاثم والبغى فكون ذلك فاحشة واثما وبغيا بمنزلة كون الشرك شركا فهو شرك فى نفسه قبل النهى وبعده .

٦ - فمن قال ان الفاحشة والقبائح والاثام انما صارت كذلك بعد النهى فهو بمنزلة من يقول : الشرك انما صار شركا بعد النهى وليس شركا قبل ذلك . ومعلوم ان هذا مكابرة صريحه للعقل والبطرة فالظلم ظلم فى نفسه قبل النهى وبعده ، والقبيح قبيح فى نفسه قبل النهى وبعده والفاحشة كذلك . وكذلك الشرك الا ان هذه الحقائق صارت بالشرع كذلك . (٣)

(١) سورة الاعراف آية : ٣٢ .

(٢) سورة الاعراف آية : ٣٣ .

(٣) المدارج بتصرف من ص ٢٥٥ الى ٢٥٨ مرجع سابق وانظر ايضا اصول

الفقه محمد الخضرى بك مرجع سابق ص ٢٦ .

## الدليل العقلي :-

من المعلوم ان ادراك ما فى الافعال من حسن او قبح ليس فى طاقة جميع الافراد وليس من المعقول ان يعاقب انسان على ترك فعل لم يدرك حسنه ولم يدعه اليه داع ثبت العصمة من الخطأ . (١)  
 قال تعالى : ( **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ** ) (٢) .

ويمكن ان نجد ما يجمع بين القولين فى كتاب الله :  
 وقال تعالى : ( **ذَٰلِكَ أَلَمَ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ** ) (٣)  
 تدل هذه الآية على ما يلى :-

- ١ - ان افعالهم وشركهم ظلم قبيح قبل البعثة .
  - ٢ - وانه لا يعاقبهم عليه الا بعد الارسال .
- قال تعالى ( **وَلَوْلَا أَنْ تَمِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ) (٤)  
 فالآية الكريمة دالة على ما يلى :

اولا : ان ما قدمت ايديهم سبب لنزول المصيبة بهم ولولا قبحه لم يكن سببا .

ثانيا : امتناع اصابة المصيبة لانتقاء شرطها وهو عدم مجيء الرسول اليهم .

فمنذ جاء الرسول انعقد السبب ووجد الشرط فاصابهم سيئات ما عملوا وعوقبوا بالاول والآخر . (٥)

(١) اصول الفقه محمد خضرى بك ص ٢٧ مرجع سابق .

(٢) سورة النحل آية ٩٠ .

(٣) سورة الانعام آية : ١٣١ .

(٤) سورة القصص آية : ٤٧ .

(٥) المدارج مرجع سابق ص ٢٥٧ ج ١ .

بل من اعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم انه يأمرهم  
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم  
الخبائث .

فلو كان قوله معروفا ومنكرا وخبائثا وطيبا انما هو لتعلق الامر  
والنهي والحل والتحریم به فكان بمنزلة ان يقال يأمرهم بما يأمرهم  
وينهاهم عما ينهاهم عنه . ويحل لهم ما يحل لهم ويحرم لهم ما يحرم  
عليهم واى فائدة فى هذا ؟ واى علم يبقى لنبوته وكلام الله يسان عن  
ذلك او ان يظن به ذلك .

وانما المدح والثناء والعلم الدال على نبوته ان ما يأمر به  
تشهد العقول الصحيحة حسنة وكونه معروفا . وما ينهى عنه تشهد قبحه  
وكونه منكرا وما يحله تشهد كونه طيبا وما يحرمه تشهد كونه خبيثا  
وهذه دعوة جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . ( ١ )

٣ - قال تعالى : ( الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ - أُولَئِكَ  
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ) ( ٢ )

دلت الآية الكريمة على ما يلى :

١- اولاً : ان الفعل فيه حسن وقبح .

ثانياً : ان حسن الفعل او قبحه يدرك عقلا .

ثالثاً : ان الحسن يمكن ان يدرك نقلاى دينيا لقوله اولئك الذين  
هدى الله .

رابعا : اذا الحسن يمكن ان يدرك عقلا وشرعا .

٤ - حديث ( حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب قال بن شهاب ( ٣ ) يُصَلَّى  
عَلَى كُلِّ مَوْلُودٍ مَّتَوَفَى وَإِنْ كَانَ لِغِيَّةٍ ( ٤ ) مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى

( ١ ) نفس المرجع ص ٢٨٥ ج ١

( ٢ ) سورة الزمر آية : ١٨ - ١٩ .

( ٣ ) ابن شهاب : هو الزهدى ج ٣ ص ٢٢٢ فتح البارى .

( ٤ ) لغية : اى من زنا بمعنى صلى على ولد الزنا - فتح البارى ج ٣

فِطْرَةَ الْإِسْلَامِ يَدْعَى أَبَوَاهُ الْإِسْلَامَ أَوْ أَبَوْهُ خَاصَّةً وَإِنْ كَانَتْ أُمَّهُ عَلَى غَيْرِ  
 الْإِسْلَامِ إِذَا اسْتَهْلَّ صَارِحًا صَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يُصَلَّى عَلَى مَنْ لَا يَسْتَهْلُّ مِنْ أَجْلِ  
 أَنَّهُ سَقَطَ فَلِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُحَدِّثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ  
 يَنْصَرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ (١) هَلْ تُحْسِنُونَ  
 فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ (٢) ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِطْرَةَ اللَّهِ  
 الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا الْآيَةُ (٣)

ويدل هذا الحديث على ما يلي :-

- ١ - يولد الانسان ويصل بالفطرة الى حسن الفعل وقبحه .
- ٢ - ان الدين يضىف عليه الصبغة النهائية فيدرك بالدين حسن الفعل  
 وقبحه بما يترتب عليه من ثواب او عقاب .

### الخلاصة :-

وبالرد على كل من الأشاعرة والمعتزلة بما سبق يتضح لنا ما يلي :-  
 اولاً : انه لا يمكن للعقل ان يدرك الحسن والقبح بدافع من العقل  
 فقط . وعليه نقول ان العقل لا يكفى وحده لادراك الحسن ويتجلى لنا  
 موقف اهل السنة والجماعة من القول بحسن الفعل او قبحه .

- (١) جمعاء : أى مجتمعه الأعضاء سليمة من نقص .
- (٢) جدعاء : أى مقطوعة الأذن أو غيرها من الاعضاء .
- (٣) أخرجه البخارى والنص له كتاب الجنائز ج ٢ ص ١١٨ اذا أسلم  
 الصبى فمات هل صلى عليه . وأخرجه فى تفسير سورة الروم ج ١ ص  
 ١٤١ كتاب القدر باب ٣ ج ٨ ص ١٥٣ وأخرجه مسلم كتاب القدر باب  
 مولود لولد على الفطرة ٢٢، ٢٣، ٢٤، ج ١٦ ص ٢٧ وأخرجه أحمد بن  
 حنبل فى مسنده ج ٨ ص ٣١٥ - ٣٤٦ .

## موقف أهل السنة والجماعة :-

---

ويقول ابن القيم وكثير من الفقهاء من الطوائف الأربعة يقولون :  
 قبحها ثابت بالعقل والعقاب متوقف على ورود الشرع . وهو الذى ذكره  
 سعد بن على الزنجانى من الشافعية . وأبو الخطاب من الحنابلة  
 وذكره الحنفية وحكوه عن أبى حنيفة نسا (١) .

إذا يمكن أن نقول ان الأفعال الحسنة كالعدل والصدق والتوحيد  
 ومقابلة نعم المنعم بالثناء والشكر حسن فى نفسه وازداد حسنا الى  
 حينه بأمر الرب به وثنائه على فاعله واخباره بمحبته ذلك ومحبة  
 فاعله .

وكذا الأفعال القبيحة فكان قبحها من ذاتها وازدادت قبحا عن  
 العقل بنهى الرب تعالى عنها وذمة لها واخباره ببعضها وبغض  
 فاعلها (٢)

---

(١) المدارج ج ١ ص ٢٥٥ مرجع سابق .

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٢٥٨ مرجع سابق .

## الفصل الثالث

### الإقْتداء بالنبيين والذين معهم



## الاقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّينَ

### والَّذِينَ مَعَهُمْ

المؤمن لا يشعر انه فى عزلة عن اخوانه المؤمنين انهم ان لم يكونوا معه فى عمله او داره او مسجده فهم يعيشون دائما فى ضميره ويحيون فى فكره ووجدانه .

المؤمن يشعر انه يعيش بايمانه وعمله الصالح مع انبياء الله ورسله المقربين ومع كل صديق وشهيد وصالح من كل امة وفى كل عصر (١) .

قال الله تعالى : ( وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ) (٢) .

واى انسان اسعد ممن يوافق هؤلاء فى كل احواله . واى انسان اسعد ممن قدوته فى الايمان والهدى هم انبياء الله جميعا فهو يقتفى اثارهم ويتبع خطاهم من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم من سائر اصحاب النبوات والرسالات فهو يقتدى بهم ويتبع خطاهم فى كل امر من امور حياته وهو بذلك يكون قد ضمن سلامة سلوكه وعمله الموصل الى مرضاة ربه .

ولذا فسوف استعرض فى هذا الفصل :-

- ١ - معنى القدوة فى اللغة والاصطلاح .
- ٢ - ثم استعرض ما جاء فى كتاب الله من آيات تحت على الاقتداء بالانبياء والذين معهم .
- ٣ - ثم ما جاء فى السنة النبوية عن القدوة .

(١) الايمان والحياة - للقراضوى - ط٩ - مؤسسة الرسالة ص ١٢٦ -

١٢٧ بتصرف .

(٢) سورة النساء آية : ٦٩ .

لنخلص من ذلك الى مواضع القدوة فى حياة انبياء الله عز وجل لتكون لنا طريقة للسلوك عليها وساخص ناحية الابتلاء فى حياة الانبياء وما يتعرضون له من المحن لتكون قدوة لكل داع الى الله عزوجل فى الصبر وتحمل الاذى .

وساشير الى آدم عليه السلام ، نوح عليه السلام ، ابراهيم عليه السلام ، داود عليه السلام ، ايوب عليه السلام ، يوسف عليه السلام ، موسى عليه السلام ، عيسى عليه السلام ، محمد صلى الله عليه وسلم .  
تعريف النبى :-

لغة : الانبياء طرق الهداية (١)

وقال الجوهرى النبى : المخبر عن الله عزوجل ويجمع على انبياء (٢) وقيل : الانبياء جمع نبى وقد قرىء بالهمزة فقيل هى الاصل وتركه تسهيل وقيل الذى هو بالهمز من النبأ والذى بغير همز من النبوة وهى الرفعة . والنبوة نعمة يمن بها على من يشاء ولا يبلغها احد بعلمه ولا كشفه ولا يستحقها باستعداد ولايته .  
اصطلاحا :-

من حصلت له النبوة وليست راجعة الى جسم النبى ولا الى عرض من اعراضه بل ولا الى علمه بكونه نبيا بل المرجع الى اعلام بانى نباتك او جعلتك نبيا وعلى هذا فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة . (٣)

(١) تاج العروس ج ١٠ ص ٣٥٤ .

(٢) لسان العرب ج ١ ص ١٦٢ .

(٣) فتح البارى ج ٦ - ص ٣٦١

## الفرق بين النبوة والرسالة :-

يقال فى الفرق بين الرسالة والنبوة فالنبوة داخله فى الرسالة والرسالة اعم من جهة نفسها واخص من جهة اهلها فكل رسول نبى وليس كل نبى رسول فالانبياء اعم والنبوة نفسها جزء من الرسالة فالرسالة تتناول النبوة وغيره بخلاف النبوة فانها لا تتناول الرسالة . (١)

فالقُدوة بالغة :

هل اصل البناء الذى يتشعب منه تصريف ن والاقْتداء يقال قدوة لما يقتدى به . قال ابن سيده القدوة والقُدوة وما تسنت به . والقدوة الاسوة . (٢)

القدوة بالاصطلاح :-

الاصل فى الاسوة او القدوة هو التأس والاقْتداء والاقْتداء هو المحاكاة وهما شىء فطرى فى الانسان . (٣)

ويقول القرطبى : الاسوة القدوة والاسوة ما يتأسى به اى يتعزى به فيقتدى به فى جميع افعاله ويتعزى به فى جميع احواله . (٤)

أثر الصحبة فى القدوة :-

ولاجل هذا التاثير حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من مجالسة الاشرار مخافة هذا التاثير وذلك فى قوله فيما رواه ابو موسى رضى الله عنه **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ**

(١) الايمان لابن تيميه - ص ٦ - ٧ مكتبة انس - تحقيق محمد ناصر الدين الالبانى .

(٢) لسان العرب ج ١٥ - ص ١٧١

(٣) القدوة الحسنة واثرها فى الاعلام بالاسلام - سعد الضياف ، ص ٢١٥

(٤) تفسير القرطبى ج ٤ - ص ١٥٥

وَنَافِخِ الْكَيْسِرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ (١) وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ  
وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكَيْسِرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا  
أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً . (٢)

وقال الله تعالى فى بيان سرعة التاثر بالصحة ( فلا تقعدوا  
معهم حتى يخوضوا فى حديثٍ غيره إنكم إذا مثلهم ) (٣)

فالجوس مع هؤلاء ومصاحبتهم قد تعدى وتجعل الانسان يسير على  
اهوائهم وشهواتهم .

والقدوة الحسنة مبنية على غريزة من غرائز الانسان هى غريزة  
التقليد والمحاكاة ولهذه الغريزة تاثير فعال فى ميدان الحياة .  
قال الله تعالى : ( بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا  
عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ) (٤)  
أثر القدوة فى الاخلاق :-

قال الله تعالى فى الحث على التاثر بالانبياء ( فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ  
أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ . وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ  
لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَّ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ) (٥)  
قال الطبرى فى هذه الآية :-

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مثبتة على المضى لما

- 
- (١) يحذيك : أى يعطيك صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص ١٧٨ .  
(٢) رواه البخارى كتاب الذبائح باب المسك ج ٧ ص ١٢٥ ورواه مسلم  
ج ١٦ ص ١٧٨ - بشرح النووى ، واخرجه ابو داود كتاب الادب باب  
من يؤمر ان يجالس ج ٤ ص ٢٥٩ ٤٨٢٩ .  
(٣) سورة النساء آية : ١٤٠ .  
(٤) سورة الزخرف آية : ٢٢ .  
(٥) سورة الاحقاف آية : ٣٥ .

قلده من عبء الرسالة ونقل احمال النبوة صلى الله عليه وسلم وامره بالانثساء فى العزم على النفوذ لذلك باولى العزم من قلبه من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره ونالهم فيه منهم من الاذى والشدائد فاصبر يا محمد على ما اصابك فى الله والانتهاء الى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لامره ما نالهم فيه من الشدة . (١)

وقوله : ( وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ) اى بالدعاء عليهم وقيل فى احلال العذاب بهم (٢) وقيل ان اولى العزم منهم كانوا الذين امتحنوا فى ذات الله فى الدنيا بالمحن فلم تزدهم المحن الا جدا فى امر الله كنوح وابراهيم وموسى ومن اشبههم . (٣)

وقد نقلهم القرطبى عن مجاهد قال هم خمسة نوح ، ابراهيم ، موسى ، وعيسى ، ومحمد . وهم اصحاب الشرائع . (٤)

وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه مدة قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِأَلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) (٥) وابراهيم صبر على النار قال الله تعالى : ( قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ - قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ) (٦)

واسحاق صبر على الذبح . قال الله تعالى : ( فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَتِّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ) (٧)

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٦ ص ٢٤ - للطبرى .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٢٢ - للقرطبى .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن - ج ٢٦ - ص ٢٤ - للطبرى .

(٤) تفسير الجامع لاحكام القرآن - للقرطبى - ج ٦ - ص ٢٢٠ .

(٥) سورة العنكبوت آية : ١٤ .

(٦) سورة الانبياء آية : ٦٨ - ٦٩ .

(٧) سورة الصافات آية : ١٠٢

ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر : ( وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يَوْسَفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ) (١)

ويوسف صبر على البئر والسجن قال الله تعالى : ( فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ ) (٢) ( لِيَسْجَنَ وَلِيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ) (٣) . وايوب صبر على الضر ( وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصِيبٍ وَعَذَابٍ ) (٤) .

وهذا لبيان حلم الانبياء وصبرهم على امهم فان نوح لم يدع عليهم الا بعد خمسين وتسعمائة عام (٥) . قال الله تعالى : ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ) (٦)

وقال الله تعالى : ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ) (٧)

وقال صلى الله عليه وسلم : ( عن عبد الله قال كَانَتِي أَنْظَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَرَبَّهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) (٨)

(١) سورة يوسف آية : ٨٤ .

(٢) سورة يوسف آية : ١٥ .

(٣) سورة يوسف آية : ٣٢ .

(٤) سورة ص آية : ٤١ .

(٥) تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ١٦ ص ٢٢٢ .

(٦) سورة العنكبوت آية : ١٤ .

(٧) سورة البقرة آية : ٢١٤ .

(٨) أخرجه مسلم كتاب الجهاد باب اشتداد غضب الله على من قتله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ١٢ ص ١٥٠ بشرح النووي

وأخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٤

حديث ٤٠٢٥ وأخرجه أحمد ج ١ ص ٣٨٠ ، ٤٢٧ ، ٤٣٢ .

هكذا يكون الصبر والعزم والثبات والجلد فى الموقف الذى يستحقون به والانتقام منهم بالمثل او على الاقل بالدعاء عليهم يحصل مكان الانتقام الصفح وبذل الدعاء عليهم الدعاء لهم بالهداية والعفو بل ويصل الى التماس الاعذار لهم بانهم لا يعلمون مكانة الانبياء بين اممهم ويتجلى عظم ما وصل اليه الرسول صلى الله عليه وسلم من كمال الخلق واشتمال صفات الاسوة فى الجنة فى مدح الله .  
ولقد قال تعالى ( وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ) (١)  
يقول سيد قطب :-

( لقد رويت من عظمة خلقه ما ذكره كتب السيرة الشيء الكثير ولكن واقع سيرته اعظم من كل ذلك . وشهادة القرآن له اعظم من هذا كله ثم بقاءه صلى الله عليه وسلم ثابتا لم يتعال على اصحابه بعد هذا الثناء وهو الذى سمع شهادة العلى القدير له بهذا الخلق العظيم دلالة على عظم خلقه صلى الله عليه وسلم ) (٢)

وقد بين الله تعالى اهمية الخلق الكريم فى مجال الدعوة وتجسيد الاسوة الحسنة فى قوله تعالى : مخاطبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُم وَّلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ) (٣)

فمن هذه الآية يظهر صفات القدوة الحسنة وهى :-

- ١ - ان يكون لين لافظا ولا غليظا .
- ٢ - ان يكون عفوا صفوحا عن زلات المدعويين .
- ٣ - ان يكون حريصا على ايمانهم .
- ٤ - كثرة الدعاء لهم بالهداية .

(١) سورة القلم آية : ٤

(٢) انظر فى ظلال القرآن ج ٥ - ص ٥٦٥٦ " بتصرف " .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٩ .

٥ - ان يلتمس الاعذار لهم .

٦ - اقرار مبدا الشورى اظهارا لاهتمامه بهم .

٧ - العزم وحسن الثبات والتوكل على الله .

وهذه كلها صفات ثناء اثنى بها الله على نبيه محمد صلى الله

عليه وسلم يقول سيد قطب :

هكذا كانت حياته مع الناس : ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره  
بضعفهم البشرى ولا احتجز لنفسه شيئا من اغراض هذه الحياة بل  
اعطاهم كل ما ملكت يداه فى سماحة نديه ووسعهم حلمه وبره وعطفه  
ووده الكريم وما من احد منهم عاشره او رآه الا امتلا قلبه بحبه (١)  
توجيه النبى صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء قبله :

قال الله تعالى : ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا  
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ  
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّن  
الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ  
. وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن  
يَكْفُرُ بِهَا هَوْلَاءُ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
هَدَى اللَّهُ فَبِئْسَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ . (٢)

يقول الطبرى فى تفسير هذه الآية :

( يقول الله تعالى جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم )

تأس يا محمد فى نفسك وقومك المكذبين والمشركين بابيك خليلي

(١) فى ظلال القرلان - سيد قطب - ج ١ ص ٥٠٠ .

(٢) سورة الانعام آية : ٨٤ - ٩٠ .



ابراهيم صلى الله عليه وسلم واصبر على ما ينوبك صبره فانى بالذى  
 يؤول اليه امرك وامرهم عالم بالتدابير فيك . ثم عدد بعض انبيائه  
 ويقول جزينا نوحا بصبره على ما امتحن به فينا بان هديناه فوقنا  
 لاصابة الحق الذى خذلنا عنه من عمانا فخالف امرنا ونهينا من قومه  
 وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من انبيائه مثل الذى  
 هديناه له وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم ايانا وصبرهم على المحن  
 فينا كذلك نجزي بالاحسان كل محسن .

ويقول الله تعالى وهدينا ايضا آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى  
 ذكره ومن ذرياتهم واخوانهم اخرين سواهم لم يسمهم للحق والدين  
 الخالص الذى لا شرك فيه فوقناهم له واجتبيناهم يقول واخترناهم  
 لديننا وابلاغ رسالتنا التى من ارسلناهم اليه كالذى اخترنا ممن  
 سمينا . يقال متى اجتبى فلان لنفسه كذا اذا اختاره واصطفاه يجتبيه  
 اجتباه .

واخرج الطبرى فى تفسيره عن مجاهد وهديناهم الى صراط مستقيم  
 بقوله وسددناهم فإرشدناهم الى طريق غير معوج وذلك دين الله الذى  
 لا عوج فيه وهو الاسلام الذى ارتضاه الله ربنا لانبيائه وامر به  
 عباده . (١)

ثم قال فى قوله تعالى : ( **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ** ) (٢)

( ١ ) هؤلاء الانبياء الذين وكلنا بايتنا وليسوا بها بكافرين هم  
 الذين هداهم الله لدين الحق وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه  
 والقيام بحدوده واتباع حلاله وحرامه والعمل بما فيه من امر الله  
 والانتهاى عما فيه من نهيه فوفقهم جل ثناؤه لذلك فبهداهم اقتده  
 وبالععمل الذى عملوا والمنهاج الذى سلكوا وبالهدى الذى هديناهم  
 والتوفيق الذى وفقناهم اقتده يا محمد اى فاعمل وخذ به واسلكه

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى - ج ٧ ص ١٧٣ .

(٢) سورة الانعام آية : ٩٠ .

فانه عمل لله فيه رضا ومنهاج من سلكه اهتدى ( ١ )

ويقول الالوسى فى تفسيره :

( اولئك المراد بهم الانبياء المذكورون ويكون التأسى بهم عند جمع طريقهم فى الايمان بالله تعالى وتوحيده و اصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى . وهم ايضا مختلفون فيها فلا يمكن التأسى بهم جميعا . ( ٢ )

وحقق الفخر الرازى : ( انه يتعين ان الاقتداء المأمور به ليس الا فى الأخلاق الفاضلة والصفات الكاملة كالطم والصبر والزهد وكثرة الشكر وكثرة التضرع ) . ( ٣ )

وخصه القرطبى بالتوحيد والشرائع . ثم قال : ( وقد احتج بعض العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع شرائع الانبياء فيما عدم فيه النص ) . ( ٤ )

قال الله تعالى : حاشا على الاقتداء بالخليل ابراهيم عليه السلام اذ نزه نفسه عن عبادة غير الله وشرك الوالد والاهل والاقرباء وبر ابيه الى الله عزوجل فقال تعالى : ( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءٌ لَكُمْ وَأَمْنٌ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ . وَالْأَقْوَلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ) ( ٥ )

( ١ ) الطبرى ج ٧ ص ١٧٥ .

( ٢ ) روح المعانى ج ٧ ص ٢١٧ للالوسى .

( ٣ ) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٦٩ للامام الفخر الرازى / دار الكتب

العلمية طهران ط ٢ عام الطبع غير موجود .

( ٤ ) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٧ ص ٣٥ .

( ٥ ) سورة الممتحنة آية : ٤ .

يقول الشوكانى فى تفسير هذه الآية :

( ارشدهم سبحانه وتعالى الى الاقتداء بابراهيم الا فى استغفاره لآبيه والذين معه هم المؤمنون . وقال ابن زيد هم الانبياء . (١) وقال الطبرى المراد بهم الانبياء الذين كانوا قريبا من عصره عليه الصلاة والسلام (٢) وفى هذا تأكيد لامر الانكار عليهم والتخطئه فى موالة الكفار بقصة ابراهيم عليه السلام ومن معه ليعلم ان الحب فى الله تعالى والبغض فيه سبحانه من اوثق عرى الايمان فلا ينبغى ان يغفل عنها . (٣)

وقد قيد الاقتداء بابراهيم عليه السلام ولم يكن اقتداء مطلقا فى كل شئ وانما اخرج منه استغفاره لآبيه . وقال القرطبى : ( فى هذا دلالة على تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء لانا حين امرنا بالاقتداء به امرنا امرا مطلقا ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) (٤) . وحين امر بالاقتداء بابراهيم عليه السلام استثنى بعض افعاله .

والاستثناء هنا ينصب على الاستغفار اذ ان استغفار ابراهيم لآبيه كان عن مواعده وعدما اياه .

ويقول القرطبى ( الا قول ابراهيم لآبيه لاستغفرن لك ) اى فلا تتأسوا به فى هذا . (٥)

وفى حثه صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بالانبياء قبله حث لنا على حسن القدوة ويظهر ذلك من قوله تعالى : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ . (٦)

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٢١٢ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٨ ص ٤١ - للطبرى .

(٣) روح المعانى ج ٢٧ ص ٦٩ . وانظر ايضا تفسير القرطبى ج ١٨ ص ٥٦

(٤) سورة الحشر آية : ٧

(٥) انظر تفسير القرطبى ج ١٨ ص ٥٦ ، تفسير فتح القدير ج ٥ ص ٢١٢ .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٢١

وكما سبق ان نقلت قول القرطبي فى فضله صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء اذ انا امرنا بالاقتداء به مطلقا فى كل افعاله . وكل ما نستطيع كما قال صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة : (دَعُونِي مَا تَرَكْتُمْ اِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَلْبُكُمْ بِسْؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى اَنْبِيَائِهِمْ فَاِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَاِذَا اَمَرْتُمْ بِاَمْرٍ فَاتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ) (١)

ويقول الالوسى فى تفسير هذه الاية وان سيقى للاقتداء به عليه الصلاة والسلام فى الحرب من الثبات ونحوه فهى عامة فى كل افعاله صلى الله عليه وسلم اذ لم يعلم انها من خصوصياته ككنكاح ما فوق الاربع نسوه . (٢) وهذا كثير مما يدل على الاقتداء به مطلقا فى كل افعاله واقواله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن كثير هذه الاية اصل كبير فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقواله وافعاله ولهذا امر تبارك وتعالى بالتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فى صبره ومثابرتة ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عزوجل (٣)

(١) اخرجه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٩ ص ١١٧ ، واخرجه مسلم كتاب الفضائل باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم ج ١٥ ص ١٠٩ وكتاب الحج باب فرض الحج مرة فى العمر ج ٩ ص ١٠١ - واخرجه ابن ماجه / مقدمه / ج ١ ص ٣ باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - واخرجه النسائى كتاب مناسك الحج باب وجوب الحج ج ٥ ص ١١٠ سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الامام السندى - دار احياء التراث العربى .

(٢) تفسير روح المعانى : ج ٢١ ص ١٦٧ للعلامة الالوسى البغدادى /

دار احياء التراث العربى بيروت ط غير موجود .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٤ - وانظر ايضا معالم التنزيل -

لامام البغوى - اعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العلى مروان

سوار - دار المعرفى ط ١ ج ٣ ص ٥٠٥ .

وفى الآية دلالة على لزوم الاتباع وترك التقليد الحادث الذى اصاب به المسلمون اى مصيبه (١) والمراد اتباع الاسلام لان الاسلام صامد لا يمكن ان يتزحزح . ونقل القرطبي اختلاف العلماء هل هذه القدوة على الايجاب ام على الاستحباب :

- ١ - على الايجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب .
- ٢ - على الاستحباب حتى يقوم دليل على الايجاب .
- ٣ - ويحتمل ان يحمل على الايجاب فى امور الدين وعلى الاستحباب فى امور الدنيا (٢)

وهذا مقصد حسن الا انا نقول انه لا بد من الاستطاعة فالدين يسر ولذا قال صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم : ( لَوْلَا اَنْ اَشُقَّ عَلَى اُمَّتِي اَوْ عَلَى النَّاسِ لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ ) (٣)

وقال تعالى : ( لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا ) (٤) وقال الله تعالى : ( فَيَأْتِيَنَّكَ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ) (٥)

- 
- (١) فتح البيان فى مقاصد القرآن ج ٦ - ص ٦٠٤ .
  - (٢) تفسير القرطبي ج ٤ - ص ١٥٦ .
  - (٣) اخرجه البخارى كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة ج ٢ ص ٥ وكتاب التمنى باب ما يجوز من اللوج ٩ ص ١٠٥ وكتاب الصوم ج ٣ ص ٤٠ باب مسواك الرطب واليابس للصائم . واخرجه مسلم كتاب الطهارة باب السواك ج ٣ ص ١٤٢ . واخرجه ابو داود كتاب الطهارة باب السواك ج ١ ص ١٢ - واخرجه الترمذى كتاب الطهارة باب السواك ج ١ ص ٣٤ واخرجه النسائى كتاب الطهارة باب الرخصة فى السواك بالعشى للصائم ج ١ ص ١٢ بشرح السيوطى . واخرجه ابن ماجه كتاب الطهارة باب السواك ج ١ ص ١٠٥ واخرجه مالك فى موطنه كتاب الطهارة باب ما جاء فى السواك حديث رقم ١١٦ ص ٦٤ واخرجه احمد ج ١ ص ٨٠ - ١٢٠ - ج ٥ ص ١٩٣ - ٤١٠ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٥) سورة الشرح آية : ٥ - ٦ .

## كيف تتحقق الأسوة :-

قال الله تعالى : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ) (١)

وقال صاحب المقاصد فى هذه الآية :

أى حسنة كائنة لمن يرجو الله والمراد أنهم الذين يرجون الله ويخافون عذابه يعنى يرجون ثوابه ولقاءه واليوم الآخر . أى أنهم يرجون رحمة الله فيه أو يصدقون بحصوله . وأنه كائن لا محالة وهذه الجملة تخصيص بعد التعميم بالجملة الأولى وذكر الله أى لمن ذكر الله فى جميع أحواله ذكرا كثيرا وجمع بين الرجاء لله والذكر له فإنه بذلك تتحقق الأسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) والذى يظهر من كلامه أن الأسوة لها دعامتان أساسيتان هما :-

١ - رجاء رحمة الله فى اليوم الآخر .

٢ - ادامة الذكر له جل وعلا .

وقال الله تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) (٣)

وهذا التوجيه العظيم بأن تكون محبته صلى الله عليه وسلم هى بالتعليق فى سلوكه وعمله وسنته لأنه التعلق بشخصيته سينتهى بوفاته ( إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) (٤) فلا بقاء للقدوة الا بالسنة والسلوك العملى فقط مما يكون دافعا للمؤمن لحسن الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى كل شىء وضابطا له عن كل سيئة .

(١) سورة الاحزاب آية : ٢١

(٢) فتح البيان فى مقاصد القرآن ج ٣ ص ٦٠٤ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٣١

(٤) سورة الزمر آية : ٣٠

## القدوة في الحديث النبوي :-

اهمية القدوة في السنة :

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم اهمية القدوة في قوله فيما رواه مسلم: ( مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِنْ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ وَزُرُّ مِنْ عَمَلِ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ) (١) .

وما تشديده صلى الله عليه وسلم بنفى كمال الايمان بقوله صلى الله عليه وسلم: ( فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ) (٢) الا مبالغة في التحذير من المخالفة ووجوب الاقتداء والملازمة .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه حذيفة بن اليمانى قال : (أَنْتَى لَا أَدْرِى مَا قَدْرُ بَقَائِي فَيْكُمْ فَاقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي ) وأشار الى ابي بكر وعمر . (٣)

(١) اخرجه مسلم كتاب العلم باب من سن سنة حسنة او سيئة ج ١٦ ص ٢٥٢ وكتاب الزكاة باب الحث على الصدقة وانواعها وانها حجاب من النار ج ٧ ص ١٠٢ - ١٠٤ عن جرير بن عبد الله واخرجه احمد ج ٤ ص ٣٥٧ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٢) خرج فى ص ٤٣ باب الدوافع .

(٣) اخرجه ابن ماجه كتاب مقدمة باب فضائل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ٩٧ ج ١ ص ٣٧ واللفظ له . ورواه احمد ج ٥ ص ٣٨١ - ٣٨٥ - ٣٩٩ - ٤٠٢ واسناده حسن تحقيق وصى الله بن محمد بن عباس - مؤسسة الرسالة ، ورواه الترمذى كتاب المناقب باب فى مناقب ابي بكر وعمر رضى الله عنهما حديث ٣٦٦

١- الحب هو الدافع الاول للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم :

وفى هذا قال الله تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) (١) فحبه سبيل للاقتداء به صلى الله عليه وسلم .  
وقال صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك . ( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى  
أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) (٢)

ومن المعروف ان النفوس جبلت على تقليد من تحب كمحبته صلى  
الله عليه وسلم دافع للاقتداء به .

٢ - شدة الحاجة الى القدوة :

وتبدو شدة الحاجة الى القدوة من التوجيه المبكر للنبي صلى  
الله عليه وسلم الى النهوض والدعوة الى الله قال الله تعالى:  
(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) (٣)  
( وقوله تعالى على لسان شعيب : ) ( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَىٰ مَا  
أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ) (٤)

فالانبياء جميعهم اساس مهمتهم التبليغ والتاثير فى الناس  
ولما كانوا كذلك كانت ابرز ملامحهم التى اعددهم الله تعالى عليها  
هى القدوة الحسنة ولهذا فان الربط بهذا الشكل بين المهمة  
التبليغية الشريفة بعد التهيئة لها يعطى القدوة الحسنة اهمية  
بالغة .

(١) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب الايمان باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم

من الايمان ج ١ ص ١٠٠ . واخرجه مسلم كتاب الايمان باب وجوب

محبة الرسول ج ١ ص ١٥ بشرح النووى واللفظ له . (٣) سورة

المدثر آية : ١ .

(٤) سورة هود آية : ٨٨ .



ولهذا حذر الله تعالى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وامته  
بقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ  
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ) (١)

وروى البخارى فى صحيحه عن اسامة أن الرسول صلى الله عليه وسلم  
قال ( يَجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ ) (٢)  
فِي النَّارِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرِجَاهِ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ  
فَيَقُولُونَ أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ  
الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَأَكُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَآتِيهِ (٣)

آثار الاقتداء بالانبياء :-

- ١ - النصر من الله تعالى وتأييده بالهداية ( إِنَّا لَنُنصِرُ مُرْسَلِينَ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ) (٤)
- ٢ - الاقتداء بالانبياء والذين معهم يتيح انتشار الاسلام : ( كُنْتُمْ  
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ) (٥)
- ٣ - الاقتداء بالانبياء سلوك يدفع الانسان الى الالتزام بكل مبادئ  
الدعوة الى الله وهو بهذا يقدم نموذجا خلايا مشيرا للاعجاب  
حاملا الفطرة السليمة على التساؤل عن الدافع لكل هذه الاعمال  
الانسانية النبيلة .

(١) سورة الصفاية : ٢ - ٣ .

(٢) فتندلق اقتابه : الاقتاب الامعاء - وقال ابن عيينه هي ما  
استدار فى البطن وهي الحوايا والامعاء وهي الاقصاب واحدها قصب  
. والاندلاق خروج الشئ من مكانه ج ١٨ ص ١١٨ صحيح مسلم شرح  
النووى .

(٣) اخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب صفة النار وانها مخلوقة ج ٤  
ص ١٤٧ وكتاب الفتن ج ٩ ص ٦٩ - ٧٠ واللفظ له - واخرجه مسلم  
كتاب الزهد باب عقوبة من يامر بالمعروف ولا يفعله ج ١٨ ص ١١٨  
بشرح النووى - واخرجه احمد ج ٥ ص ٢٠٥ - ص ٢٠٧ - ص ٢٠٩ .

(٤) سورة غافر آية : ٥١ (٥) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

٤ - يدعو المسلم بالقدوة الحسنة الى هدى الانسان وفلاحه فى الدنيا والآخرة وهذا مقصد نبيل جيد .

يدعو بدافعين أساسيين على الأقل هما :-

١ - الحرص التام من جانب المسلم القدوة على الالتزام بمنهج الله تعالى فى الحياة طمعا فى الفلاح فى الدنيا والآخرة .

٢ - الحرص من المسلم القدوة على تجسيد نموذج القدوة رغبة فى الاقتداء به لينال شرف الالتزام ومثوبته ولينال شرف التأسى به

ومثوبته التى اوضحها محمد صلى الله عليه وسلم فى حديث : ( مَنْ

سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ) (١) ولهذا فان الدوافع السامية القوية

عامل قوى وسر من اسرار قوة التأثير بالقدوة الحسنة .

موقف الصحابة من الاقتداء بالانبياء ومن معهم :-

عن ابى وائل (٢) قال جلست الى شيبه (٣) فى هذا المسجد قَالَ  
جَلَسَ إِلَى عُمَرَ فِي مَجْلِسِكَ هَذَا فَقَالَ لَقَدْ هَمَمْتُ (٤) أَنْ لَا أَدَعَ فِيهَا  
(٥) (٦) صَفْرَاءَ (٧) (وَلَا بَيْضَاءَ (٨) إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قُلْتُ مَا

(١) سبق تخريجه كاملا . ص ١٢٩ .

(٢) ابو وائل شقيق بن سلمه الأسدى ادرك سبع سنين من سن الجاهلية

وقد ذكرناه فى كتابنا فى الصحابة . روى عن عمر وعلى وابن

مسعود وجريير البجلي وابى موسى والمغيرة بن شعبة روى عنه

منصور والأعمش وعاصم واجمعوا على انه ثقه . الاستغناء فى

معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى ج ٢ ص ٩٦٨ لآبى عمر

يوسف القرطبى ج ١ عام ١٤٠٥ هـ - دار ابن تيميه للنشر

والتوزيع .

(٣) شيبه هو ابن عثمان الحجبي العبدوى اسلم بعد الفتح وبقى الى

زمان يزيد بن معاوية وليس له فى البخارى ومسلم الا هذا

الحديث . عمده القارى ج ٢٥ ص ٢٦ .

(٤) هممت : اى قصدت

(٥) ان لا ادع : اى لا اترك فيها اى فى الكعبة .

(٦) صفراء : ذهب (٧) بيضاء : اى فضة

أَلَمْ تَرَ بِفَاعِلٍ قَالِ لِمَ ؟ قُلْتَ لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ قَالِ هُمَا الْمَرَّانِ يَفْتَدِي  
بِهِمَا (١)

قوله هما المران يقتدى بهما : أى بالنبي صلى الله عليه وسلم  
وبأبى بكر رضى الله عنه والافتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم  
افتداء بسنته . (٢)

هذا اقتداء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالنبي صلى الله عليه  
وسلم وأبى بكر رضى الله عنه حيث اقتدى بهما واقتفى آثارهما فلم  
يخرج عن سلوكهم بقول أو بعمل .  
آدم عليه السلام :-

خلق الله آدم عليه السلام واسكنه الجنة وقال ابن كثير فى فضائل  
آدم عليه السلام هذه أربع تشرىفات خلقه الله بيده الكريمة ونفخ  
فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له وتعليمه أسماء الأشياء (٣)  
قال الله تعالى : ( فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعَوْا لَهُ  
سَاجِدِينَ (٤)

وقوله ( وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي  
بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) (٥)

(١) أخرجه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الافتداء  
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٩ ص ١١٤ - وكتاب الحج  
ج ٢ ١٨٣ واللفظ له - وأخرجه احمد ج ٣ ص ٤١٠ .

(٢) عمدة القارى المجلد ١٢ ج ٢٥ ص ٢٦ .

(٣) كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير - مكتبة المعارف  
بيروت ج ١ ص ٧٢ - الطبعة الثانية وانظر أيضا ص ٣٣ مع  
الانبياء فى القرآن الكريم - تاليف عفيف طباره - ط ١٢ - دار  
العلم للملايين - بيروت .

(٤) سورة الحجر آية : ٢٩ .

(٥) سورة البقرة آية : ٣١

وقد استعرض القرآن كثيرا من الايات التى تبين لنا فضائل آدم عليه السلام وتشريفه وتكريمه ومدة بقائه فى الجنة وخلق له زوجة واسكنه اليها .

الا انا نريد ان نشير هنا الى مواضع الابتلاء والقدوة فقط ليكون لنا نبراسا نسير على منهاجه ونقتدى به .

فدخول آدم الجنة وسكنه فيها من عظيم النعم التى امتن الله بها على نبيه آدم قال الله تعالى : ( وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ . فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ) ( ١ )

الابتلاء الأول :-

هذه النعم الموجهه للشكر فان بقاء النعم منوط بدوام الشكر والبعد عن المعاصى . ولا يمكن ان يقال ان معصية آدم خارجة عن ارادة الله بل هى اصل الابتلاء والامتحان فقد خلق آدم على اصح الاقوال ليكون خليفة الله فى ارضه ولذا قال القرطبي :

( لم يكن اخراج آدم من الجنة واهباطه منها عقوبة له لانه اهبطه بعد ان تاب عليه وقبل الله تعالى توبته وانما اهبطه ابتلاء وامتحانا له وذهب الى القول بان فى اهباطه واسكانه الارض ما قد ظهر من الحكمة الازلية فى ذلك وهى تنشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم بناء على قوله : ( إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ) ( ٢ ) وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة . ( ٣ )

( ١ ) سورة البقرة آية : ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ .

( ٢ ) سورة البقرة آية : ٣٠ .

( ٣ ) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٠٧ .

ويقول الطبرى فى تاريخه وفى ابتلاء آدم وامتحانه بما امتحنه من طاعته وذكر ركوب آدم معصية ربه بعد الذى كان اعطاه من كرامته وشريف المنزلة عنده ومكنه فى جنته من رغد العيش وهنيئه وما ازال ذلك عند فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش الى نكد عيش اهل الأرض وعلاج الحراثة والعمل بالمساحة والزراعة فيها .

فلما اسكن الله آدم وزوجته الجنة اطلق لهما ان ياكلا ما شاءا اكله من كل ما فيها من ثمارها غير شجرة (١) واحدة ابتلاء منه لهما بذلك وليمضى قضاء الله فيهما وفى ذريتهما . (٢)

وهذا ضابط لسلوك آدم امام الشهوات ولكن ما الدافع الى الاكل من الشجرة والوقوع فى المعصية وفى ذلك عدة اقوال :

الدافع الى الكل من الشجرة : دافع حب البقاء

١ - الرغبة فى التمكين والحرص على البقاء فى الجنة ولذا قال لهما الشيطان ( مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٣)

ويقول ابن كثير اى اذا اكلت منها حصل لك الخلد فيما انت فيه من النعيم واستمررت فى ملك لا يبين ولا ينقص وهذا من التغرير والتزوير والابخار بخلاف الواقع . (٤) وقوى هذا الدافع عاملان اساسيان هما :

(١) اختلف فى هذه الشجرة ولكننا لسنا بصد الحديث عنها يرجع اليه

فى كتب التفاسير - تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٠٧ .

(٢) تاريخ الامم والملوك ج ١ ص ٥٣ . لآبى جعفر بن جرير الطبرى - دار احياء التراث - بيروت .

(٣) سورة الاعراف آية ٢٠ .

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ٧٧ مرجع سابق .

١ - دافع الحقد والحسد كيف اخرج آدم من الجنة :

وذلك ان ابليس عليه لعنة الله قد حقد وحسد آدم عليه السلام فحاول اغرائه .

وهنا تظهر غريزة الانسان امام المغريات وما هو ذا قد ضعف امام اغواء الشيطان فازلها وواقعهما في المخالفة . (١)

٢ - اغواء آدم وحواء بان نسي العهد بان الشيطان عدو له ولذا قال تعالى : ( وَلَقَدْ عَهِدْنَا لِآدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ) (٢) وقال الله تعالى : ( وَإِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ) (٣) . فنسى عداوة ابليس لهما ونسى النهي والتحذير البالغ والشديد من ابليس لعنة الله حتى وقعا في الخطيئة فاكلوا من الشجرة .  
اما ما ترتب على هذا الابتلاء :-

١ - الهبوط من الجنة الى الارض

قال تعالى : ( فَازْلَمْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ . وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ) (٤) قال ابن كثير في كتاب البداية والنهاية : (١) من النعيم والنضرة والسرور الى دار التعب والكد والنكد وذلك بما وسوس لهما وزينه في صدورهما (٥) .  
كما قال تعالى : ( فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ) (٦)

(١) التفسير الواضح ج ١ ص ٣٢ - محمد محمود حجازي - ط ٦ - مطبعة

الاستقلال الكبرى ، القاهرة .

(٢) سورة طه آية : ١١٥ .

(٣) سورة طه آية : ١١٧٧

(٤) سورة البقرة آية : ٣٦ .

(٥) البداية والنهاية ج ١ ص ٧٧

(٦) سورة طه آية : ١١٧

حيث ان الجنة ليس فيها تكليف وليس فيها سعى ومنذ نزول آدم وهو يسعى فى رزقه - ولذا قال الفخر الرازى : ( اذاق البدن الم الطاعات كما ذاق حلاوة المعصية (١) )  
 ( ٣ ) توبة آدم عليه والسلام وحواء

قال الله تعالى : ( قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢) ) .  
 وقال الله تعالى : ( فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣) )

يقول القرطبي اى فطن وفهم وقيل قبل واخذ وقبل توبته ووفقه للتوبه وتاب ورجع الى طاعة ربه . (٤)  
 وقال الفخر الرازى فى تفسيره :  
 ان آدم عليه السلام لما لم يستغن عن التوبة مع علو شأنه فالواحد منا اولى بذلك . (٥)

ان كان ظهر من آدم عليه السلام من البكاء على زلته تنبيه لنا ايضا لاننا احق بالبكاء من آدم عليه السلام .  
 وقال ابن كثير : ( وهذا اعتراف ورجوع الى الانابة وتذليل وخضوع واستكانه وافتقار اليه تعالى فى الساعة الراهنة وهذا السر ما سرى فى احد من ذريته الا كانت عاقبته الى خير فى دنياه واخراه (٦) ) .

(١) الفخر الرازى - التفسير الكبير ط ٢ دار الكتاب العلمية -

طهران ج ١ ص ٢٥٠ .

(٢) سورة الاعراف آية : ٢٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ٣٧ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ١ ص ٣٢٤ ن وانظر ايضا تفسير

ابى السعود ج ١ ص ٩٠ - ٩٣ .

(٥) تفسير الفخر الرازى ج ٣ ص ٢٢ .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٧٩ " مرجع سابق " .

ومراداه ان التوبة وسرعة الندم اذا ورثها الابناء عن الآباء  
فأصبح المذنب مستشعر بالذنب والندم واناب الى الله ولذا قال الله  
تعالى: ( **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ** ) (١) اى كثيرى التوبة والانابة  
الى الله .

ولذا لجأ آدم الى التضرع والدعاء بقوله: ( **إِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا**  
**وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ) (٢) . وقال تعالى: ( **فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ**  
**رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ) قال ابو السعود :  
فى الجمع بين قوله تواب ورحيم ( وفى الجمع بين الوصفين وعد بليغ  
للتائب بالاحسان مع العفو والغفران ) (٣)

قال سيد قطب : ( ان قصة الشجرة المحرمة ووسوسة الشيطان باللذة  
ونسيان العهد بالمعصية والصحوة من بعد السكرة والندم وطلب  
المغفرة انها هى تجربة البشرية المتجددة والمكررة ) (٤)  
ويريد بذلك ان الانسان دائم الوقوع فى المعاصى لكن المؤمن هو  
من يسرع بالتوبة والندم .  
**دافع الحسد ادى الى قتل هابيل :**

اذ ابتلى آدم عليه السلام بقتل قابيل لهابيل وقد ذكرت كتب  
التاريخ والسير هذه القصة فيقول الطبرى فى سبب القتل هو تقبل  
الله لقربان هابيل دون قابيل . (٥)

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٢ .

(٢) سورة الاعراف آية : ٢٣ .

(٣) تفسير ابى السعود ج ١ ص ٩٢ - محمد بن محمد العمارى - دار  
احياء التراث - بيروت .

(٤) فى ظلال القرآن ج ١ ص ٥٩ - سيد قطب .

(٥) تاريخ الامم والملوك لآبى جعفر بن محمد بن جرير الطبرى ج ١ ص  
٦٩ - احياء التراث العربى ، بيروت .



قال الله تعالى فى هذا : ( وَاتَّلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِن بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبِئْسَ اسِطِ يَدَى إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَسْبُوا بِيَأْتِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) (١)

وفى الحديث الشريف عن سعد بن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( انها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الساعى قال افرأيت ان دخل على بيتى وبسط يده الى ليقتلنى قال كن كابنى آدم . (٢) فلما رجع آدم وجد ابنه قد قتل فذلك حين يقول الله عزوجل ( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ) (٣) يعنى قابيل حين حمل امانة آدم ثم لم يحفظ له اهله . (٤)

ولهذا يتحمل قابيل وزر كل من سعى بهذا الذنب العظيم لانه هو الذى سن القتل فى الارض وتبعه بعده الناس فهى اول معصيه يعصى الله فيها قال تعالى : ( ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ) (٥) .

(١) سورة المائدة آية : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ .

(٢) أخرجه الترمذى واللفظ له كتاب الفتن باب ما جاء فى تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم حديث ٢١٩٤ ج ٤ ص ٤٨٦ ، وقال ابو عيسى هذا حديث حسن واخرجه ابو داود كتاب الفتن باب النهى عن السعى فى الفتنة ج ٤ ص ٩٩ واخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب التثبت فى الفتنة ج ٢ ص ١٣١٠ حديث ٣٩٦١ .

(٣) سورة الاحزاب آية : ٧٢ .

(٤) تاريخ الامم والملوك للطبرى ج ١ ص ٦٩ .

(٥) سورة المائدة آية : ٣٢

وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لَا تُقَاتِلُ نَفْسًا إِلَّا كَانَتْ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلًا مِنْهَا ) ( ١ )

فقد تحمل آدم عليه السلام هذه المصيبة والفجيرة العظيمة التى وقعت لابنه تحقيقا لقوله تعالى : ( لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) ( ٢ )

من قصة آدم عليه السلام لنا عبر وعظات من نواح عدة :-

١ ( التحذير من الوقوع بالمعاصى ولذا قال الفخر الرازى :-

ان من تصور ما جرى على آدم عليه السلام بسبب اقدمه على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل شديد من المعاصى .

٢ ( التحذير من الحرص على الدنيا .

قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى (٣) رضى

(١) أخرجه البخارى واللفظ له كتاب الدييات باب قول الله تعالى

(ومن احيائها ) ج ٩ ص ٣ ، وكتاب الاعتصام باب اثم من دعا الى

ضلالة او سن سنة سيئة ج ٩ ص ١٢٧ وأخرجه مسلم كتاب القسامة

باب اثم من سن القتل ج ص ١٦٦ بشرح النووى وأخرجه الترمذى

كتاب العلم ج ٥ ص ٤٢ حديث ٢٦٧٣ وأخرجه احمد ج ١ ص ٣٨٣ -

٤٣٠ - ٤٣٣ . وأخرجه ابن ماجه دييات باب التغليظ فى قتل مسلم

ظلما ج ٢ ص ٨٧٣ حديث ٢٦١٦ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨٦ .

(٣) أبى سعيد الخدرى : هو سعيد بن مالك بن سنان الانصارى الخزرجى

صحابى جليل من فقهاء الصحابة اشتهر بكنيته استصغر يوم احد ثم

كان اول مشاهده اللخندق وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم

اثنى عشرة غزوة كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم قال

الواقدى وغيره مات سنة اربع وسبعين وقيل قبلها بعشر سنين -

يوم الجمعة ودفن بالبقيع .

اسد الغابة ج ١٢ ص ٢١٣ - البداية والنهاية ج ٩ ص ٣ - ٤

الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم : ( **إِنَّهُ** مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزَيْنَتِهَا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ مَا شَأْنُكَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَكَلِّمُكَ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ قَالَ فَصَحَّ عَنْهُ الرَّحَضَاءُ (١) فَقَالَ أَيْنَ السَّائِلُ وَكَانَهُ حَمْدَهُ فَقَالَ إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرَ بِالشَّرِّ وَإِنْ مِمَّا يَنْبَغُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يَلْمُ بِالْأَكْلَةِ الْخَضْرَاءِ (٢) أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا إِامْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ (٣) وَبَالَتْ وَرْتَعَتْ وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خُضْرَةٌ طَوَّافَةٌ فَتَنْعَمُ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمَسْكِينُ وَالْيَتِيمُ وَابْنُ السَّبِيلِ . (٤)

فما حمل آدم على الوقوع بالمعصية الا حرصه على التمكين والخلود فى الجنة

٣ - التحذير البالغ والشديد من الشيطان واعوانه وبيان عداوته لادم وذريته .

وقال الفخر الرازى فى قوله تعالى : ( **إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ) (٥)

هذا تنبيه عظيم على وجوب التحذير (٦)

(١) الرحضاء : العرق اثر الحمى عرق يغسل الجلد كله .

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم ( ان مما ينبت الربيع يقتل او يلم الا

آكله الخضراء - المعنى ان نبات الربيع وخضرة يقتل حبطا

بالتخمة لكثرة الاكل او يقارب القتل الا اذا اقتصر منه على

اليسير الذى تدعوا اليه الحاجة وتحصل به الكفاية المقتصدة

فانه لا يضر وهكذا المال ) ص ١٤٣ ج ٧ صحيح مسلم بشرح النووى .

(٣) فثلطت : اى القت الثلط وهو الرجيع الرقيق واكثر ما يقال

للابل والبقر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٧ ص ١٤١ .

(٤) اخرجه البخارى كتاب الزكاة باب الصدقة على اليتامى ج ٢ ص ١٥٠

- واخرجه مسلم كتاب الزكاة باب التحذير من الاغترار بزيينة

الدنيا ج ٧ ص ١٤١ ن ص ١٤٢ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ بشرح النووى -

واخرجه احمد ج ٣ ص ٢١ ن ج ٢ ص ٤٠ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٨ . (٦) الفخر الرازى بتصرف ج ٣ ص ١٨

ولذا قال ابن القيم فى قوله : ( بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ) (١) وهو سبحانه قد اكد امر العداوة بين الشيطان والانسان واعاد وابدى ذكرها فى القرآن لشدة الحاجة الى التحرز من هذا العدو (٢) وقال ( يَا أَيُّهَا الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا . إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ) (٣) ولنا ان نتعظ من وقوع آدم عليه السلام فى المعصية . واخرجه من الجنة يقول الله تعالى ( اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ) (٤) فان المقصود اخبار الله تعالى الثقليين بما جرى لابويهما من شؤم المعصية ومخالفة الامر فذكر ابويهما ابلغ فى حصول هذا المعنى من ذكر ابوى الانسان فقط .

لذا فالخطاب موجه الى آدم وابليس اذ هما ابوا ثقليين واصلا الذرية فذكر حالهما ومآل امرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما (٥) ٤ - سرعة توبة وانابة آدم عليه السلام .

وقال الفخر الرازى ان آدم عليه السلام لما لم يستغن عن التوبة مع علو شأنه فالواحد منا أولى بذلك .

ان بكاء آدم وتضرعه الى الله لنا ان نقتدى به فهو على عظم منزلته من الله لم يستكبر عن التوبة والانابة الى الله .

وفى هذا ايضا تنبيه لنا لاننا احق بالبكاء من آدم عليه السلام

٥ - انه لا بد ان يكون العبد مشتغلا بالتوبة فى كل حين واوان .

٦ - العزم على ترك الذنوب فى المستقبل (٦)

(١) سورة البقرة آية : ٣٦

(٢) التفسير القيم لابن القيم - تحقيق محمد حامد الفقى - دار الكتب العلمية - بيروت ص ١٣٤ .

(٣) سورة فاطر آية : ٦

(٤) سورة طه آية : ١٢٣ .

(٥) التفسير القيم ص ١٣٥ - ص ١٣٦ بتصرف .

(٦) تفسير الفخر الرازى ج ٣ ص ٢٢ ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ بتصرف .

ويمكن ان نستنتج من قصة ابليس ما يلي :-

١ - التحذير من الاستكبار والحسد والحرص ولذا قال الله تعالى  
 : ( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى  
 وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) (١) فقد حسد ابليس آدم على ما  
 اعداه الله من الكرامة فكان ان عاقبه الله تعالى فقال الله  
 تعالى : ( فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ  
 الصَّاغِرِينَ ) (٢)

وفى الحديث نهى شديد عن الكبر ( عن عبد الله بن مسعود عن  
 النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه  
 مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار يعنى من كان فى قلبه مثقال  
 ذرة من ايمان قال فقال له رجل يانه يعجبني ان يكون ثوبي حسنا  
 ونعلى حسنة قال : وان الله يحب الجمال ولكن الكبر من بطر  
 الحق (٣) وغمط الناس (٤) (٥) الحديث .

وقد نقل ابن حيان قول الطبرى :

وفى قصة ابليس تقريع لمن اشبهه من بنى آدم وهم اليهود  
 الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع عملهم بنبوته ومع قدم  
 نعم الله عليهم وعلى اسلافهم . (٦)

(١) سورة البقرة آية : ٣٤ .

(٢) سورة الاعراف آية : ١٣ .

(٣) بطر الحق : دفعه وانكاره ترفعا وتجبرا .

(٤) غمط الناس : احتقارهم . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج٢ ص ٩٠

(٥) اخرجه مسلم كتاب الايمان باب تحريم الكبر ج ٢ ص ٨٩ بشرح

النووى واخرجه الترمذى واللفظ له كتاب البر باب ما جاء فى

الكبر ج ٤ ص ٣٦١ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب -

واخرجه ابو داود عن ابي هريرة ج ٤ ص ٥٩ كتاب اللباس باب ما

جاء فى الكبر - حديث ٤٠٩٢ . (٦) التفسير الكبير المسمى

بالبحر المحيط لابي حيان - مكتبة النصر الحديثة - الرياض ج ١

وهي ايضاً لنا عبرة اذ حرم علينا الحسد والكبر وغيره من النقائص  
 وفي الحديث الشريف . عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال : ( لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا  
 وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ  
 أَيَّامٍ ) (١)

ولذا كان جديراً بنا ان ننقل قول سيد قطب في ختام هذه القصة  
 قصة اول صراع بين آدم وابليس حيث يقول :

( وفي خاتمة القصة وهو وقوف الانسان امام مفترق الطريق اما ان  
 يسمع الانسان ويطيع لما يتلقاه من الله او ان يسمع الانسان ويطيع  
 لما يمليه عليه الشيطان وليس هناك طريق ثالث اما الله واما  
 الشيطان اما الهدى واما الضلال اما الحق واما لباطل اما الفلاح واما  
 الخسران . هذه الحقيقة هي التي يعبر عنها القرآن كله ) (٢) .

قال الله تعالى : ( يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ  
 أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ) . (٣) هذا تحذير بليغ لنا من عداوة الشيطان  
 لابن آدم اذ انه اساس الفتنة الاولى والخطيئة التي بسببها اخرج  
 آدم من الجنة . فخطيئته الكبرى هي :-

١ - اول معصية عصاها ابليس لله عزوجل حينما امتنع عن السجود لآدم  
 ( أَبِي وَاسْتَكْبَرَ ) (٤)

وكان نتيجة العقوبة الحتمية . قال الله تعالى : ( أَخْرَجْنَا مِنْهَا  
 مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ) (٥)

(١) اخرجه البخارى واللفظ له كتاب الادب باب ما نهى عن التحاسد

والتدابير ص ٢٣ ج ٨ واخرجه الترمذى كتاب البر والصلة باب ما

جاء في الحسد ج ٤ ص ٣٢٩ حديث رقم ١٩٣٥ .

(٢) في ظلال القرآن ج ٢ ص ٦١ " مرجع سابق " .

(٣) سورة الاعراف آية : ٢٧ .

(٤) سورة البقرة آية : ٣٤ .

(٥) سورة الاعراف آية : ١٨ .

٢ - الخبيثة الثانية الحسد اذ حسد ابليس آدم فقال : (وَاسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ) (١) فقد حسد ابليس آدم عليه السلام على تكريم الله له .

٣ - الخبيثة الثانية : واما الخبيثة المشتركة بين آدم وحواء فهي الحرص على البقاء والتمكين فاتاهم الشيطان من هذه الغريزة ووسوس لهم بان قال : ( مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ) (٢) فدافع الحسد هو اول ذنب عصى الله فيه فى السماء من ابليس وهو اول ذنب عصى الله فيه من اهل الارض (٣)

ولنا فى قتل قابيل لهابيل عدة عبر وعظات ومنها :

١ - القى الشيطان الحرص فى قلب هابيل حتى قتل هابيل وسبب ذلك الحرص على الدنيا فقد ذهب المفسرون الى ان سبب تقديم القربان هو طمع قابيل ان يتزوج اخت هابيل وزوجته فرفض فقدا القربان فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل مما دعاه الى الحسد فتوعده بقتله حتى تمكن من ذلك فقتله .

وسواء كان هذا هو السبب او لاي سبب آخر فالدافع للقتل هو الحرص وحب الشهوات وحب النساء خاصة كما قال الله تعالى : ( زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالاَتْعَامِ وَالحَرثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ . (٤)

(١) سورة الاسراء آية : ٦١

(٢) سورة الاعراف آية : ٢٠ .

(٣) مع الانبياء فى القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طباره - دار

العلم للملايين , بتصرف ص ٥٥ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٤ .

فهذا تحذير بالغ من هذه الشهوات وان كانت هي فى غريزة النفس البشرية فان اول فتنة بنى اسراييل من النساء . وقال صلى الله عليه وسلم : ( وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خُضْرَةٌ حُلْوَةٌ فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمَسْلَمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمَسْكِينُ وَالْيَتِيمُ وَابْنُ السَّبِيلِ ) (١)

٢ - وفى القصة بيان ابتلاء آدم عليه السلام بقتل ابنه وصبره على هذا البلاء واحتسابه .

٣ - عدم مواجهة هابيل لقابيل بالقتل وذلك دفعا للفتنة لانه قال تعالى على لسان هابيل ( لِإِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ) (٢) .

نوح عليه السلام :-

نوح عليه السلام نبى الله بعث يدعو قومه الف سنة الا خمسين عاما فما وهن وما ضعف وما ترك الدعوة بل صبر وجلد حتى بلغ بوحى من الله انه لن يؤمن معه الا من آمن من قبل وهم قلة . وساسير على نفس المنهج الذى التزمته فى هذا الفصل حيث سأتتبع مواضع الابتلاء والصبر والبلاء الحسن فى سبيل الدعوة ليكون لنا قدوة اخرى نسير عليها .

فنوح عليه السلام كان ممن ابتلى بقوم عصاة لا يفيد معهم الوعظ ولا الارشاد والنصح بالتى هى احسن حتى طال بقاؤه بينهم وتواصوا عليه قال الله تعالى : ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ) (٣) .

( هذا تشبيت للنبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل له ان نوحا لبث الف سنة الا خمسين عاما يدعو قومه ولم يؤمن منهم الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد امتك ) (٤)

(١) سبق تخريجه : ص ١٢٥ .

(٢) سورة المائدة آية : ٢٨

(٣) سورة العنكبوت آية : ١٤ .

(٤) فتح القدير للشوكانى ج ٤ ص ١٩٦ .



فهذا موضع يتجلى فيه عظم صبر الداعية الى الله فلا ييئس ولا يقطع الدعوة والرجاء لان هذا كله من اجل الله .

" فمع هذه المدة الطويلة فما آمن به الا القليل منهم وكان كل ما نقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الايمان به ومحاربتة ومخالفته . وكان الوالد اذا بلغ ولده وعقل منه الكلام وصاه فيما بينه وبينه ان لا يؤمن بنوح ابدا ما عاش ودائما ما بقى وكانت سجايهم تاتى الايمان واتباع الحق (١) . ولهذا قال : ( وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا ) (٢)

واخرج الطبرى بسنده من حديث عمير الليثى : ( انه كان يحدث انه بلغه انهم كانوا يببطشون به يعنى قوم نوح بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ) (٣)  
قال ابن اسحاق حتى اذا تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا ياتى قوم الا كان اخبث من الذى قبله حتى ان كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع ابائنا ومع اجدادنا هكذا مجنوننا لا يقبلون منه شيئا حتى شكا ذلك من امرهم نوح الى الله عزوجل فقال كما قص القرآن عنه : ( رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ) (٤) الا ان دعا عليهم ( لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنَّا تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا ) (٥) .

والله انه لصبر عظيم طويل الباع بل ان اعتذار نوح عن قومه لهو اعظم درجات العفو والصفح حين قال فانهم لا يعلمون عظم المعصية من

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٠٩ .

(٢) سورة نوح آية : ٢٦ .

(٣) تاريخ الامم والملوك ج ١ ص ٩٢ - للطبرى . وانظر ايضا المختصر

فى اخبار البشر - تاريخ ابى الفداء ج ١ ص ١٠ .

(٤) سورة نوح آية : ٤ - ٥ .

(٥) سورة نوح آية : ٢٥ - ٢٦ .

اذية الرسل والانبياء فكان الاجدر ان ينتقم او يدعو عليهم او يعرض عنهم لكنه نبي لم يعرض ولم يدع عليهم ولم ينتقم منهم الا بعد الامد الطويل والوحى من الله انهم لن يؤمنوا ولن يلدوا الا فاجرا كفارا هنالك دعا عليهم نوحا فاهلكهم الله بالطوفان .

### ١ - اتهامه بالجنون :-

قال الله تعالى : ( كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ) (١) . لم يقتصر اذيتهم على خذلانه وعدم الايمان به بل اتهموه بالجنون وزجروه ونهروه . عن دعوة النبوة وعن تبليغ ما ارسل به بكل انواع الزجر وهذا فيه تاس وتسليه لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وقد اشار الشوكاني الى موضع القدوة فقال : ( والمقصود من ذكر القصة هي تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه (٢) )  
٢ - تهديد نوح عليه السلام :-

قال تعالى على لسانهم : ( لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ) (٣) فهذا تهديد له عليه السلام ليكف عن تبليغ الرسالة ( فلما طال مقام نبي الله بين اظهرهم يدعوهم الى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا وكلما كرر عليهم الدعوة صموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا ان لم تنته عن دعوتك ايانا الى دينك لنرجمك ) (٤)  
٣ - الانقاص من قدره وقدر اتباعه عليه السلام :-

قال الله تعالى : ( فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا

(١) سورة القمر آية : ٩ .

(٢) فتح القدير ج ٥ ص ١٢٢ .

(٣) سورة الشعراء آية : ١١٦ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٤١ .

بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْبَارِ الرَّأْيِ وَمَا  
نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَاذِبِينَ (١)

يقول الامام الطبرى كانهم منكرون ان الله يرسل من البشر رسولا  
الى خلقه . وما تبعك الا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء  
والاشراف . (٢)

فهم قد اعابو عليه انصاره واتباعه ونسبوهم الى انهم السفلة  
اي ضعفاء القوم وليسوا من السادة والاشراف .  
٤- تكذيبهم نبيهم فى الآخرة :-

لم يقتصر التكذيب والخذلان وما لاقاه فى الدنيا فقط بل استمروا  
بالمكابرة والتكذيب حتى فى الآخرة ففى الحديث الصحيح عن ابي سعيد  
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ فَتَسْأَلُ أُمَّتَهُ هَلْ بَلَغْتُمْ  
فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ شَهِدَكَ ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ فَيَجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( ٣ ) ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى  
النَّاسِ ) ( ٤ ) والوسط : العدل .

هذا جانب مما لاقاه نوح عليه السلام من قومه فقط الذين جحدوا

(١) سورة هود آية : ٢٧

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن - تفسير الطبرى - ج ٢ ص ١٧ .

(٣) أخرجه البخارى واللفظ له فى كتاب الانبياء باب قوله تعالى :

( ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ) ج ٤ ص ١٦٣ وكتاب الاعتصام باب

قوله تعالى : ( وكذلك جعلناكم امة وسطا ) ج ٩ ص ١٣٢ - وأخرجه

ابن ماجه زهد باب صفة امة محمد صلى الله عليه وسلم ج ٢ ص ١٤٣١

حديث رقم ٤٢٨٤ - وأخرجه احمد ج ٣ ص ٣٢ - ص ٥٨ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

تبليغ الرسالة وانكروا بادىء ذى بدء ان يكون رسولا من عند الله .  
ومن الملاحظ ان ابتلاء نوح عليه السلام لم يقتصر على قومه بل ابتلى  
فى اقرب الناس اليه فضرب لنا باعا عظيما فى الصبر وتحمل الاذى  
والابتلاء حتى من اقرب الناس اليه فقد وقعت الخيانة من زوجته  
والتكذيب من ابنه فابتلى باهله فصبر على ذلك صبورا جميلا قال الله  
تعالى ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا  
تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِن عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ  
شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ) (١)

وقال الشوكانى خيانتها انها كانت تقول للناس انه مجنون وقد  
وقع الاجماع على انه لم تزن امراة نبي قط . وقيل خيانتها النفاق -  
وقيل النميمة (٢) بل حتى ابنه يام الذى كذبه ولم يصدقه وكان وعد  
الله نوحا بان ينجيه واهله الا ان الغرق امتد الى يام فقال الله  
تعالى : ( وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُنْ  
مَعَ الْكَافِرِينَ ) (٣)

وقال الطبرى نادى نوح ابنه يام وكان فى معزل عنه لم يركب  
معه الفلك يا بنى اركب معنا الفلك ولا تكن مع الكافرين .  
وفى هذا يضرب لنا نوح مثالا آخر للاقتداء والصبر على الابتلاء  
فابنه عصاه وتخلى عنه وانحرف عن منهجه ومع ذلك عرف نوح ان هذا  
ابتلاء من الله . ولما عاتبه ربه على طلبه نجاة ابنه بادر بالتوبة  
والاستغفار وهذا جانب عظيم وخلق المؤمن الكريم فهو خلق آدم عليه  
السلام ومنهج الانبياء السالفين فقال الله تعالى على لسان نبيه

(١) سورة التحريم آية : ١٠ .

(٢) فتح القدير تفسير ج ٥ ص ٢٥٥ .

(٣) سورة هود آية : ٤٢ .

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن - الطبرى ج ١٢ ص ٢٨ .

(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي  
وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ) (١)

ويقول الطبرى هذا حث على الاقتداء بالنبى نوح فى سرعة توبته  
وانابته الى الله من زلته فى مسالته التى سالها ربه فى ابنه (٢)  
العاقبة :-

ولقد كانت العاقبة انتصار نوح وهلاك كل من كفر وجحد بنبى الله  
عليه السلام وقد حكى لنا القرآن فى مواضع متعددة استجابة الله  
سبحانه لعبده الصالح ولنبيه القدوة وانتصاره على قومه فقال تعالى  
( وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ . وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ  
الْعَظِيمِ ) (٣) وقال الله تعالى ( وَنُوْحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا  
لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ) قال رب قومى كذبون فافتح بينى  
وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين ) (٤)

وقال ( فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرِ ) (٥)

وقال ( رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ) (٦)

وقال الله تعالى ( مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ  
يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ) (٧) وقال نوح رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى  
الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا  
فَاجِرًا كَفَّارًا ) (٨) ( فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم  
ودعوه نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك (٩)

(١) سورة هود آية : ٤٧

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٢ ص ٣٤ .

(٣) سورة الصافات ص ٧٥ - ٧٦ . (٤) سورة الانبياء آية : ٧٦ .

(٥) سورة القمر آية : ١٠ . (٦) سورة المؤمنون آية : ٣٩ .

(٧) سورة نوح آية : ٢٥ . (٨) سورة هود آية : ١١٧ : ١١٨ .

(٩) سورة نوح آية : ٢٦ - ٢٧ .

(٩) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٠٩

## قصة ابراهيم عليه السلام :-

ابراهيم الخليل عليه السلام ابو الانبياء و خليل الله وشبيهه محمد صلى الله عليه وسلم لقد خصه الله بالخله لفضله وصبره ومصابرته .

قال الله تعالى : ( يَا اِبْرَاهِيمَ كَانَ اُمَّةً قَانِتًا لِّلّٰهِ ) (١)

يقول الطبرى : ( فى تفسير هذه الاية ان ابراهيم خليل الله كان معلم خير ياتم به اهل الهدى ومطيعا لله حنيفا مستقيما على دين الاسلام . (٢)

وقال القرطبي : الامة الرجل الجامع للخير فانه عليه السلام دعا مشركى العرب الى ملة ابراهيم اذ كان اباهم وبانى البيت الذى فيه عزهم (٣) ولم يكن من المشركين .

وهذا اعلام من الله تعالى الى اهل الشرك من قريش ان ابراهيم منهم برىء وانهم براء منه .

فهو المجتبى والمصطفى لخلقه وهداه الى دين الاسلام لا اليهودية ولا النصرانية (٤) ويقول القرطبي : ان الله اجتباها للنبوته . وقيل للولد الصالح الطيب . وقيل الصلاة مقرونة بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه ليس اهل دين الا وهم يقولونه وانه فى الآخرة لمن الصالحين اى مع الصالحين ) (٥)

جمع خيرى الدنيا والآخرة . ففى الحديث عن انس بن مالك قال : ( جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ

(١) سورة النحل آية : ١٢٠ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ١٤ ص ١٢٨ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي . ج ١٠ ص ١٩٧

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ١٤ ص ١٢٨ بتصرف .

(٥) تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ١٩٧ وانظر تفسير

الطبرى ج ١٤ ص ١٢٩ .

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١)

قال النووي وقال بعض العلماء انما قال هذا تواضعا واحترام لابراهيم عليه الصلاة والسلام لخلته وابوته والا فنبيننا صلى الله عليه وسلم افضل كما قال صلى الله عليه وسلم : عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( اَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَوَّلُ مَنْ تَشَقَّقَ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ ) (٢) ولم يقصد به الافتخار ولا التناول بل قاله بيانا لما امر ببيانه ولهذا قال ولا فخر (٣) وهذا من باب الهضم والتواضع مع والده الخليل عليه السلام (٤) كما قال وفي فضل ابراهيم يقول الله تعالى : ( إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ) (٥) ويقول ابن حجر فى معنى ( الاواه ) عن مجاهد الاواه الحفيظ الرجل يذنب الذنب سرا ثم يتوب منه سرا . (٦)

(١) اخرجه مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب فضائل ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ج ١٥ ص ١٢١ واللفظ له - واخرجه ابو داود كتاب السنة باب التخير بين الانبياء عليهم السلام ج ٤ ص ٢١٨ - واخرجه احمد ج ٣ ص ١٧٨ ، ص ١٨٤ .

(٢) اخرجه مسلم كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ج ١٥ ص ٣٧ بشرح النووي واخرجه ابو داود كتاب السنة باب التخير بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ج ٤ ص ٢١٨ واللفظ له - واخرجه الترمذى كتاب مناقب باب فصل النبى صلى الله عليه وسلم ج ٥ ص ٥٨٣ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب . واخرجه بن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة ج ٢ ص ١٤٤٠ حديث رقم ٤٣٠٨ . واخرجه احمد ج ٢ ص ٥٤٠ ، ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٢١ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ١٧١ .

(٥) سورة التوبة آية : ١١٤ .

(٦) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٣٩٠ .

وذهب الطبرى الى انه الدعاء ونقل قول عبد الله بن مسعود (١) الذى رواه عنه انه الدعاء . وعل ذلك بقوله ان الله ذكر ذلك ووصف به ابراهيم خليله وهو بعد وصفه اياه بالدعاء والاستغفار لانيه فقال . ( وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارَ اِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ) (٢) وترك الدعاء والاستغفار له ثم قال ان ابراهيم لدعاء ربه شاكر له حلیم عن سبه وناله بالمكروه وذلك صلى الله عليه وسلم وعد اياه بالاستغفار له ودعاء الله له بالمغفرة على الرغم من توعد ابيه اياه وتهده به بالشتم بعد ما ورد عليه نصيحته فى الله .

فوفى لأبيه الاستغفار له حتى تبين له انه عدو لله فوصفه الله بأنه دعاء لربه حلیم عن سفه عليه . واصله من التاوه وهو التضرع والمسألة بالحنن والاشفاق ) (٣)

وفى الحديث من فضائل ابراهيم ما رواه ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ( إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةَ عَرَاةٍ غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ ) ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ) (٤) واول من يكسى يوم القيامة ابراهيم وان اناسا من اصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابى فيقول انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم فاقول كما قال العبد الصالح (٥) : ( وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ) . . الى قوله ( الْحَكِيمُ ) (٦)

(١) عبد الله بن مسعود : امه ام عبد من هذيل اسلم بمكة وهاجر الهجرتين وكان صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد بدرًا والمشاهد كلها . تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٧ .

(٢) سورة التوبة آية ك ١١٤ .

(٣) تاريخ الامم والملوك - الطبرى ج ١١ ص ٣٧ المجلد ٧

(٤) سورة الانبياء آية : ١٠٤ .

(٥) اخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب قول الله تعالى ( واتخذ

الله ابراهيم خليلًا ) وقوله ( ان ابراهيم كان امة قانتا )

وقوله ( ان ابراهيم لاواه حلیم ) ج ٤ ص ١٦٩ .

(٦) سورة المائدة آية : ١١٧



ويقول ابن حجر : ( الحكمة فى خصومه بذلك لكونه القى فى النار  
عريانا وقيل لانه اول من لبس السراويل .  
ولا يلزم من خصوصيته بذلك تفضيله على نبينا محمد صلى الله  
عليه وسلم لان المفضول قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة  
المطلقة (١)

ولقد تعددت مواضع الابتلاء بالنسبة لابراهيم الامة القانت فكان  
نموذجا كاملا لصبر على البلاء وتقديم احسن البلاء العظيم فى سبيل  
ربه ودعوته الى دينه هذا الخليل والمجتبى المختار يبتلى بكفر  
ابيه ازر فيصبر ويستغفر ويستحى على احسن ما يكون ادب الابن البار  
بوالديه فهو اول ابتلاء لابراهيم عليه السلام ويحكى القرآن هذا  
البلاء حيث يبين الاسلوب الرفيع الذى دعى فيه الابن اباه فقال : (إِذْ  
قَالَ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا .  
يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا  
سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَا  
أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) (٢)

ابراهيم كداعية لم يتبرا من بنوته لانيه ازر - استخدم اسلوب  
الاقرار بالابوة فى كل بيان للدعوة وها هو يفتح قوله يا ابت .  
ويختم الدعوة بقوله : ( يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن )  
اعتراف تام بالابوة وامثال الامر الدعوة باللطف واللين كما قال  
تعالى : ( وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا  
وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ) (٣) الاية  
هذا هو اللين الذى اتبعه ابراهيم فى دعوة صانع التماثيل  
والاصنام وهو اسوة لكل داعية الى الله حيث يظهر لنا ضبطه لسلكه  
وعطفه على والده ومخاطبته بالتى هى احسن .

(١) فتح البارى ج ٦ ص ٣٩٠ سبق شرح فضل النبى صلى الله عليه وسلم

على سائر الانبياء ص ١٤٨ .

(٢) سورة مريم آية : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) سورة لقمان آية : ١٥ .

ثم يظهر السياق القرآنى جانباً آخر من عظم أدب الابن البار وحسن أسلوب الدعوة الى الله والحاجة ليكون لنا قدوة واسوة حيث بين أن المعبود لا بد أن ينفع ويضر وهذه التى يعبدونها لا تنفع ولا تضر فهذه حجة من ابراهيم عليه السلام لعل ازر يدركها فيقتنع بها .

لم يصرح انه عالم بكل شىء ولم يصف اباه بالجهل بل قال :  
( يَا أَبَتِ إِنَّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنى أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ) (١) .

هكذا شأن العلماء العظماء لا فخر ولا تعالى بعلمه فلم يسم نفسه بالعلم ولم يسم أباه بالجهل المفرط بل قال جاءنى شىء من العلم وهو العلم الذى سينقذنا من هذا الضلال وهذا أسلوب جيد من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وضابط لسلوكه ولعجبه وكبرياءه بعلمه فهو عالم بربه واعلم اهل زمانه ومع وجود الدافع الى العجب والكبر الا انا نجد الضابط اقوى حيث لا يظهر علمه بل يقول شيئاً من العلم .

ثم يبين له أن الشيطان مغاضب لله بسبب امتناعه للسجود لآدم وهو سبب المعصية الاولى التى بسببها اهبط آدم من الجنة . وهذا ايضا أسلوب ينبغى للداعية ابرازة فى دعوته الى الله عزوجل اذ يبين الضرر من الطريق الذى عليه الضال ويبين له سبيل الهداية والرشاد .

ويختتم الدعوة كما اشارت الايات سابقا بقوله ( يا ابت ) الا انه هنا يظهر حزنه وشفقته على والده من العقوبة التى هى عادة تلحق العمارة أمثاله .

هكذا أسلوب الداعية الى الله قال الله تعالى : ( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) ( ٢ )

(١) سورة مريم آية : ٤٣ .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٥ .

ابتلاءه عليه السلام بتهديد ابيه وطرده من أرضه :

قال تعالى على لسان ابي ابراهيم : ( لَنْ لَّمْ تَنْتَهَ يَا اِبْرَاهِيمَ  
لَا رَجْمُكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ) (١)

( لم يجد ابراهيم من قومه اذانا صاغية لدعوته بل وجد اعراضا  
وعداوة وهجرانا فلم يثنه ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن الى  
قلبه ) (٢) . فقلب ابراهيم الكبير لا يطيق رؤية والده يتيه فى الضلال  
وينغمس فى عبادة الاصنام فيسعى الى هدايته ولكن هذا الوالد الذى  
تحجر عقله يقابل ابراهيم بالوعيد والتهديد بالرجم فيجيب هذا الابن  
( سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ) (٣) .

( ان استغفار ابراهيم لوالده بعد ان تلقى تهديده يدل على  
اخلاصه له كما ينم على قلب كبير ينبض بالحب والعطف والحنان ) (٤)  
( وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ اِبْرَاهِيمَ ) (٥)

ففى قصة نوح كان الاب نبيا والابن كافرا وفى قصة ابراهيم كان  
الاب كافرا والابن نبيا . وفى القصتين نرى المؤمن يعلن براءته من  
عدو الله رغم كونه ابنه او والده وكان الله يفهمنا من خلال القصة  
ان العلاقة الوحيدة التى ينبغى ان تقوم عليها الروابط بين الناس  
هى علاقة الايمان لا علاقة الميلاد او الدم (٦)

وهذا ضابط قوى لعاطفة الابوة او النبوة فدافع الابوة قد يدفع  
الانسان الى الارتباط بابيه وان كان كافرا ودافع البنوة قد يدفع  
الانسان الى الارتباط بوالديه وان كانا كافرين . ولكننا نلمس من

(١) سورة مريم آية : ٤٦ .

(٢) مع الانبياء ص ١٣٨ .

(٣) سورة مريم آية : ٤٧ .

(٤) مع الانبياء ص ١٣٧ .

(٥) سورة التوبة آية : ١١٤ .

(٦) انبياء الله - احمد بهجت ص ٩٠ .

القصتين انضباط في السلوك وتبريء من الجانبين وسرعة العودة والاستغفار الى الله عزوجل وبيان ان العلاقة والدعوة انما هي من اجل الله فقط . ولذا قال في ابراهيم ( **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** ) (١) اي تائب عن الاستغفار لوالده راجع الى ربه . هجرته عليه السلام من بلاده :

( **فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ . وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ) (٢)

لقد قل اتباعه فلم يتبعه الا النبي لوط عليه السلام - وزوجته التي آمنت به فهاجر وساح داعيا الى الله على قلة الاتصار والاتباع وهذا مما يؤيد لنا ان قلة الاتباع لا تنبئ باليأس او القنوط وان الحق وان قل اتباعه لا بد ان يظهر . ابتلاؤه عليه السلام بالقائه في النار :

قال الله تعالى على لسان قومه ( **حِرْقُوهُ وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ) (٣)

وقال الله تعالى : ( **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ** ) (٤)

لقد دمغهم ابراهيم بالحجة الباغة الظاهرة فما كان منهم الا ان لجأوا الى استخدام اسلوب الضعف والسلط والجبروت وهذه عادة الطغاة اذ اعدموا الحجة والبرهان . فيعد ان حاولوا معه وهو يقول : ( **أَفُؤِّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ** ) (٥)

(١) سورة التوبة آية : ١١٤ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٢٦ .

(٣) سورة الانبياء آية : ٦٨ .

(٤) سورة الصافات آية : ٩٧ .

(٥) سورة الانبياء آية : ٦٧ .

(أَيُّفَكَأَءِإِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ) (١) فهو مصر على موقفه وان واجه الاعدام فى سبيل العقيدة والثبات عليها وفوض امره الى الله فروى البخارى عن ابن عباس انه قال : ( حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ) قالها ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : ( إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ رَإِمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ) ( ٣ )

وقال ابن كثير : عدلوا عن الجدل والمناظرة الى استعمال قوتهم وطغيانهم لينصروا ما هم عليه من سفهم وطغيانهم فكادهم الرب واعلى كلمته ودينه وبركاته . (٤)

كما قال الله تعالى : ( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخْسِرِينَ ) (٥)

" فهكذا الجهل اذا استحكم فى النفوس والتعصب الاعمى اذا لامس القلوب جعل النفوس تصل الى مستوى حقير فى الحكم على صحة الاشياء لهذا لما راوا انهم غلبوا على امرهم وخافوا اقتضاح حالهم ولم تنبى لهم حجة عدلوا عن الجدل والمناظرة وعمدوا الى القوة يسترون بها فضيحتهم " (٦)

ولكن الثبات هو مبدأ الدعوة فهكذا ابراهيم ثبت وان كان شابا يانعا لقوله تعالى : ( انا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ) (٧)

(١) سورة الانبياء آية : ٦٧ .

(٢) سورة الصافات آية : ٨٦ .

(٣) اخرجه البخارى كتاب التفسير باب تفسير سورة آل عمران ج ٦ ص

٤٨ ، ص ٤٩ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٤٥ .

(٥) سورة الانبياء آية : ٦٩ .

(٦) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره ص ١١٣ .

(٧) سورة الانبياء آية : ٦٠ .

فلجأ الى الله واسند ظهره اليه وشد به بأسه فانزل الله السكينة على قلبه وايده بنصره فهذه النار تاكل كل شيء الا الخليل يبقى فيها لم يمسه سوء بامر الله . انه حسن التوكل على الله وضبط النفس وتحملها الصعاب والمشاق لنصره دين الله واعلاء كلمته لم يهرب ولم ينخذل ولم يتراجع مع ادراكه وقوع الموت له بل اعتمد على الله فى اخلاصه فنجاه الله منها وكادهم فلم يمسه سوء .

هذه العقيدة الخالصة التى ينبغى للدعاة أن يقتدوا بها لا بد أن يواجه الداعية مثل هذا العناء مثل هذا الاسلوب لكنه لا يقنط ولا يتراجع بل يقتدى بأنبياء الله المهتدون فلا يتخلى عن ربه وعندئذ يأتى نصر الله المحقق له . عن سعيد بن المسيب عن ام شريك (١) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وقال وكان ينفخ على ابراهيم (٢) .

ابتلاؤه عليه السلام بابنه الوحيد :

قال تعالى ( رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ

(١) ام شريك : العامرية ويقال الانصارية ويقال الدوسيه اسمها غزیه ويقال غزيلة بنت دودان بن عمرو بن عامر بن رواحه بن منقذ بن عمرو بن عميص بن عامر بن لؤى وقيل غير ذلك فى نسبها وقال ابن سعد غزیه بنت حكيم جابر ويقال هى التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . روت عن النبي صلى الله عليه وسلم . وعنهما جابر بن عبد الله وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وشهري بن حوشب . تهذيب التهذيب . ج ١٢ ص ٤٧٢ .

(٢) رواه البخارى كتاب الانبياء ج ٦ ص ٣٨٩ فتح البارى . ورواه مسلم من حديث ابن جريح - كتاب قتل الحياة باب استحباب قتل الوزغ ج ١٤ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ بشرح النووى - واخرجه ابو داود كتاب الادب باب قتل الوزغ ج ٤ ص ٣٦٦ - واخرجه الترمذى كتاب الصيد باب ما جاؤ فى قتل الوزغ ج ٤ ص ٧٦ .

مَاذَا تَرَى قَالَ يَا اَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي اِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّٰبِرِيْنَ . فَلَمَّا اسْلَمَا وَتَلَّهٗ لِلْجَبِيْنَ وَنَادَيْنَاهُ اَنْ يَا اِبْرٰهِيْمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّوْيَا . رَاِنَا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ اِنَّ هٰذَا لَهٗوَ الْبَلَاءُ الْمَبِيْنُ . وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيْمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْاٰخِرِيْنَ سَلَامٌ عَلَى اِبْرٰهِيْمَ . كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ وَبَشَرْنَاهُ بِاسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى اسْحٰقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهٖمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهٖ مَبِيْنٌ ( ١ )

حقا انه ابتلاء وانه لبلاء مبین اذ يقول : ( المفسرون انه ولد له وهو على رأس ست وثمانين سنة فلما شب وصار يسعى فى مصالحه كآبيه وارتحل وطاق ما يفعله أبوه من السعى والعمل رأى ابراهيم انه يذبحه . هذا اختبار من الله عزوجل لخليله فى ان يذبح هذا الولد العزيز الذى جاءه على كبر وقد طعن فى السن ) ( ٢ )

ولكن هل هذا الابتلاء الاول لابراهيم مع هذا الابن الفريد الوحيد لشيخ طعن فى السن لا بل كان الفراق والحكم عليه بان يسكنه الواد كما يقول ابن كثير ( هذا بعد ما امر بان يسكنه هو وامه فى بلد قفر وواد ليس به حسيس ولا انيس ولا زرع ولا ضرع فامتثل امر الله فى ذلك وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلا عليه فجعل الله لهما فرجا ومخرجا ورزقهما من حيث لا يحتسبان ) . ( ٣ )

فهذا الابتلاء بالفراق عظيم وبعد عن الزوجة والولد بعد ان يرزقه على كبر وطعن فى السن ومع هذا يمتثل فدافع الابوة شىء معروف ان الانسان لا يتحمل مشاق الزواج واعباء الاسرة الا من اجل الولد وبالتالي تاتى عاطفة الابوة والحنو على الاطفال وحبهم والتعلق بهم ولكنا نرى ان الله يربى هذا الخليل المصطفى المختار على تربيه خاصة لثلا يتعلق قلبه بغير ربه لا زوجه ولا ولد فينضبط

(١) سورة الصافات من الآية ١٠٠ : ١١٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٧ .

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٧ .

سلوك الأب ويضبط عواطف الأبوة ويتجه بزوجه وولده الى حيث امره الله ( ثم لما امر بعد هذا كله بذبح ولده وهو بكره ووحيدته الذى ليس له غيره اجاب ربه وامتلأ امره وسارع الى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون اطيب لقلبه واهون عليه من ان يأخذه قسرا ويذبحه قهرا ) (١)

تضحية من وجهين تضحية الوالد بولده وتضحية الابن بنفسه هذه هي ارفع صور الايمان واجلها فى تاريخ الانسانية .

( ما احوجنا الى هذا الدرس فى هذا الزمان الذى اصبح فيه المال والولد والمرأة يستاثرون بحب الانسان الذى يؤثرهم على كل شىء حتى اصبحوا معبودات له من دون الله وما احقر الانسان اذا تعلق بزينة الحياة الدنيا الفانية وترك الحقيقة الخالدة التى هي سبب وجوده ومصدر استمرار حياته ) . (٢)

( فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ) (٣) . اسلما كلاهما لأمر ربهما وتنفيذه حتى لا تشرئب النفوس بغير ذات الجلال والكمال وليظهر استسلام ابراهيم لأمر ربه واستسلام النبی اسماعيل ايضا لهذا الأمر وانقيادهما مخلصين له وتنفيذ أمره عندئذ يشاء الله ان يفتدى بكبش عظيم ويكتب لابراهيم الاخلاص والوفاء والفداء هكذا ينبغي ان تبقى سيرة الدعاة الى الله التضحية بكل شىء يغلب على النفس حبا المال والزوجة والولد فالحب كله لله وحده .

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره ص ١٣٩ .

(٣) سورة الصافات آية : ١٠٣ - ١٠٤ .



## قصة داود عليه السلام :

ابتلى بآن جعل خليفه فى الارض اوكل اليه الحكم بين الناس وقد يظهر للبعض ان هذا ليس بلاء ولكننا ان تتبعنا قصة شريك

القاضى ورفضه لان يكون قاضيا عرفنا عظم البلاء ليكون لنا قدوة (١)  
 قال الله تعالى : ( يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ  
 النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ  
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ) (٢)

يقول ابن كثير :

هذا خطاب من الله مع داود والمراد ولاية الأمور وحكام الناس وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه من الآراء والآهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك ولو كان داود عليه السلام هو المقتدى به فى ذلك الوقت فى العدل وكثرة العبادته وأنواع القربات حتى انه كان لا تمضى ساعة من آناء الليل وأطراف النهار الا واهل بيته فى عبادة ليلا ونهارا (٣) كما قال الله تعالى : ( اعْلَمُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ) (٤)

(وقد تكون الخلافة سببا لان يطغى الانسان ويحكم هواه لذلك دعاه الله الى ان يحكم بين الناس بالحق والعدل بعيدا عن هوى النفس) (٥)

- 
- (١) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٤ .
  - (٢) سورة ص آية : ٢٦ .
  - (٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٤ .
  - (٤) سورة سبأ آية : ١٣ .
  - (٥) مع الانبياء فى القرآن ص ٢٨٠ .

## موقف هذا النبي عليه السلام :

قال تعالى يصف شدة عبادة : ( وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَا بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْثُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ) (١)

وفى هذه الايات يتجلى لنا موضع القدوة الحسنه لهذا النبي الشاكر لانعم الله (وفى هذه الايات يأمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يذكر عبدة ونبيه داود ليكون له فيه الاسوة الحسنه فهو المتصف بصفة (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) (٢) اى صاحب القوة فى دينه لايهن لشدته ولايضعف لاضطهاد فهذا المال وذلك الغنى لم تغنيه عن اللجوء الى الله بالعبادة وكثرة التوبة والانابه الى الله ولذا قال الله تعالى فيه : ( انه اواب ) اى كثير الرجوع الى الله فى الرخاء والشدة . فلم يغتر بهذة النعم كقصة قارون وفرعون والنمرود وغيرهم ممن فتنوا بمالهم فكانت عاقبه امرهم خسرا مما جعلنا نقتدى بهذا النبي اذ ضبط سلوكه فقام بواجب شكر النعمة لله عز وجل فقال الله تعالى فى معرض الثناء على داود لشكره نعمة ربه ) (٣) (وَلَقَدْ أُتِينَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ) (٤) .

قصه أيوب عليه السلام :

ايوب عليه السلام : هو نبي من انبياء الله وقد خصه الله بسعة فى الرزق والولد الاانا نجد البلاء يشمله كسائر انبياء الله الكرام

(١) سورة ص آية (١٧- ١٨- ١٩)

(٢) سورة ص آية (١٧)

(٣) انبياء الله فى القرآن ص ٢٨٢

(٤) سورة النمل آية (١٥)

الذين ابتلوا بأنواع البلاء والذين تجد صبرهم ومصابرتهم مع كل مصيبة ومع كل بلاء عظيم .

عن مصعب بن سعد (١) عن ابيه قال قلت يا رسول الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَأَمْثَلُ فَيَبْتَلِي الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ (٢) والآن نحن امام نموذج فريد من البلاء العظيم والصبر على الشدة والكرب دون جزع او استعجال للشفاء .

قال الله تعالى: ( وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أِنِّى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ) (٣)

وقال الله تعالى: ( وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أِنِّى مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ . وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا (٤) فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدَ إِنَّهُ أُوَّابٌ ) (٥)

(١) مصعب بن سعد بن ابي وقاص الزهرى ابو زرارۃ المدنى ثقہ ارسل عن عكرمة بن ابى جهل مات سنه ثلاث ومائة تقريبات التهذيب ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب المرضى باب اشد بلاء الانبياء ثم الاول فالاول ج ٤ ص ٣ بحاشيه السندي - اخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٤ - حديث رقم ٤٠٢٣ ، ٤٠٢٤ واخرجه احمد بن حنبل ج ١ ص ١٧٣ ١٧٤ - ١٨٠ - ١٨٥ ج ٦ ص ٣٦٩ - واخرجه التروذى كتاب الزهد باب ما جاء فى الصبر على البلاء ج ٤ ص ٦٠١ حديث رقم ٢٣٩٨ .

(٣) سورة الانبياء آية (٨٣ - ٨٤)

(٤) ضغثا: اى شموخ - تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٠

(٥) سورة ص آية (٤١ - ٤٤)

وينقل ابن كثير قول علماء التفسير والتاريخ وغيرهم ان ايوب كان رجلا كثير المال من سائر صنوفه وانواعه من الانعام والعبيد والمواشى والارض المتسعة وكان له اولاد واهلون كثير فسلم من ذلك جميعه وابتلى فى جسده بانواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما وهو فى ذلك كله صابر محتسب ذاكر الله عز وجل فى ليله ونهاره وصباحه ومساءه . وطال مرضه وعافه الجليس واوحش منه الانيس واخرج من بلدة والقى خارجها وانقطع عنه الناس ولم يبق احد يحنو عليه سوى زرجته كانت ترعى له حقه وتعرف قديم احسانه اليها وشفقتة عليها فكانت تتردد اليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته وضعف حالها وقل ما لها حتى كانت تخدم الناس بالاجر وتقوم بأودة رضى الله عنها وارضاهها وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق . المال والولد مع ما يختص بها من المصيبة بالزواج وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعنة والخدمة والحرمة . (١)

هذا نموذج آخر من البلاء الذى يبتلى الله به عبادة وانبيائة ورسله فبعد الغنى والجاه والصحة والولد يسلب ذلك كله ليمتحن هذا العبد الصالح والنبي العظيم فيرى موقفه من هذا البلاء الذى نزل به موقف أيوب عليه السلام :

---

لم يزد هذا كله أيوب عليه السلام الاصبرا واحتسابا وحمدا وشكرا حتى ان المثل ليضرب بصبرة عليه السلام ايضا بما حصل له من انواع البلىا . (٢)

---

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٢١ ص ٢٢٢ - وانظر ايضا المختصر فى اخبار البشر لابي الفداء ص ١٦ ج ١ . وانظر ايضا فتح البارى ج ٦ ص ٤٢١ .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٢٢

## موضع القدوة فى قصة أيوب :

وفى قصة أيوب وما أصابه من البلاء وما دعا ربه فى كشف ما نزل به وما امتنى الله به عليه فى رفع البلاء وما ضاعف له بعد صبرة من النعماء كل ذلك فيه درس للمؤمنين بأن يكون أيوب قدوة لهم فيما يصيبهم من بلاء لأن البلاء لم ينج منه الانبياء بل هم أشد الناس ابتلاء ولذا قال الله تعالى عقب قصة أيوب: (وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ) (١) اى تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب فى الدنيا والاخرة فانهم اذا ذكروا بلاء أيوب وصبرة وهو افضل اهل زمانه ووطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا . هذا وان الصبر هو خلق الانبياء وسلاح المتقين والمصلحين ما نجح نبي ولازعيم ولا مصلح الا به (٢) ولنا قدرة ايضا فى هذه الزوجه الطاهرة التى ابتليت بعد الغنى بالفقر ومرض الزوج وفقد الولد فصبرت واخلصت لزوجها لتكون قدوة يقتدى بها نساء المؤمنين رضى الله عنها وارضاهما لذا عندما عافاه الله وكان قد حلف بأن يضربها لمعصية اتت بها مائه سوط جعل الله لها مخرجا وجعل لهذا النبي فرجا اذا امره ان يأخذ ضغثا ويصرة كالعثال الذى يجمع الشماريخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط ويبر ولايحنث وهذا هو الفرج والمخرج لمن اتقى الله واطاعه ولاسيما فى حق امراتة الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة . (٣) ولذا قال الله تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (٤) .

(١) سورة الانبياء آية (٨٤)

(٢) مع انبياء الله فى القرآن - عفيف طبارة - ص ٢١٢

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٢٤

(٤) سورة ص آية (٤٤)

وأخرج البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى  
الله عليه وسلم قَالَ بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عَرِيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٌ  
مِّنْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَشِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ : يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ  
أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى ؟ قَالَ بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَأَغْنِي بِي عَنْ بَرَكَتِكَ . (١)

قصه يوسف عليه السلام :

قال الله تعالى : ( لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ .  
إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُمِينًا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ . اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُوا لَكُمْ وَجْهٌ أَرْبَعًا  
وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ . قَالَ قَاطِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ  
وَالْقُوَّةَ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) (٢)

وقال تعالى : ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ - وَرَأَوْدَتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْآبْوَابَ  
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ  
الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ  
عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ) (٣)

وقال الله تعالى : ( قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودتُهُ  
عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ  
. قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي

(١) أخرجه البخارى كتاب الغسل باب من اغتسل عريانا وحدة فى  
الخلوة ج ١ ص ٧٨ و كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ( انا  
الرزاق ذو القوة المتين ) ج ٩ ص ١٤٣ باب قول الله تعالى  
يريدون ان يبدلوا كلام الله ) ج ٩ ص ١٧٥ - وكتاب الانبياء باب  
قول الله تعالى وايوب اذ نادى ربه ) ج ٤ ص ٨٤ .

وأخرجه أحمد ج ٢ ص ٣١٤

(٢) سورة يوسف آية : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٣) سورة يوسف آية : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (١)

وقال الله تعالى : ( قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهٗ مِنْ قَبْلِ فَاسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) (٢)

دافع الغيرة كيف ادى الى تأمر اخوة يوسف على قتله :

لقد تميز يوسف عليه السلام من بين اخوته بحب ابيه يعقوب لانه عرف فيه مظاهر النبوة ومن هنا كان هذا دافعا لاختوته الى التخلص منه .

قال الله تعالى : ( فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهٖ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) (٣)  
 ( فلم يزالوا بأبيهم حتى بعثه معهم فما كان الا ان غابوا عن عينه فجعلوا يشتمونه ويهينونه بالفعال والمقال واجمعوا على القائه فى غيابت الجب ) (٤)  
 عاطفة الأبوة :

ويجتلى لنا هنا موقف الاب النبى العظيم يعقوب عليه السلام ذو الحب الشديد لابنه يوسف كيف واجه هذه المحنة وكيف ضبط سلوكه امام هذا الحادث الجلل قال الله تعالى على لسانه : ( بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) (٥)

(١) سورة يوسف آية : ٣٢، ٣٣ .

(٢) سورة يوسف آية : ٧٧ .

(٣) سورة يوسف آية : ١٥ .

(٤) البداية والنهاية ج ١ ص ٢١٠ .

(٥) سورة يوسف آية : ١٨ .

وقال الله تعالى : ( وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَبِيمٌ ) (١)

( ١ ) مظلوم من كثرة حزنه واسفه وشوقه الى يوسف ( ٢ ) .

وقال الله تعالى : ( قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) (٣)

هذا خلق الانبياء الصبر وكظم الغيظ وضبط السلوك والشعور مع ما يرافقه من حسن التوكل على الله والايمان به فلم يفقد الامل على طول مدة الفراق بل قال ( يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ) (٤)

" اى لا تياسوا من الفرج بعد الشدة فانه لا يياس من روح الله وفرجه وما يقدره من المخرج فى المضايق الا القوم الكافرون " .  
اصرار اخوة يوسف على اتهامه :

قال الله تعالى : ( قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ \* فَاسْرَهَا يُّوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ) (٥)

" يقول ابن كثير ( اجابهم سرا لا جهرا حلما وكرما وصفحا وعفوا ) (٦)  
هكذا يضبط الانبياء غريزة حب الانتقام مع انه فى مكان القدرة اذ انه اصبح خازنا الاموال مصر وهم تحت سيطرته فلو شاء لانتقم منهم ولكنه العفو الجليل من النبى الجليل قال الله تعالى : ( وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) (٧)

(١) سورة يوسف آية : ٨٤ .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٢١٥ .

(٣) سورة يوسف آية : ٨٦ .

(٤) سورة يوسف آية : ٨٧ .

(٥) سورة يوسف آية : ٧٧ .

(٦) البداية والنهاية ج ١ ص ٢١٣ .

(٧) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .



هذه هي الصورة التي تجلت في نفس يوسف عليه السلام عندما سمع اصرار اخوته بعد ما انتقموا منه على اتهامه ايضا بالسرقة . وبعد هذه المحنة في النفس بالقتل ومحاولتهم واصرارهم على اتهامه بالسرقة ومحاولتهم قتله والتخلص منه يصاب بمحنة الفتنة في عرضه وشرفه عليه السلام فما يضعف امام الشهوات بل يضبط جماح الشهوة ويحد من قوتها مع عنفوانه وشدة قدرته عليها واكتمال نموه قال الله تعالى يحكى قصة الابتلاء العظيم ليوسف : ( وَرَأَوَدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْاَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ اِنَّهُ رَبِّي اَحْسَنُ مَثَوَايَ اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٍ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٍ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ اِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ . وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِكَ سُوءًا اِلَّا اَنْ يُسَجَّنَ اَوْ عَذَابٌ اَلِيمٌ . قَالَ هِيَ رَأَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ اَهْلِهَا اِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ قَصَدَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَاِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ . فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ اِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ اِنْ كَيْدُكُنَّ عَظِيْمٌ . يُوَسِّفُ اَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكُ اِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخٰطِئِيْنَ (١) يوسف ودوافع الغريزة والاعراء :

هكذا يبتلى الصديقون والنبيون لقد عرفنا ان الغريزة الجنسية هي من اقوى الدوافع لدى الانسان وهي امر غريزي فيه . وتزيد هذه الغريزة قوة في الشباب ولذا نبه صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله . عن عبد الله قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَاِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ (٢) لكونه يضعف الغريزة ويحد من قوتها

(١) سورة يوسف الآيات : ٢٣ الى ٢٩ .

(٢) سبق تخريجه ص ٥٠ .

ثم ان الاسلام اغلق جميع الوسائل المؤديه الى ممارسة هذه الغريزة بغير وسيله الزواج ومن اجل هذا حرم المخالطه بين النساء والرجال

والخلوة فقد روى عبد الله بن عمر عن ابيه قال :-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِأَمْرَةٍ إِلَّا كَانَ شَالِبَهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مَعَ الْإِثْنَيْنِ أَبَدٌ مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَلْيُزِمِ الْجَمَاعَةَ مِنْ سِرَّتِهِ حَسَنَتَهُ وَسَاءَتَهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ ) (١)

بحبو فيه الجنة : اوسطها واوسعها وارجحها .

وحرم النظر لكلا الجانبين قال تعالى : ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ

أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) (٢) وقال تعالى : ( وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ

أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) (٣) حرم على المرأة ظهور زينتها لكونه

فيه اغراء للرجال فقال الله تعالى : ( وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ

مِنْهَا ) (٤) وامر بالحجاب فقال : ( وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُورِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ) (٥)

وامر بعدم لين القول والتلطف مع الاجانب : ( إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ

بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ) (٦)

كل هذه الوسائل وضعت لاغلاق باب الجريمة والضبط سلوك الانسان ولمحافظه على مجتمع خال من عوائل هذه الجرائم الشائنه الا انا نجد

هذه الوسائل جميعها تفتح امام النبي يوسف فى عز شبابه

(١) اخرجه الترمذى فى الفتن باب ماجاء فى لزوم الجماعه ج ٤ ص ٤٦٥

وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ورواه

احمد ج ١ ص ١٨ - ٢٦ ، ج ٢ ص ٣٣٩ - ٤٤٦ .

(٢) سورة النور آية (٣٠) .

(٣) سورة النور آية (٣١) .

(٤) سورة النور آية (٣١) .

(٥) سورة النور آية (٣١) .

(٦) سورة الاحزاب آية (٣٢) .

وتتم له الخلوة الكامله حيث قال الله تعالى : ( وَغَلَّقَتِ الْآبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ) (١) هي التي راودته عن نفسه وهي التي تعرضت له فوسائل ارتكاب الجريمه مهينه :

- ١ - الرغبة الجنسية وهي متوفرة لتوفر الشباب مع عنصر الجمال .
- ٢ - الخلوة التامه . بامرأة العزيز . حيث غلقت الابواب .
- ٣ - عرض نفسها عليه حيث قالت ( هيت لك )

عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( سَبَعَةٌ يَظْلِمُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ بِإِمَامٍ عَدْلٍ وَشَابٍّ نَشِئًا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٍ قَلْبُهُ مَعْلُوقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ (٢)

اذن هذا هو الضابط الذى منع يوسف من الوقوع على امرأة العزيز انه يخاف الله ضابط التقوى فى نفس النبي الصديق الذى منعه من ارتكاب المحرم مع وجود كل الدافع لوقوع الفاحشه منه عليه السلام لكنه نبى .

(١) سورة يوسف آية (٢٣)

(٢) أخرجه البخارى / كتاب الزكاة الصدقه باليمين ج ٢ ص ١٣٨

وكتاب الاذان باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ج ١ ص ١٢٠ وكتاب الحدود باب فضل من ترك الفواحش ج ٤ ص ١٧٥ بحاشيه السندى - وأخرجه الترمذى فى الزهد باب ما جاء فى الحب فى الله حديث ٢٣٩١ ج ٤ ص ٥٩٨ . وأخرجه مالك فى مئوطة كتاب الشعر باب ما جاء فى المتحابين فى الله ص ٥٩٠ . وأخرجه مسلم كتاب الزكاة باب فضل اخفاء الصدقه ج ٧ ص ١٢٠ بشرح النووى . وأخرجه احمد ج ٢ ص ٤٣٩ ج ٣ ص ٣٩٨ .

( فإخلاه لزوجها والوفاء له وواجب الشرف كانت من أقوى الضوابط  
التي منعتها من ارتكاب الفاحشه ) (١) ( مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ  
مَثَوَايَ ) (٢)

وهذا الوفاء مقرون بالمراقبه الالهيه فهذه المراقبه جعلت نفس  
يوسف تترتفع عن هذا الاثم مع امراه سيده . وبعد ان رغبته امراه  
العزيز بنفسها وحاولت ان تتعرض له بالخلوة واطهار محاسنها لكن  
هذا لم يكن يجدى مع النبي الذي اخلاه الله من اثار هذه الجريمه  
لجات لاسلوب آخر وهو قد يكون اشد واقوى وهو الرهبه .

( لقد تأمرت سيدته عليه مع صاحباتها لاستمالتته ثم تهديده  
بالسجن في حال رفضه فماذا كان موقف يوسف امام هذا التهديد  
والوعيد ؟ لقد اعرض عنهما بترفع وانفه وفضل حياة السجن  
المحفوفه بالذله والهوان والعذاب على العيش في كنف الترف  
والانغماس في الشهوات قائلًا مناجيا ربه (٣) ( قَالَ رَبِّ السِّبْنُ أَحَبُّ  
إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ) (٤)

---

(١) مع انبياء الله في القرآن ص ١٩١ بتصرف .

(٢) سورة يوسف آية (٢٣) .

(٣) مع انبياء الله في القرآن - ص ١٩٢ .

(٤) سورة يوسف آية (٣٣) .

## قصة موسى

فضائل موسى عليه السلام

قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ  
أَدَّوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ) (١)

وقد نقل القرطبي في هذه الآية قوله :

نهى الله قريشا عن اذية محمد صلى الله عليه وسلم كما اذت  
اليهود موسى وهو قولهم ان زيدا ابن محمد وقيل انهم قالوا ان هذه  
القسمه ما اريد بها وجه الله ففي صحيح البخارى عن عبد الله (٢)  
رضى الله عنه قال (قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِسْمَهُ حَنِينَ قَالَ  
رَجُلٌ (٣) مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فَأَخْبَرْتَهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا  
فَصَبَرَ ) (٤)

يقول بن حجر : وفي الحديث ما كان في الأنبياء من الصبر على  
الجهال واحتمال اذا هم والاعراض عن الجاهل والصفح عن الاذى  
والتأسي بمن مضى من النظراء (٥)

واما اذية موسى فهي قولهم انه آدر وابرص او به آفه . وقيل هو  
اتهامهم اياة بقتل هارون حيث كان هارون الطف من موسى مع قومه  
وقيل اذيتهم اياة بالسحر والجنون .

(١) سورة الاحزاب آية (٦٩)

(٢) عبد الله هو بن مسعود - فتح البارى ج ١٠ ص ٥١٢

(٣) الرجل هو معتب بن قشير من بنى عمرو بن عوف وكان من

المنافقين ج ٨ ص ٥٦ فتح البارى

(٤) اخرجه البخارى كتاب المغازى - غزوة الطائف ج ٥ ص ٢٠٢ وكتاب

الادب باب الصبر على الاذى وقوله تعالى : ( انما يوفى الصابرون

اجرهم بغير حساب ) ج ٨ ص ٣١ .

(٥) فتح البارى ج ٨ ص ٥٦ بشرح صحيح البخارى بتصرف .

وذهب القرطبي الى ترجيح القول الاول وان كان يحتمل انه صبر على ذلك كله ولذا كان وجيها عند الله عظيم القدر رفيع فى المنزله ومن فضائله انه كان اذا سال شيئا اعطاه الله آية (١) وقال ابن كثير من وجاهته العظيمة عند الله انه سال الله ان يرسل معه اخاه هارون نبيا فاجابه (٢) قال الله تعالى: ( وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ) (٣) .

وفى الحديث من فضائل موسى عليه السلام انه كان رجلا حيا ستيرا فقد روى ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( يَأَنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا لَا يَرَى مِنْ جِلْدَةٍ شَيْءٍ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ فَآذَاهُ مِنْ آذَاهِ مَنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتَرُّ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ بِمَا بَرَصَ وَإِمَّا أَدْرَةَ (٤) وَإِمَّا بِهِ آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُسَبِّرَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحَدَّهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِشَوْبِهِ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ ثَوْبِي حَجْرٌ ثَوْبِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَاهُ مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحَجْرُ فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجْرِ ضَرْبًا بَعَصَاهُ فَوَلَّى اللَّهُ إِنْ بِالْحَجْرِ لِنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا (٥) فَذَلِكَ قَوْلُهُ ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ أُدْوَأَ مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ) (٦)

(١) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٢٥٢ وانظر ايضا ج ٣ ص ٥٢٠ ابن كثير

تفسير القرآن العظيم .

(٢) ابن كثير ج ٣ ص ٥٢١ .

(٣) سورة مريم آية (٥٣)

(٤) الادره كبير الخصيتين ج ٥ ص ١٢٧ صحيح مسلم بشرح النووى

(٥) أخرجه البخارى واللفظ له ج ٤ ص ١٩٠ كتاب بدء الخلق . وأخرجه

مسلم ج ٥ ص ١٢٧ بشرح النووى .

(٦) سورة الاحزاب آية (٦٩) .

ويقول ابن حجر فى الحديث ان الانبياء فى خلقهم وخلقهم على غاية الكمال واما من نسب نبيا من الانبياء الى نقص فى خلقته فقد اذاة ويخشى على فاعله الكفر " وقال القاضى ان الاتبياء منزهون عن النقائص فى الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعائب بل نزههم الله من كل عيب وكل شىء يبغضها العيون " (١)

وقال النووى : ( وفى الحديث معجزتان ظاهرتان لموسى احدهما مشى الحجر بثوبه الى ملا بنى اسرائيل - والثانية حصول الندب فى الحجر ومنها وجود التميز فى الحجر ) (٢)

ويصف القرآن امانه موسى عليه السلام ونصرته وقوته حيث قدم الى مدين فوجد الفتاتين قال الله تعالى : ( يَا أُبَّتِ اسْتَأْجِرِي إِانَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) (٣) واما امانته فانه رفض ان يسير خلف الفتاة كما يذكر المفسرون وذلك لما رأى ان الهواء قد اثر على ثوبها فظاهر عجزتها كما هو معروف اذا التصق الثوب بالبدن . (٤)

فهذا موسى عليه السلام رجل قوى منفرد ليس معه الا الله وهذه الفتاة يخلو بها فما الذى يمنعه من الوقوع عليها بل ما الذى يمنعه من النظر اليها فيتجلى لنا دور الضابط لسلوك الفرد فالضابط الذى سيطر على موسى ومنعه من السير خلف الفتاة فالجاء الى الاعتصام بالتقوى والسير امامها فلا تقع عينه على ما يكره فضلا ان تقع منه معصيه مع وجود دوافعها كلها من القوة والخلوه ولكنه يتجلى فى نفسه عظم هيئته ووقارة الله فينضبط سلوكه ولذا قالت الفتاة ان خير من استأجرت من جمع هاتين الصفتين القوة - والامانة وقد ابتلى موسى بلاء عظيمًا وصبر صبرا طويلا وحليما على قومه الذين اذوة بكل ما استطاعوا واعتدوا عليه واعترضوا سبيل دعوته وساتتبع الابتلاء بقصه موسى وموقفه منها ليكون لنا قدوة نسير على نبراسه :

(١) فتح البارى ج ١ ص ٤٣١ وانظر ايضا ج ٥ ص ١٢٧ صحيح مسلم بشرح النووى .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ ص ١٢٧

(٣) سورة القصص آية (٢٦)

(٤) انبياء الله - احمد بهجت ص ٤

(١) ابتلاؤه بفرعون وملئه :

ولن استعرض قصه موسى وكيفيه دخوله بيت فرعون فان هذا ليس مجال بحثه هنا وكتب التفاسير يمكن ان تغنى للباحث في هذا الموضوع ولكن اورد قوله تعالى: ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَوُوهَ وَإِلَيْكَ وَجَعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ) (١)

فقال امراته انه طفل لا يعقل وساقدم له الجمر واللؤلؤ فان اخذ اللؤلؤ عقل فمد يده الى ذقن فرعون فشدته الى الارض فقال الكبراء ان هذا ما وعد الله به انه يشير الى قتلك واهانتك . فهذا ابتلاء لموسى منذ الوهلة الاولى لحياته وهي تربيته من الله لموسى عليه السلام لتحمل الاذى بجلد وصبر .

(٢) ابتلاؤه بالقتل :

وقد ابتلى عليه السلام بالقتل بعد ان استغاثه الاسرائيلي على القبطى فوكزة موسى فمات القبطى فاتهموه بقتله وظل خائفا يترقب قال الله تعالى : ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنَّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) (٢)

( وقد كان ذلك القبطى كافرا مشركا بالله ولم يرد موسى قتلته

بالكلية وانما اراد زجره وردعه ) (٣)

(١) سورة القصص آية (٧ - ٨)

(٢) سورة القصص آية (١٤ - ١٥)

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٢٥١ .



لم يكن موسى يقصد قتل الرجل بل دفعه بيده بهدف ابعادة عن الاسرائيلى فاذا هو يقتله .

( وهذا القبطى كان كافرا وكان الاقباط قد علوا على الاسرائيلين وتسلطوا عليهم واستعبدوهم ولذا قام موسى بدفع الظلم الواقع الى الاسرائيلى لكن موسى عليه السلام استغفر وشعر بعظم الذنب الذى عليه ووعد بان لايعود مرة اخرى الى هذه المعصيه ) (١) وقال الله تعالى على لسانه : ( قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ . قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) (٢)

ومع ان الوكز ليس ذنبا الا ان موسى عليه السلام استعظمه نظرا لعلو شأنه فاستغفر منه . (٣)

لقد اتجه موسى بالتوبه النصوح والتضرع والخشيه من عظم المعصيه وان لم تكن عن اصرار وتعنت .  
ابتلاؤه بالخوف والحزن بعد هذه المعصيه :

وفى ذلك يقول الله تعالى : ( فَاِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرْتَهُ بِالْاَمْسِ يَسْتَصْرِخُكَ قَالَ لَهُ مُوسَى يَا لَئِي لَغْوِي مُبِينٌ ) (٤)

وعد موسى بالا يعود للذنب مرة اخرى ولكنه وجد الاسرائيلى الذى كان قد انقذة بالامس يستنصر به اليوم لكن موسى قال للقبطى انك لغوى مبين فخاف الاسرائيلى وظن انه يريد بهذ القول فقال : ( اَتُرِيدُ اَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْاَمْسِ اِنْ تُرِيدُ اِلَّا اَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْاَرْضِ وَمَا تُرِيدُ اَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلِحِينَ ) (٥)

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن - الطبرى ج ١ ص ٢٢٤

(٢) سورة القصص آية ( ١٥ - ١٦ )

(٣) عصمة الانبياء والرد على الشبه والموجه اليهم - د محمد ابو النور الحديدى ص ٣٤٠ .

(٤) سورة القصص آية (١٨)

(٥) سورة القصص آية (١٩)

ومن هنا علم فرعون وجنوده أن موسى هو القاتل ولذا أصبح موسى خائفاً يترقب كما وصفه القرآن قال الله تعالى: ( فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) (١)

يقول ابن كثير ( ١ ) خرج من بلاد مصر من فوره على وجهه لايهتدى الى طريق ولا يعرفه ) (٢)

وقد نقل الطبرى انه خرج مطاردا لم يكن له طعام سوى ورق الشجر وكان يشرب من الآبار التى يجدها فى الطريق وكان خائفا طوال الوقت أن يرسل فرعون وراة من يقبض عليه

وبعد اتهامه بقتل القبطى هرب تجاة مدين وناله من النصب والتعب والجوع . عن سعيد بن جبير (٣) قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمانى ليال قال وكان يقال نحو من الكوفه الى البصرة ولم يكن له طعام الا اوراق الشجر فخرج حافيا فما صار اليها حتى رقع خف قدمه . وعن ابن عباس فى قوله: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) (٤) قال ورد الماء وان خضرة البقل لترى فى بطنه من الهزل (٥) فقال (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (٦) .

(١) سورة القصص آية (٢١) .

(٢) البدايه والنهايه ص ٢٥١ ج ١ .

(٣) سعيد بن جبير : المقرئ الكوفى الفقيه احد الأعلام سمع من بن عباس . وكان يقال السعيد بن جبير جهبذ العلماء كان قتل الحجاج له لكونه قاتله مع ابن الأشعث وروى اصبغ بن زيد عن القاسم بن ابى ايوب قال كان سعيد بن جبير يبكى بالليل حتى عمش وسمعته يردد هذه الآيه ( و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ) بضعا وعشرين مره - تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٧٦ .

(٤) سورة القصص آية (٢٣)

(٥) تاريخ الامم والملوك للطبرى ج ١ ص ٢٥ بتصرف .

(٦) سورة القصص آية (٢٤) .

ومن هذه القصة ومن هذا الابتلاء تتجلى لنا صورة موسى عليه السلام من نواح عدة :

(١) قوة موسى عليه السلام اذ صرع القبطى بوكزة ( فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ) (١)

(٢) سرعه توبة موسى وندمه على ما فعل ( قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ) (٢)

(٣) رفضه الاستمرار على الطغيان والمعصية ( فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمَجْرِمِينَ ) (٣)

(٤) لم تستغل هذه القوة البدنيه فى معصيه الله او فى البطش بالناس بل لجاء الى الله بالتصرع والتوبه والندم .

(٥) مالقيه موسى من الخوف والترقب اذ يصف القرآن لنا ذلك بقوله تعالى : ( فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) (٤)

والخوف من اشد البلاء اذ يتوقع معه وقوع المكروه عليه وخاصة وموسى بين قوم هم اهل عدااء له ولبنى اسرائيل جميعا . ( وفى وسط هذه المحنه الشديده يلجأ الى الله بالدعاء ) (٥) ( رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) (٦)

(٣) ابتلاؤه بالجلء الى ارض مدين :

( فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) (٧)

خرج هاربا مطاردا لايهتدى الى طريق ولال يحمل الزاد ولا المتاع ولكن

(١) سورة القصص آية (١٥)

(٢) سورة القصص آية (١٦)

(٣) سورة القصص آية (١٧)

(٤) سورة القصص آية (١٨)

(٥) التفسير الواضح ج ٢٠ ص ٢٨ .

(٦) سورة القصص آية (٢١) .

(٧) سورة القصص آية (٢١) .

مع هذا الابتلاء العظيم هل تغيرت صورة الداعية الى الله هل تراجع  
عن دعوته بل صبر وصابر ووعد فأنجز .  
(٤) الابتلاء بقتل هارون :

ويذكر المفسرون ان هارون احب الى بنى اسرائيل من موسى يقول  
الطبرى . وكان هارون اكف عنهم والين لهم من موسى وكان فى موسى  
بعض الغلظ عليهم فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس معه هارون  
قالوا ان موسى قتل هارون وحسدة لحب بنى اسرائيل له فلما بلغه ذلك  
قال ويحكم افترونى اقتله (١)

وقد ناله من الهم والغم الشئ الكثير بسبب هذه التهمة الباطله  
حتى يقال انه قام وصلى ودعا الله فاحيا له هارون وقال لهم انه  
مات ولم يقتله وأخرج الطبرى عن عمرو بن ميمون قال مات موسى  
وهارون جميعا فى التيه مات هارون قبل موسى وكانا خرجا جميعا فى  
التيه الى بعض الكهوف فمات هارون فدفنه موسى وانصرف موسى الى  
بنى اسرائيل فقالوا ما فعل هارون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته  
لحبنا اياة وكان محبا فى بنى اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا  
ما لقى من بنى اسرائيل (٢)

ففى هذه القصة لنا عبرة بان الله لن يخذل رسله ولن يجعل  
للظالم يدا على المظلوم فلجوء موسى الى الصلاة والتضرع والدعاء  
هو الوسيله الوحيدة التى ينبغى ان يلجأ اليه المؤمن فى كل مصائب  
الزمان .

(٥) ابتلاؤة عليه السلام بفرعون :

لقد ابتلى بفرعون وكان من الجبارين فى الأرض الى الحد الذى  
جعل نفسه الها وعبد بنى اسرائيل وسخرهم له . فلما بنىء موسى امر  
بان يدعو فرعون الى عبادة الله ومن هنا نستنتج موقف فرعون وردة

(١) تاريخ الامم والملوك - الطبرى ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) تاريخ الامم والملوك ج ١ ص ٢٢٤ للطبرى .

على موسى فبعد ان اظهر الله على يديه كثيرا من المعجزات الا ان فرعون استمر بتكذيبه وعناده وقد حكى القرآن موقف فرعون من موسى : ( قَالَ يَا نَسُوتُ لَوْلَا اُرْسِلَ اِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَا كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ) (١)

فقد اتهمه بالجنون . وقال ايضا ( لَنْ اَتَّخِذَ اِلَٰهًا غَيْرِي لِاجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِيْنَ ) (٢) لكن ما موقف موسى عليه السلام من هذا استمر يدعو هذا الجبار المتمرد الى الدين والى عبادة الله باحسن ما يكون عليه من الصيرفحيني امرة الله بدعوة فرعون قال له ( اذْهَبَا وَاِلَىٰ فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغَىٰ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَىٰ ) (٣) . ولنا فى هذا المنهج والسبيل قدوة حسنة اذ امرنا الله ايضا بعد

امر نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا المنهج قال الله تعالى ( ادْعُ اِلَىٰ سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ ) (٤) كما قال الله تعالى : ( وَلَا تَجَادِلُوْا اَهْلَ الْكِتَابِ اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ ) (٥) .

هذا هو المنهج الربانى فى الدعوة الى الخير والفلاح والصلاح فانه انفع للقلوب العاصيه ومع سبق علم الله ان فرعون لن يتذكر ولن يخشى الا انه امر موسى بهذا الامر ليكون لنا قدوة فى دعوتنا الى الله ومنهج نسير عليه فى مواجهه الطغاة والجباريين والمتكبريين " وانتصار موسى على فرعون فيه عبرة للطغاة ودرس للامم المضطهدة كى تصمد وتكافح الطغيان لان النصر حليفها فى النهاية " (٦) قال الله تعالى : ( عَسَىٰ رَبُّكُمْ اَنْ يُّهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْاَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ) (٧) .

(١) سورة الشعراء آية ( ٢٧ - ٢٨ )

(٢) سورة الشعراء آية (٢٩)

(٣) سورة طه آية (٤٣ - ٤٤ )

(٤) سورة النحل آية (١٢٥)

(٥) سورة العنكبوت آية (٤٦)

(٦) مع الانبياء ص ٢٥٨ .

(٧) سورة الاعراف آية (١٢٩)

(٦) ابتلاوة عليه السلام بالأمراء والكبراء من قوم فرعون :

قالى الله تعالى : ( وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُؤُا حُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْإِهْتِكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ) (١)

يقول ابن كثير :

( ان الامراء والكبراء حرضوا ملكهم فرعون على آذيه نبي الله موسى ومقاتلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والاذى ) (٢)

ومن هنا استشارت هذه الكلمات فرعون واشعرته بالخطر الحقيقى على نظامه كله فانطلق يعلن عزمه الوحش البشع (٣) قال : ( سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ) (٤) .

الا ان القرآن يصف لنا موقف موسى من هذه المكابرة وهذا العناد الشديد قال الله تعالى ( قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) (٥)

فهذا صبر ومصابرة وثبات من الكليم موسى عليه السلام يقول ابن كثير ( اذهم هموا باذيتكم والفتك بكم فاستعينوا انتم بربكم واصبروا على بليتكم ) (٦)

( انها رؤيه النبي لحقيقه الالوهيه واشراقها فى قلبه الواقع الكونى والقوى التىتعمل فيه ولحقيقه السنه الالهيه وما يرجوه منها الصابرون ) (٧)

(١) سورة الاعراف آية (١٢٧)

(٢) البداية والنهاية - ج ١ ص ٢٥٩ .

(٣) فى ظلال القرآن - سيد قطب ج ٣ ص ١٣٥٤ .

(٤) سورة الاعراف آية (١٢٧)

(٥) سورة الاعراف آية (١٢٨)

(٦) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٥٩

(٧) فى ظلال القرآن - سيد قطب ج ٣ ص ١٣٥٥ .

(٧) ابتلاوة بتقليل اعوانه من بنى اسرائيل:

قال الله تعالى: ( فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا  
أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي  
ضَلَالٍ ) (١)

( وهذا القتل للغلمان من بعد بعثه موسى انما كان على وجه  
الاهانه والاذلال والتقليل لملا بنى اسرائيل لثلا يكون لهم شوكة  
يمنتنعون بها ويصولون على القبط بسببها وكانت القبط منهم  
يحذرون (٢) .

هذا ابتلاء عظيم بلى موسى خاصة عن سائر الانبياء فقد اودى قبل  
بعثته بقتل ابناء الاسرائيليين قال الله تعالى على لسان فرعون  
: ( سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ) (٣)  
وبعد البعثة استمر القتل لبنى اسرائيل : ( اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ  
آمَنُوا مَعَهُ ) (٤) هذا امتحان عظيم وقليل من يصبر عليه فلنا بهولاء  
الاتباع آسوة حسنه بصبرهم على قتل ابناءهم بعد ان امنوا بموسى  
عليه السلام ولكن ما الدافع لكى يقتل الابناء . يقول ابن كثير

( وهذا من جهه الاهانه والتقليل لا اتباع موسى عليه السلام (٥)  
قال الله تعالى: ( احْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا <sup>لَمْ يَكُونُوا</sup> آمِنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) (٦)  
وقال الله تعالى: ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ <sup>والتعب</sup> مِنَ الْأَمْوَالِ  
وَالْأَنْفُسِ وَالْثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ) (٧) .

(١) سورة غافر آية (٢٥) .

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٥٩ .

(٣) سورة الاعراف آية (١٢٧) .

(٤) سورة غافر آية (٢٥) .

(٥) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٥٩ لابن كثير .

(٦) سورة العنكبوت آية (٢) .

(٧) سورة البقرة آية (١٥٥) .

هذا المعيار الذى يقاس عليه ايمان الشعوب وتصديقهم فايمن من امن من قوم موسى هو الايمان الحقيقى اذ بذلت فيه الارواح رخيصة فى سبيل الدين .

(٨) ابتلاء بنى اسراييل من اتباعه ونكوصهم عن مناصرته :

قال الله تعالى : ( وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبِطَلُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) (١)

بعد ان تتابعت عليهم المعجزات وتوالت عليهم الايات الباهرات لم يتم لبعضهم الايمان الكامل بل تراجعوا وضعفوا وطلبوا من موسى عليه السلام ان يجعل لهم صنما يعبدونه .

ويقول ابن كثير هذة ليست مقالتهم كلهم بل بعضهم كما نقل عن ابن كثير فى تفسير هذة الاية حيث قال : ( فكان بعض الجهال سألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم ان يجعل لهم الهة كما لاولئك الهة ) (٢) ويقول سيد قطب ان موسى عليه السلام : ( لا يواجه اليوم طاغوت فرعون وملاة فقد انتهت المعركة مع الطاغوت . ولكنه يواجه معركة اخرى لعلاها اشد واقسى واطول انها موجهه مع النفس البشريه مع رواسب الجاهليه فى هذة النفس وسرى من خلال متاعب موسى عليه السلام متاعب كل صاحب دعوة يواجه نفوسا طال عليها الامد وهى تستمرىء حياة الذل تحت قهر الطاغوت . ان جهد صاحب الدعوة فى هذة الحال لهو جهد مضاعف ومن ثم ان يكون صبرة مضاعفا كذلك . يجب ان يصبر على الالتواءات والانحرافات وتفاهة الاهتمامات ويجب ان يصبر على الانتكاس الذى يفاجئه فى هذة النفوس بعد كل مرحله والاندفاع الى الجاهليه عند اول بادرة ) (٣) .

(١) سورة الاعراف آية (١٣٨ - ١٣٩ )

(٢) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٧٦ ابن كثير .

(٣) فى ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣٦٤ - ص ١٣٦٥ بتصرف .



وفى الحديث عن ابي واقد الليثي (١) ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج الى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات انواط يعلقون عليها اسلحتهم فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط (٢) فقال النبي صلى الله عليه وسلم ( سبحان الله هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا رالها كما لهم رالهة ) والذي نفسى بيده لتركبن سنه من كان قبلكم (٣)

وفى الحديث الشريف تحذير بالغ من اتباع طريق الامم السابقة المهلكة كما فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي مالى موسى من قومه وجهالتهم . فهو صابر صبر موسى ومحتسب عليهم السلام وهذا منهج الانبياء حميعهم وهمنهج الدعاه الذين يسيرون على نهج انبيائهم قال تعالى: ( وَاِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَعَلَ فِيكُمْ اَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَاَتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ اَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ . يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى اَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوْا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى اِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَاِنَّا لَن نُّدْخِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِنَّا دَاخِلُونَ ) (٤)

هذه مواجه لنبي الله وعصيانه بعد ظهور الكرامات وانتصاره على فرعون وكثرة النعم عليهم ( ومع ذلك فقد خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عينوا هلاك فرعون وهو اجبر من هؤلاء . واشد باسا واكبر حجما وهذا يدل على انهم ملومون فى هذه المقاله ومذمومون على هذه

(١) واقد الليثي : يكنى ابا مراوح ذكر ابن مندة عن ابي داود ان

له صحبه الاصابه فى تمييز الصحابه ج ١٠ ص ٢٩٤ رقم ٩١

(٢) ذات انواط شجرة تعليق بها سيوفهم ويعكفون عليها كما يفعل المشركون .

(٣) اخرجه الترمذى كتاب الفتن باب لتركبن سنن من كان قبلكم ج ٤

ص ٤٧٥ وقال الترمذى وهذا حديث حسن صحيح . واخرجه ابن ماجه

فى باب افتراق الامم ج ٢ ص ١٣٢١ واخرجه احمد ج ٥ ص ٢١٨

واخرجه الحاكم فى مستدركه ج ١ ص ٣٧ وقال هذا حديث صحيح على

شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ .

(٤) سورة المائدة آية ( ٢٠ - ٢١ - ٢٢ )

الحالة من الذلة عن مقاومة الأعداء والمردة والأشقياء (١) وهذا خذلان لموسى عليه السلام فى الشدائد وقت الحاجة اليهم ( فهذه طبيعتهم تعاودهم مرة اخرى حين رأوا قوما يعكفون على اصنامهم فسدت فطرتهم وانهمزموا من الداخل واعتادوا الذل فلم يعد فى استطاعتهم ان يحاربوا وان بقى فى استطاعتهم ان يتوقعوا على بنى الله موسى بمقاتلتهم (٢) ( فَآذِهِبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ) (٣) ثم ان وعد الله بالنصر لهم محقق ولذا كان انخذاهم عن القتال مع موسى دلالة على عدم التصديق برسالته قال الفخر الرازى ( لما اخبر ان الله تعالى جعل تلك الارض لهم كان هذا وعدا بان الله تعالى ينصرهم عليهم فلو لم يقطعوا بهذة النصرة صاروا شاكين فى صدق موسى عليه السلام فيصيروا كافرين بالالوهيه والنبوة ) (٤) ولنا فى اصحاب رسول الله قدوة حسنه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر . عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال المِقْدَامُ (٥) يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ( فَآذِهِبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ) (٦)

(١) البداية والنهاية ص ٢٧٨ ج

(٢) انبياء الله - احمد بهجت ص ٢٢٨ . (٣) سورة المائدة آية (٢٤)

(٤) التفسير الكبير الفخرى الرازى ج ١١ ص ١٩٨

(٥) المقدام : بن الأسود الكندى . هو ابن عمر بن شعلبه اسلم قديما

وتزوج فباعه بنت الزبير بن عبد المطلب ابنه عم النبي صلى الله

عليه وسلم وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها . وكان

فارسا يوم بدر حتى انه لم يثبت انه كان فيها على فرس غيره

عن عبد الله بن مسعود اول من اظهر اسلامه سبعة فذكره فيهم .

وعنه ايضا قال شهدت من المقدام مشهدا لان اكون صاحبه احب الى

ما عدل به روى المقدام عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث

وروى عنه على وانس وغيرهم واتفقوا على انه مات سنة ثلاث

وثلاثين فى خلافة عثمان وهو ابن سبعين سنة ) ج ٩ ص ٢٧٣ الاصابه فى

تمييز الصحابه .

(٦) سورة المائدة آية (٢٤)

وَلَكِنْ أَمْضَى وَنَحْنُ مَعَكَ فَكَانَتْ سَرَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)

(٩) ابتلاوة بعبادتهم العجل :

( ) وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارِ الْمِ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (٢)  
 وقال الله تعالى ( وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبًا أَيْفًا قَالَ يَبْنَئُ مَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) (٣)

( ) ولقد راودوا نبيهم من قبل ان يجعل لهم آلهة يعكفون عليه بمجرد رؤيتهم لقوم وشنين يعكفون على اصنام لهم فصداهم نبيهم عن ذلك خاطر وردهم ردا شديدا فلما خلوا الى انفسهم وراوا عجلا جسدا من الذهب لاهياة فيه كما تفيد كلمه جسد (٤) لجاوا الى عبادته .

ولذا قال الفخر الرازي انهم بعد ان اراهم الله المعجزات الظاهرات والدلائل الواضحات اجازوا لانفسهم ان يتخذوا العجل الها وهو مع ذلك صابر ثابت على الدعاء الى ربه والتمسك بدينه وشرعه فكذلك القوم فى حال محمد معكم بالغتم فى التكذيب والانكار (٥)

ويذكر ابن كثير موقف موسى عليه السلام حيث يقول ثم اقبل عليهم وعنفهم وهجنهم فى ضييعهم هذا القبيح فاعتذروا اليه بما ليس بصحيح وهو تخرجهم من تملك حلى آل فرعون وهم اهل حرب وقد امر الله ياخذهم واباحه لهم ولم يتخرجوا بجهلهم وقله علمهم وعقلهم عن عبادة العجل

(١) اخرجه البخارى كتاب التفسير باب تفسير سورة المائدة ج ٦ ص ٦٤

(٢) سورة الاعراف آية (١٤٨)

(٣) سورة الاعراف آية (١٥٠ - ١٥١)

(٤) فى ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣٧٣

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٣ ص ١٨٧

الجسد مع الواحد الاحد الفرد الصمد) (١) ( وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ  
 زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ) (٢)  
 موقف هــارون :

وقف هارون وسط قومه وراح يعظهم قال لهم انكم فتنتم به هذه الفتنه  
 استغل السامري جهلكم وفتنكم بعجله ليس هذا ربكم ورب موسى (٣)  
 قال الله تعالى ( وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٤)  
 واقبل موسى على هارون قائلا له ( قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ  
 ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ) (٥) اى هلا اعلمتني بما صنعوا وقد كان  
 هارون عليه السلام نهاهم عن هذا بالطبع اشد النهى وزجرهم عنه اتم  
 الزجر (٦)

### اتهامه عليه السلام بالزنا

تذكر كتب التفاسير ان قارون كان ابن عم موسى وكان ثريا جدا  
 وتسهب بسرد قصته وغناه وقد نقل ابو الفدا سبب خسف الله بقارون  
 فقال : (ان الله قد رزق قارون مالا عظيما على طوا الدهر وتكبر  
 قارون على موسى بسبب كثرة ماله واتفق مع بنى اسرائيل على قذفه  
 والخروج عن طاعته واحضر امرأة بغي وجعل لها جعلا وامرها بقذف موسى  
 بنفسها واتفق معها على ذلك ثم اتى موسى فقال ان قومك قد اجتمعوا  
 فخرج اليهم موسى وقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنا  
 رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال موسى نعم وان كنت انا قال

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٨٧ وانظر ص ٢٣٣ انبياء الله -  
 احمد بهجت .

(٢) سورة طة آية (٨٧)

(٣) انبياء الله - احمد بهجت ص ٢٤٥ .

(٤) سورة طة آية (٩٠)

(٥) سورة طة آية ( ٩٢ - ٩٣ )

(٦) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٨٧ .

فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانہ قال موسى فادعوها فان  
قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى اقسمت عليك بالذى  
انزل التوراة الا صدقت انا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا كذبوا ولكن  
جعلوا لى جعلاً ان اذفك) (١)

الا انا نلاحظ من القصة ان النصر حليف الصبر فالتبرئة جاءت من  
امراة بغى جعل لها جعلاً من اجل رمى موسى بالبهتان فهذا منهج  
اليهود فهم قتلہ الانبياء الذين اتهموا انبياءهم باشنع وافطع  
الجرائم وانا منهم بريؤون ان شاء الله  
فهذا موسى وبعض ما لاقاه فى دعوته لفرعون وقومه ودعوته لبنى  
اسرائيل الشعب الذى طالما ذاق الاستبعاد والذل والهوان ونلمس من  
سيرته وانتصاراته على عدوه على حين ضعفه وقوة عدوه . ان الله لن  
يخذل انبياءه ورسله بل لن يخذل الدعاة الى الله وان لم يكونوا  
انبياء او رسلا ويؤخذ من القصة ما يلى :

١ - فانتصار موسى على فرعون فيه عبرة للطغاة ودرس للامم المضطهدة  
كى تصمد وتكافح الطغيان لان النصر حليفها فى النهايه قال الله  
تعالى : ( عَسَى رَبُّكُمْ اَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْاَرْضِ فَيَنْظُرَ  
كَيْفَ تَعْمَلُونَ ) ( ٢ )

٢ - صدق موسى بدعوته وتضحيته والاستمرار بالكفاح ونصر قومه بالصبر  
ولذا قال الله تعالى على لسانه ( اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا اِنَّ  
الْاَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) ( ٣ )

٣ - فى صبرهم على الاذى وتحملهم له عبرة لنا نحن المؤمنين لنسير  
على منهجهم فنصبر كما صبروا .

(١) المختصر فى اخبار البشر - ج ١ ص ١٩ لابي الفداء .

(٢) سورة الاعراف آية (٢٢٩)

(٣) سورة الاعراف آية ( ١٢٨ )

عن خباب قال (١) قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ( اَلَا تَدْعُو اللَّهَ  
فَقَعَدَ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( كَأَنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ  
لَيَمَشُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ  
عَنْ دِينِهِ ) (٢) فهؤلاء المؤمنون برسالة موسى يمضون فرعون تقتيلا  
وتعذيبا بهم فيواسيهم موسى وينصحهم .

٤- نلمس منهج الدعاة الى الله وهو المنهج الرباني الذي سار  
عليه جميع انبياء الله ورسله من لين القول وحسنه ولذا قال  
الله تعالى ( فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) (٣)

٥- انه ارشاد سام ذكره القرآن ليكون مثالا يحتذى به فى كل الأزمان  
والظروف فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذا صاحبها اللين  
كان افضل واشد اثرا فى النفس وفى ردعها عن غيها بخلاف القهر  
والشدة والقول الغليظ فانه يحملها على التمرد والنفور وعدم  
تقبل النصيحة) (٤)

قال الله تعالى ( ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْجَسَنَةِ  
وَجَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) (٥)

(١) خباب بن الارت - ابن حنبل بن سعد بن خزيمه . سبى فى الجاهليه  
فبيع بمكه فكان مولى ام انمار الخزاعيه وكان من السابقين  
الاولين للاسلام وكان من المستضعفين روى البارودى انه اسلم  
سادس سنه وهو اول من اظهر اسلامه وعذب عذابا شديدا لاجل ذلك  
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ابو اسامه وابنه  
عبد الله بن خباب واخرون شهد بدرا وما بعدها ونزل الكوفه  
ومات سنه سبع وثلاثين الاصابه فى تمييز الصحابه ج ٣ ص ٧٦ .  
(٢) اخرجه البخارى كتاب مناقب الانصار باب ما لقي النبي صلى الله  
عليه وسلم واصحابه من المشركين بمكه ج ٥ ص ٥٦ .

(٣) سورة طه آية (٤٤)

(٤) انبياء الله بتصرف ص ٢٥٦ - ٢٥٨ .

(٥) سورة النحل آية (١٢٥)

كما قال الله تعالى يصف لنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :  
 ( وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ) (١)

فهذا هو المنهج الربانى الذى ينبغى أن يكون لنا طريقا نلتمس فيه الدعوة الى الله ونسير على منهجه

ومن الملاحظ انى لم اذكر القصص التى اسهب المفسرون بذكرها وما ذلك الا لانى التمتست بهذا الفصل البحث عن مواضع الابتلاء والقدرة وكيفيه تعامل انبياء الله مع مواضع الابتلاء ليكونوا لنا قدوة .

وكيف ظهر لنا نتيجة الصبر النصر على الأعداء قال الله تعالى :  
 ( سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ) (٢) فى هذه الآيه تمام لما وعد الله به موسى عليه السلام به من اهلاك أعدائه ومعنى صرفهم اهلاكهم فلا يقدرّون على منع موسى من تبليغها ولا على منع المؤمنين من الايمان بما هو شبيه بقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ) (٣) فأراد الله تعالى أن يمنع أعداء موسى عليه السلام من أيدائه ومنعه من القيام بما يلزم فى تبليغ النبوة والرساله ) (٤)

(١) سورة آل عمران آيه (١٥٩)

(٢) سورة الاعراف آيه (١٤٦)

(٣) سورة المائدة آيه (٦٧)

(٤) ملنقط جامع التاويل لمحكم التنزيل - نصوص اتى بها الشيخ ابو مسلم محمد بن بحر الأصفهانى فى تفسيره - جمعت من مفاتيح الغيب عنى بجمعه وترتيبه سعيد الانصارى طبع فى مدينه كلكتا بمطبعه البلاغ ١٣٢٠هـ - ص ٥٣ .

## قصة عيسى عليه السلام

هو عيسى ابن مريم ابنت عمران كلمة القاها الى مريم ورح منه من اولى العزم من الرسل وهو الذى بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الصحيح عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه ( عن خالد بن معدان عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله اخبرنا عن نفسك فقال دعوة ابراهيم وبشرى عيسى وراى امى حين حملت بى انه خرج منها نور اضاءت لى بصرى وبصرى من ارض الشام ) (١) وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضائل عيسى عليه السلام كما روى البخارى وابى هريرة قوله عليه السلام ( وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكُنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ وَيَضَعَ الْجُزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَأُوا وَإِنْ شِئْتُمْ ) (٢) : ( وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ) (٣)

وسبب كثرة نزول البركات وتوالى الخيرات اقامه العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الارض كنوزها وتقل الرغبات فى اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعه (٤)

(١) قال الحاكم خالد بن معدان من خيار التابعين صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابه فاذا اسند حديث الى الصحابه فانه صحيح الاسناد وان لم يخرجاه - اخرجاه الحاكم كتاب التاريخ ج ٢ ص ٦٠٠ قال الذهبى صحيح واخرجه احمد ج ٥ ص ٢٦٢

(٢) اخرجاه البخارى كتاب احاديث الانبياء باب نزول عيسى بن مريم ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٣) سورة النساء آية (١٥٩)

(٤) فتح البارى ج ٦ ص ٤١٩



وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرُقُ فَقَالَ لَهُ عِيسَى سَرَقْتَ قَالَ كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَقَالَ عِيسَى آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكُذِّبْتُ نَفْسِي) (١)

(وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحدا لا يحلف بعظمه الله كاذبا على ما شاهدة عيانا فقبل عذره ورجع على نفسه فقال آمنت بالله أي صدقتك وكذبت بصرى لأجل حلفك) (٢)

وعن عبادة بن الصامت (٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَأَبْنُ أُمَّتِهِ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ) (٤)

في عصمة عيسى من الشيطان : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي

(١) أخرجه البخارى فى كتاب احاديث الانبياء باب ( يا اهل

الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ج ٤

ص ٢٠٤ . وأخرجه مسلم فى كتاب الفضائل باب فضائل عيسى ج ١٥

ص ١٢١ بشرح النووى واللفظ له .

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) عبادة ابن الصامت بن قيس بنى اكرم بن فهر الخزرجى الانصارى

ابوالوليد المدنى احد النقباء ليله العقبة شهد بدرًا فمابعدهما

قال ابن سعد أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين ابن

مرشد وكان هو احد من جمع القرآن فى زمن النبى صلى الله عليه

وسلم رواة البخارى فى تاريخه الصغير وقال وأرسله عمر الى

فلسطين ليعلم اهلها القرآن فاقام بها الى ان مات بالرملة سنة

اربع وثلاثين وهو ابن (٧٢) سنة ج ٥ ص ١١٢ تهذيب التهذيب .

(٤) رواة مسلم ج ١ ص ٢٢٧ بشرح النووى كتاب الايمان باب عقائد

التوحيد ورواه البخارى ج ٤ ص ٢٠١ .

جَنَّبَهُ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُوَلِّدُ غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي  
الْحِجَابِ (١)

فهذا شأن هذا النبي العظيم الذي انطلق داعيا الى الله على بصيرة ومؤيدا بمعجزات الله سبحانه منذ الطفوله بل منذ مولده عليه السلام وهو الذي ابتلى باليهود وبالنصارى فصبر صبرا جميلا كسائر انبياء الله ورسله حيث سار على منهجهم واتبع ملتهم وساتتبع مواضع الابتلاء لعيسى عليه السلام وكيف واجهها عليه السلام وان كانت هناك احداث هامه في مولده ونشئته وسائر سيرته العطره الا انه ليس هذا مجالها ومن يرد شيء من ذلك فاليجا الى كتاب الله وما جاء عن المفسرين ففي هذا الكفاية ان شاء الله

١- دافع الحسد كيف اد به الى النزوح من موطنه :

نقل ابن كثير عن ابن عباس قال وكان عيسى يرى العجائب في صباه الهاما من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو اسرائيل فخافت امه عليه فاوحى (٢) الله الى امه ان تنطلق به الى ارض مصر (٣) فذلك قوله ( وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) (٤)

٢- ابتلاؤه باليهود ورمى امه بالبغاء :

قال الله تعالى: ( وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ) (٥)

(١) اخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب صفة ابليس وجنوده ج ٤ ص ١٥١ واخرجه احمد ج ٢ ص ٥٢٣ واخرجه الحاكم فى مستدركه كتاب التاريخ ج ٢ ص ٥٩٤ بلفظ آخر وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجہ قال الذهبى صحيح .

(٢) المراد بالوحى هنا وحى الهام

(٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ٧٤

(٤) سورة المؤمنون آية (٥٠)

(٥) سورة النساء آية (١٥٦)

أكثر اليهود فيه وفي أمه من القول وكانوا يسمونه ابن البغيه (١) وانما صار هذا الطعن بهتانا عظيما لانه ظهر عند ولادة عيسى عليه السلام من الكرامات والمعجزات ما دل على برائتها من كل عيب (٢) نحو قوله ( وَهَزَىٰ بِوَجْهِكَ يَدَافِعُ الْكَلْبَ الْكَلْبَةَ تَسَاقَطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ) (٣) وكلام عيسى ( قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ) (٤)

فان الله لا يعطى النبوة لمن هو كما زعموا لعنهم الله انهم قالوا انها حملت به من زنا في زمن الحيض لعنهم الله فبرأها الله من ذلك واخبر عنه انها صديقه وتتخذ ولدها نبيا مرسل احد اولى لعزم الخمسه وهذا ابتلاء من جنس ما ابتليا به صلى الله عليه وسلم في زوجته عائشه ام المؤمنين فقد وردت قصه الافك بتمامها في سورة النور وبرأ الله السيدة عائشه رضى الله عنها من هذا البهتان العظيم فلعل الحكمة من هذا الافتراء والبلاء العظيم ان لا تعظم نفس انسان عليه فقد ابتلى من هم افضل منه فان وقع لاحدنا مثل ذلك فليلجأ الى قراءة السيرة العطرة للسيدة مريم ابنت عمران التى احصنت فرجها وللزوجه الحصون الرزون ام المؤمنين عائشه الصديقه بنت الصديق وليقف على الحقيقه الصبر وكظم الغيظ والعفو ولنا بهن اسوة حسنه فى فضل مريم فى الحديث الذى يرويه على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمٌ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةٌ ) (٥) وعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ( حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ) (٦) .

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٧٦ .

(٢) التفسير الكبير الفخر الرازى ج ١١ ص ٩٩ .

(٣) سورة مريم آية (٢٥) . (٤) سورة مريم آية (٣٠) .

(٥) أخرجه البخارى كتاب مناقب الانصار باب تزويج النبى خديجه وفضلها ج ٥ ص ٤٧ . وأخرجه الترمذى كتاب المناقب باب فضل خديجه ج ٥ ص ٧٠٢ .

(٦) أخرجه الترمذى كتاب المناقب باب فضل خديجه ج ٥ ص ٧٠٣ وقال

ويتمادى اليهود والنصارى فى ضلالهم واتهامهم نبيهم عليه السلام وعدم الامتثال له حتى هموا بقتله وباشروا ذلك بالفعل لولا ان نجاه الله من كيدهم وظلمهم ومكر بهم مكرًا عظيمًا فقال الله تعالى :  
 ( وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ) (١) سبحانه فبعد اخراج عيسى عليه السلام مع امه عاد يدعوهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا عليه (٢) ثم ان عيسى عليه السلام اقام عليهم الحجج والبراهين واستمر اكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم فان تدب له طائفه صالحه فكانوا له انصارا واعوانا قاموا بمتابعتة ونصرتة ومناصحتة وذلك حين هم بنو اسرائيل ووشوا به الى بعض ملوك ذلك الزمان فعزموا على قتله وصلبه فانقذة الله منهم ورفعته اليه من بين اظهرهم والقى شبهه على احد اصحابه فاخذوه فقتلوه وهم يعتقدونه عيسى عليه السلام وهم فى ذلك غالطون ولحق مكابرون (٣) .

وهذا يدل على كفرهم لانهم كانوا راغبين فى قتله مجتهدين فى ذلك فلا شك ان هذا كفر عظيم (٤) فهذا منهج الكفرة من بنى اسرائيل وهى سيرتهم التى يستقبلون بها انبياءهم فهم كذلك كما لقبوا بقتله الانبياء فهذا سبيلهم وتلك طريقهم لعنهم الله فهذا النبى الذى اظهر الله على يديه المعجزات والكرامات يلقى هذا الابتلاء الجلل اذ يريدون قتله وما ذنبه الا ان دعاهم الى النجاة والخلص من الكفر والضلال وهكذا يببلى الانبياء ويببلى الدعاة العظماء فكل داعية الى الله عليه ان يتاس بهذا النبى العظيم الذى اصر على دعوتهم وان اصروا هم على كفرهم وعنادهم بل وحتى بعد اخراجه من ارضه عاد يلتبس الاعوان والانصار ويقول القرطبى " فى قوله تعالى : ( فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ ) (٥) وطلب النصرة ليحتمى بها من قومه ويظهر الدعوة

(١) سورة آل عمران آية (٥٤)

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٤ ص ٩٨ .

(٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٤ .

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ١١ ص ٩٩

(\*\*) رفع عيسى على الصحيح من اقوال الجمهور دون موت او نوم بل رفعه الله اليه .

(٥) سورة آل عمران آية (٥٢) .

وهذه سنة الله فى انبيائه واوليائه (١) قال لوطا (لَوْ اَنَّ لِىْ رَبِّكُمْ قُوَّةً اَوْ اَوْى اِلَى رُكْنٍ شَدِيْدٍ) (٢) اى عشيرة واصحابه ينصروننى (٣)  
 ٣ - ابتلاوة عليه السلام باصحابه :

قال الله تعالى: ( اِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ اَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللّٰهَ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ قَالُوْا نُرِيْدُ اَنْ نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوْبُنَا وَنَعْلَمَ اَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُوْنُ عَلِيْهَا مِنَ الشّٰهِدِيْنَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللّٰهُمَّ رَبَّنَا اَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُوْنُ لَنَا عِيْدًا لِاَوْلٰئِنَا وَاٰخِرِنَا وَاٰيَةً مِّنْكَ وَارزُقْنَا وَاَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ ) (٤)

وهذا بلاء عظيم لانه من الحوارين الذين الهنهم الله بالايمان به وبرسوله عيسى فآمنوا واشهدوا عيسى على اسلامهم انهم اتباعه حين قال (من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله) (٥) لهذا عظم الطلب فى جانبهم وخاصة بعد ان راوا الكرامات والمعجزات الباهرات يبرء الاكمه والابرص ويحى الموتى باذن الله ثم يطلبوا هذه المعجزة وان كانت اقل فى دلالتها من احياء الموتى وابراه الاكمه ولذا استعظم ذلك منهم عيسى عليه السلام فقال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فان مقتضى الايمان ينافى هذا الطلب فلمؤمنين الكمل لايقترحون على نبيهم ولا يطلبون منه المعجزات بل يؤمنون به فهذا شان الابرار كما قال الله تعالى: (الْم ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ) (٦) فالمؤمن لايطالب نبيه بمعجزة بل يؤمن به ايمانا محضا

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٤ ص ٩٧ .

(٢) سورة هود آية (٨٠) .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٤ ص ٩٧ .

(٤) سورة المائدة الايات ( ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ ) .

(٥) سورة الصفاية (١٤) .

(٦) سورة البقرة آية (١ - ٢) .

دون تكليف ما يثبت لهم نبوته ولذا اتخذ عليهم المفسرون فى ذلك  
مآخذ منها قولهم ( هل يستطيع ربك )

١- قال سيد قطب : ( اختلفت التاويلات فى هذا اذ كيف سألوا بهذة  
الصيغه بعد ايمانهم بالله واشهاد عيسى عليه السلام على اسلامهم  
وقيل هو مستجيب لك اذا طلبت وقيل هل تستطيع بمعنى هل تملك انت ان  
تدعو ربك لينزل علينا مائدة من السماء ) (١)

ب- قال ابن كثير فوعظهم عيسى فى ذلك وخاف عليهم ان لا يقوموا  
بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فآبوا عليه الا ان يسأل لهم ذلك من ربه  
عز وجل فلما لهم يقلعوا عن ذلك قام الى الصلاة وتضرع الى الله فى  
الدعاء والسؤال ان يجابوا الى ما طلبوا ) (٢)

ولذا فقد حذرهم عيسى عليه السلام من طلب هذه الخارقه لان  
المؤمنين لا يطلبون الخوارق ولا يقترحون على الله وهذا الحوار يكشف  
لنا الفرق بينهم وبين اصحاب محمد الذين لم يطلبوا منه خارقه  
واحدة بعد اسلامهم لقد آمنت قلوبهم واطمأنت منذ ان خالطتها بشاشه  
الايمان ولقد صدقوا رسولهم فلم يعودوا يطلبون على صدقه بعد ذلك  
البرهان ولقد شهدوا له بلا معجزة إلا هذا القرآن

هذا هو الفارق بين حوارى عيسى عليه السلام وحوارى محمد صلى الله  
عليه وسلم ذلك مستوى وهذا مستوى وهؤلاء مسلمون واولئك مسلمون  
وهؤلاء مقبولون عند الله وهؤلاء مقبولون ولكن تبقى المستويات  
متباعدة كما ارداها الله (٣)

وقد استخرج المآخذ عليهم الفخر الرازى فى قولهم (هل يستطيع ربك)  
(١) هل يستطيع فقال دل ذلك على انهم كانوا شاكين متوقفين فان هذا  
القول لا يصدر عن من كان كاملا فى الإيمان .

(١) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ٩٩٨ وانظر ايضا البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٦

وانظر ايضا فتح القدير ج ٢ ص ٩٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٦

(٣) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ٩٩٨ .

(٢) وقالوا ونعلم ان قد صدقتنا وهذا يدل على مرض هذا القلب .  
 (٣) وقول عيسى عليه السلام ( اتَّقُوا اللَّهَ يَا كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) يدل على انهم ما كانوا كاملون الايمان لان ذلك جار مجرى التعنت والتحكم وهذا من العبد في حضرة الرب جرم عظيم ولانه اقتراح معجزة بعد تقديم معجزات كثيرة.

(٤) ومن المآخذ عليهم : ان الحوارين لما سألوا المائدة ذكروا في طلبها اغراضا دنيوية فقد قدموا ذكر الاكل فقالوا ( نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ) واخروا الاغراض الدينية والروحية .  
 وان عيسى قدم الاغراض الدينية على الدنيوية ثم ان عيسى لشدة صفاء دينه واشراق روحه لما ذكر الرزق بقوله ( وَارْزُقْنَا ) لم يقف عليه بل انتقل من الرزق الى الرزاق فقال: ( وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ) (٢)  
 وهذا ادب عظيم في الدعاء ينبغى ان نقتدى به عند سؤال الحاجة فينبغى الثناء على الله فيما هو اهله وتقديم الصلاة والذكر ثم سؤال الحاجة فان هذا اجدر في قبول الدعوة باذن الله .  
 ٤ - ابتلاوة عليه السلام حتى بعد رفعه :

قال الله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّتِي الْهَيْبَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ) (٣) .

فهذه كبيرة لا يطيق بشر عادي ان يقذف بها فيدعى الالوهية وهو يعلم انه عبد فكيف برسول من اولى العزم ؟ كيف بعيسى ابن مريم وقد اسلف الله له هذه النعم كلها بعد ما اصطفاه بالرساله وقبل ما

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١٢٨ ، ص ١٢٩ .

(٢) الفخر الرازي ج ١٢ ص ١٣١

(٣) سورة المائدة آية (١١٦) .

اصطفاه ؟ كيف به يواجه استجوابا عن ادعاء الالوهيه وهو العبد الصالح المستقيم (١) .

فهذا والله ابتلاء عظيم وبهتان ظاهر ينسب الى سيدنا عيسى عليه السلام وهو برىء منه ولكن هكذا سنتهم ومسيرتهم ليخلصوا انفسهم كما فعل قوم نوح اذا انكروا انهم بلغوا او وصلهم رسول اصلا (\*) ( ما جاءنا من نذير ) ثم يكون الجواب والحجة الظاهرة من عيسى عليهم اذ لقنه الله هذه الحجة فقد اخرج الترمذى وصححه من حديث ابي هريرة : ( قال تلقى عيسى حجة ولقاء الله فى قوله : ) واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ) قال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فللقاء الله ( سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق . الايه ) (٢) ولذا اشاد المفسرون بحسن جوابه وعظم موقفه وتصاغره امام ربه فيبرأ الى الله من ذلك حيث قال ( مَا يَكُونُ لِيْ اَنْ اَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقِّ ) (٣) ( واستشهد بذات الله على برائته مع التضاعر امام الله وبيان خصائص عبوديته وخصائص الوهيه ربه ) (٤) حيث قال : ( اِنْ كُنْتُ قُلْتُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِيْ وَلَا اَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِكَ اِنَّكَ اَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوْبِ ) (٥) ويقول ابن كثير : ( هذا تادب عظيم فى الخطاب والجواب ) (٦) وينتهى الى التفويض المطلق فى امرهم مع تقرير

(١) فى ظلال القرآن ص ١٠٠١ ج ٢ .

(\*) حديث سبق الاشارة اليه فى قصه نوح عليه السلام وبيان تبرئته من هذه الفرية العظيمة ص ١٤٩ .

(٢) اخرجه الترمذى كتاب التفسير باب سورة المائدة حديث رقم ٣٠٦٢ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ج ٥ ص ٢٦٠

(٣) سورة المائدة آية (١١٦)

(٤) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ١٠٠١

(٥) سورة المائدة آية (١١٦)

(٦) البداية والنهاية ج ٢ ص ٧٤



عبوديتهم لله وحده وتقرير قوة الله على المغفرة لهم او عذابهم  
 وحكمته فيما يقسم لهم من جزاء سواء كان هو المغفرة او العذاب (١)  
 (إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢)  
 فيا للعبد الصالح فى موقفه العظيم اذالم ينسى عطف ربه وسيده  
 ولهذا لم يقل ان تعذبهم فانهم

عصوك وانما قال فانك انت العزيز الحكيم وهذا انقياد وتسليم  
 خالص لله عز وجل ولكمال قدرته. (٣)

وبعد هذا المشوار مع اولئك العصاة تحقق نصر الله لنبيه وللمن  
 تبعه من الحوارين فيرفع عيسى على الصحيح من اقوال العلماء دون  
 نوم ولا موت وينصر الله انصاره واتباعه قال الله تعالى ( إِذْ قَالَ  
 اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافُ وَالْمُطَهَّرُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ  
 الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ) (٤)

فايد الله من امن به على من كفر فيما بعد واصبحوا ظاهرين  
 عليهم قاهرين لهم كما قال الله تعالى فكل من كان اليه اقرب كان  
 غالبا ممن دونه ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذى لاشك فيه  
 انه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه  
 واطروه وانزلوه فوق ما انزله الله به (٥) فبصبره وقوة بآسه قام  
 بمواجهه من عتوا عن امر ربه من اليهود والنصارى وقام اتباعه  
 الحواريون وهم الاثنى عشر بمناصرتهم عليه السلام وتأييده لما راوا  
 من صدق معجزاته واستمر هذا الكفاح حتى رفع عليه السلام وهم  
 يعاضدونهم بصبر وقوة وجلد كالسلسله المتواليه من اتباع محمد صلى  
 الله عليه سلم الذين هم خير قدوة يقتدى بها كما قال صلى الله

(١) فى ظلال القرآن ج ٢ ص ١٠٠١

(٢) سورة المائدة آية (١١٨)

(٣) فتح القدير ج ٤ ص ٩٥

(٤) سورة آل عمران آية (٥٥)

(٥) البداية والنهاية ج ٢ ص ٨٥ .

عليه وسلم : ( وَاقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي ) وأشار الى ابي بكر  
وعمر (١)

هكذا تتجسد لنا القدرة فى الصبر وثبات وكفاح وجهاد حتى يتحقق  
وعد الله النصر او الشهادة .  
عظم ما اقرفت النصرى :

---

وفى الصحيح عن ابي موسى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم انه قال : ( لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَدَىٰ  
سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَذًا وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ ) (٢)  
فلا احد اعظم افتراء على الله من اولئك العصاة الذين ابتلى بهم  
عيسى عليه السلام .

---

(١) سبق الاشارة اليه ص ١٢٩ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب الادب باب الصبر على الاذى ج ٨ ص ٣١ .

## قصة محمد صلى الله عليه وسلم

محمد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم :

هذا هو خاتم النبيين والرسول انقطعت بعده صلة السماء بالأرض ولم يبق الا هديه وسيرته من كتاب وسنه يقتدى بها ويسار على نهجها لنصل الى ما وصل اليه اولئك الاجلاء الذين بذلوا ارواحهم رخيصة في سبيل الوصول الى جنة عرضها السموات والأرض .

ولكنى ساكتب بعض نماذج من كفاحه الميرير وصحابته لهذة الثمن الجليل حيث ان الكل لا يستوعبه الا مجلدات عظيمة وحيث ان الهدف من هذا الفصل هو تجريد مواضع القدوة فيهم ففى البعض غنى عن الكل ان شاء الله .

لقد ابتلى صلى الله عليه وسلم ابتلاء عظيما وتنوع ابتلاؤه بشتى صنوف البلاء فابتلى بأهله بأقرب الناس اليه وفى عشيرته صلى الله عليه وسلم الذين صرفوا له ضروب الفتن والمكائد وأراد به كيدا ومكروا به وكذبوه وأذوه ولم ينصروه . وهاجر وترك البلد والموطن وأحب البقاع اليه مغبوننا مطرودا مضطهدا . وابتلى بأصحابه الذين استهزئ بهم وأذوافى سبيله وسبيل دينه وسوف أعرض لهذا كله مفصلا فى بعض نماذج للكفاح الميرير من أجل دعوته خالدة وعقيدة ثابتة :-

اول المحن : السخريه والاستهزاء باللسان :

فبعد الجهر بالدعوة الى الله سخروا منه وأذوه قال الله تعالى : ( وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ) (١)

وقال الله تعالى على لسانهم : ( وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ) (٢) هكذا قوبل نوح عليه السلام بالسخريه

(١) سورة ص آية (٤)

(٢) سورة الفرقان آية (٤١)

والاستهزاء . ولذا كان يؤمر صلى الله عليه وسلم بالاعتداء بهم فى صبرهم وكانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات لتذهب عنه الهم والحزن الذى كان يجتاح نفسه عند تكذيبهم له واذيتهم له فقال الله تعالى ( وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا ) (١) لم يكن النصر اذن بضاعة بلا ثمن لابل كان ثمنه النصر من الله والتايد التام به والاعتداء بالانبياء قبله . فالصبر هو الضابط لسلوك الانبياء قبله وهو الضابط لسلوكه صلى الله عليه وسلم وسلوك اتباعه من بعده

ولذا قال الله تعالى: ( فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا أُولَٰئِكَ الْعَزْمُ مِنَ الرَّسُولِ ) (٢) هذا هو المنهج الذى رباهم عليه رب السماء ولذا عندما قالوا له انه كاذب وانه مجنون وكاهن كما قال الله تعالى ( فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ) (٣) لم يقلع عن دعوتهم بل استمر وان استمروا برفض دعوته وقولهم انه افك قال الله تعالى على لسانهم ( إِن هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكَتَتَّبَعَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ) (٤) هذا بعض ما لاقاه صلى الله عليه وسلم من قذى الالفاظ والافتراء عليه باللسان فلم يال عنه جهدا من تكذيب الى الوصف انه مجنون او ساحر او غيره مما تنضب نفس البشر العادى عنه الا انه نبي عظيم يصبر ويتحمل اعلى من ذلك فعلا انه صبر على عظم البلاء وان عظم واشتد حقا انها المحنة المهداة الى كل نبي والمنهج الذى يسير عليه كل داعيه الى الله تفننهم بطلب المعجزات لكى يؤمنوا بالله تماما كما فعل اليهود بموسى عندما طلبوا ان يروا الله جهرة وكما فعل اصحاب عيسى عليه السلام بعد ان راوا المعجزات حينما قالوا

(١) سورة الانعام آية (٣٤) .

(٢) سورة الاحقاف آية (٣٥) .

(٣) سورة الطور آية (٢٩) .

(٤) سورة الفرقان آية (٤٥) .

ادع لناربك ينزل علينا مائدة من السماء ولكن هؤلاء يطلبون نوعا  
آخر بهدف آخر وهو التعنت والامتناع عن الايمان كما

قال الله تعالى على لسانهم ( وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ  
الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْإِثْمَارُ خِلَالَهَا  
تَفْجِيرًا أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ  
قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى السَّمَاءَ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى  
تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نُّقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (١)

هذا بعض ما كان يلقاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقاومه  
وهو ثابت صامد يدعوا الى الله مسفها عقائدهم بسبب عبادتهم اصناما  
لاتضر ولاتنفع .

٢- رمى العاص بن وائل الرسول بأنه أبتَر :

وقد بلغ البغض والسفه ببعض المشركين ان عابوا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم مالا خيرة له فيه من موت اولادة الذكور ولايخل  
بدين ولا مروءة ولا رجوله فمن هؤلاء العاص بن وائل السهمي كان اذا  
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانما هو ابتر لا عقب  
له لو مات لانقطع ذكرة واسترحتم منه (٢)

فانزل الله : ( إِنَّا آعطينَاكَ الْكُوْثَرَ (٣) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ  
الْأَبْتَرُ ) (٤) فلم يعبا الرسول صلى الله عليه وسلم بكل هذا بل مضى

(١) سورة الاسراء آية (٩٠ - ٩٣)

(٢) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره ص ٣٤٨

(٣) الكوثر : اختلف الجمهور على انه الحوض - وقال ابى الجوزى  
الكوثر حوض النبى صلى الله عليه وسلم . وقال عياض فى احاديث  
الحوض صحيحه والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على  
ظاهرة عند اهل السنه والجماعه .

وقال عكرمه الكوثر النبوة والقرآن والاسلام وعن مجاهد الخير  
كله وقيل نور فى قلبه صلى الله عليه وسلم دل على الحق  
وقطعه عن سواه وقيل غير ذلك ج ٢٠ ص ٣ عمدة القارى .

(٤) سورة الكوثر .

الى سبيله يدعوا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وما زادة الاسراف فى الايذاء والاستهزاء الا اصرار على الدعوة (١)  
 ٣ - اذيتهم له صلى الله عليه وسلم بالضرب والاعتداء عليه :  
 لقد استعرضت بعض اذيتهم له باللسان . ولكنهم لم يقلعوا عن اذيته صلى الله عليه وسلم بالفعل والضرب واصناف الاذى .

ومن الامثلة على ذلك ما رواة البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم يلقى فى حجر الكعبة اذ اقبل عليه عقببة ابن ابي معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديداً فاقبل ابو بكر حتى اخذ بمنكبيه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله (٢)

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجزا عن دفع عقبه ولم يكن الله ليكل حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم الى جهدة وقله حيلته ولكنه الابتلاء ويتجلى لنا من هذا الموقف العظيم للنبى صلى الله عليه وسلم موضعان اثنان للقدرة :-

١ - اذ ظهر فيه فضيله صلى الله عليه وسلم وصبره وعظم ما لاقاه من الاذى ثم فضل ابى بكر الصديق والساحب فى الضيق رضى الله عنه اذ قام بالدفاع عنه صلى الله عليه وسلم وهو بهذا يقدم لنا قدوة فى الدفاع عن الدعوة ومناصرتهم والوقوف معهم  
 ٢ - استمر هذا المحروم من الخير باذى النبى صلى الله عليه وسلم

والتعرض له فقد روى البخارى عن عبد الله بن عمر قال : (بينما النبى صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبه بن ابي معيط يسلى جزور (٣) فقفه على ظهر النبى صلى

(١) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ج ١ ص ٣٥١ - ٣٥٢

دكتور / محمد ابو شهبه .

(٢) اخرجه البخارى كتاب مناقب الانتصار باب ما لقي النبى صلى الله

عليه وسلم واصحابه من المشركين بمكة ص ٥٧ - ٥٨ ج ٥ .

(٣) ما يكون من الناقه بعد الولادة كالمشيمه لانيه مسلم بشرح

النووى ج ١ ص ١٥ .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَخَذَتْهُ  
 مِنْ ظَهْرِهِ وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلٍ بَيْنَ هِشَامٍ وَعَتْبَةَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ  
 وشيبهه بن أبي ربيعة وأميه بن خلفا و أبي بن خلف شعبه النشاك  
 فَرَأَيْتُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ فَالْقُوا فِي بَيْتٍ غَيْرِ أُمِّيَّةٍ أَوْ أَبِي تَقَطَّعَتْ  
 أَوْصَالُهُ فَلَمْ يُلْقَ فِي الْبَيْتِ (١) فقد تفننوا في ايذاء رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فلم يرعوا فيه قرابة وتخطو حدود الانسانيه (٢)  
 هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم لنا القدوة بالفعل  
 والعزيمه الصادقة فعلا انه صدق الايمان وعزمه وقوة الثبات والتحمل  
 الذى ينبغى ان يكون عليه كل مسلم مؤمن وكل داعيه الى الله فان  
 توفر قوة العقيدة وثباتها زالت بسببها وبها وهانت كل المصائب  
 وكل المحن واستلذها الداعيه الى الله هذا هو اليقين وهو التوكل  
 على الله وهو الدافع الاسمى للثبات على المبدأ وعلى العقيدة والصبر  
 والتحمل (ولذا لا ينبغى للمسلم ان يتوهم اليأس اذ ما لاقى شيئا  
 من المشقه او المحنه بل العكس هو المنسجم مع طبيعة هذا الدين اى  
 ان على المسلمين ان يستبشروا بالنصر كلما راوا انهم يتحملون  
 مزيدا من الضر والنكبات سعيًا الى تحقيق امر ربهم) (٣) قال  
 تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ  
 قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ  
 آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبًا) (٤).

(١) اخرجه البخارى كتاب مناقب الانصار - باب ٢٩ ما لقيه النبي صلى  
 الله عليه وسلم واصحابه من المشركين ج ٥ ص ٥٧ واخرجه مسلم  
 كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من  
 اذى المشركين والمنافقين ج ١٢ ص ١٥٤ بشرح النووى .

(٢) السيرة النبويه للندوى ص ١١١.

(٣) فقه السيرة للبوطنى - ص ١٢٤ .

(٤) سورة البقرة آية (٢١٤).

قالت عائشة : ( هُمْ أَتْبَاعُ الرَّسْلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ فَطَالَ عَلَيْهِمُ النَّبَاءُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمْ النَّصْرُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرَّسْلُ مِنْ كَذِبِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَظَنَنْتِ الرَّسْلُ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قَدْ كَذَبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ ) (١)

وهكذا وبهذه العرض لبعض ما لقي الرسول صلى الله عليه وسلم يتضح لنا عظم البلاء وشدة اصرار قومه على اذيته واستمرارهم على ذلك وتنوعت الحيل وتنوع معه الاذى فمن القول باللسان الى الفعل باليد يا لها من عزيمة صادقة وموقف له صلى الله عليه وسلم لا ينسى هذا هو المنطق الذى ينطبق على الفعل صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اخرج البخارى عن خباب بن الارت انه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت يا رسول الله الا تدعوا الله لنا ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم او عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق راسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله ) (٢)

هذا ما كان من السابقين الاولين من اتباع الرسل والذين يريد محمد صلى الله عليه وسلم ان يسير عليه اتباعه ( يا ايها الذين آمنوا اتقوا ما تقولون ما لا تفعلون ) (٣) تعاضد القول بالفعل ليتم النصر والظفر وليكون من اقوى الدوافع للوصول الى الهدف الاسنى والاسمى . صبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر ما يلقى اتباع الانبياء قبلهم لقد هب النبي صلى الله عليه وسلم امام قريش مما جعلها تستعمل اسلوب آخر لعله يجدى بهذا الذى خرج عن ملتهم وسب الهتهم

(١) اخرجه البخارى كتاب التفسير سورة يوسف باب ( حتى اذا استيأس

(الرسول) ج ٦ ص ٩٧ ، ج ٦ ص ٣٥ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٩٢ .

(٣) سورة الصفاية (٢) .



فلما لم يجد السب باللسان والضرب والتهديد عمدت الى الترغيب لعله انفع فى نظرها مما سبق وكثيرا ما يستخدم هذا الاسلوب فيكون اكثر نفعا واجدى عاقبه من غيره ولا ننكر ان هذه هى الطريقة المتبعه فى تغيير النفوس والسلوك بها الى مسلك آخر لكن مانكره ان هذا ليس هو مجاله فالاولى ان يعاضدوه ويشدوا ازره لا ان يتفننوا ويتفكرون بتحويلهم عن طريقه وسلوكه صلى الله عليه وسلم . فقد جاء اليه الوليد فقال يا ابن اخی ان كنت ماتريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا - حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان الذى ياتيك رثيا تراه لا يستطيع رده عن نفسك طلبنا لك اطباء وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه (١)

قال ابن القيم : ( لما كثر المسلمون وخاف الكفار منهم اشتد اذاهم له صلى الله عليه وسلم وفتنتهم اياهم فاذن لهم رسول الله فى الهجرة الى الحبشة (٢)

٤ - موقف قريش من هجرة المسلمين الى الحبشة :

بعثوا الى النجاشى يطلبون تسليم المسلمين اليهم يقول ابن الجوزى فرد الله كيدهم فى نحورهم اذا لم يسلمهم اياهم النجاشى بلغ المهاجرين ان قريشا اسلمت وكان هذا الخبر كاذبا فرجعوا الى مكه فلما بلغهم ان الامر اشد مما كان رجع منهم من رجع ودخل جماعه فلقوا من قريش اذى شديدا وكان منهم عبد الله بن مسعود (٣) .

(١) السيرة النبويه للندوى - ص ١١٣ .

(٢) زاد المعاد ج ١ ص ٩٧ .

(٣) زاد المعاد فى هدى خير العباد - لابن قيم الجوزيه - تحقيق

شعيب الأرنؤوط ( عبد القادر الأرنؤوط - الناشر مؤسسه الرساله

مكتبه المنار الاسلاميه ط ١٤ ص ٩٧ ج ١ وانظر ايضا السيرة

النبويه للندوى ص ١١٣ وانظر ايضا مع الانبياء والقرآن - عفيف

طباره - ص ٣٥٤ . .

فلا يكاد التاريخ يعرف قوما ابتلوا بالوان البلاء وفتنوا اشد  
الفتنه مثل ما عرف ذلك لأصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد  
عذبوا عذابا تنوء به الجبال وأوذوا فى سبيل عقيدتهم ودينهم اشد  
الايذاء ولاسيما الضعفاء والعبيد منهم وليس هذا بعجيب من قوم  
خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان من أول يوم اعتنقوا فيه الإسلام واخذهم  
النبي صلى الله عليه وسلم بأساليب الحكمة فى التربية والتهذيب  
وكان لهم القدوة الحسنة فى الثبات والصبر والتحمل والاستهانة فى  
سبيل العقيدة (١) فقد عذب فى سبيل الله بلال وكان مملوكا لاميه بن  
خلف فكان اميه بن خلف يخرج وقت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى  
بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا  
والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى  
فيقول وهو فى ذلك البلاء: احد احد (٢)

وقد قام أبو بكر يوما فى الناس يدعو إلى الله وإلى رسوله  
وشار المشركون على أبى بكر فوطيء وضرب ضربا شديدا وجعل عتبه بن  
ربيعة يضربه بنعلين مخصوفتين يحرفهما بوجهه حتى ما يعرف وجهه من  
أنفه (٣) .

---

(١) السيره النبويه فى ضوء القرآن والسنة ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ - ابو  
شهبه مرجع سابق .

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدرکه كتاب معرفه الصحابه ج ٣ ص ٢٨٤ وقال  
صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح وأخرجه ابن ماجه  
كتاب مقدمه باب فضل سلمان وابى ذر والمقداد ج ١ ص ٥٣ وقال  
وفى الزوائد اسناده ثقات

(٣) السيره النبويه للندوى ص ١١٠ .

وممن عذب بسبب اسلامه عمار بن ياسر (١) وابوه وامه فكان بنو مخزوم يخرجونهم فى وقت الظهيرة ويضعون اجسامهم على الرمال الشديده الحراره لتعذيبهم فيمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم قائلًا ( صَبْرًا آل يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ ) (٢) اما الام فقد قتلت تحت العذاب فكانت اول شهيدة فى الاسلام (٣)

وكانت سيده خباب بن الارت تعذبه بالحديد المحمى بالنار فتجعله على ظهره ليكفر فلا يزيده ذلك الا ايمانًا .

ومن المعذبات فى الله زنيره الروميه امة عمر بن الخطاب اسلمت قبله فكان يضربها حتى يفتتر ويشاركه فى ضربها ابو جهل فلا يزيدها ذلك الا اصرارا على الاسلام ولما اسلمت اصيب بصرها فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ولكن هذا امر السماء وربى قادر على ان يرد على بصرى فرد الله بصرها فقالت قريش هذا من سحر محمد (٤) وقد تعرض الكثير غيرهم من المؤمنين الى الضرب والتجويع والعطش حتى ما يقدر الواحد ان يستوى جالسا من شدة الضرب الذى نزل به

(١) عمار بن ياسر بن عنس من اليمن وهو حليف لبني مخزوم ويكنى ابا اليقظان نزل الكوفه ولم يزل له مع على بن ابي طالب يشهد معه مشاهدة وقتل بصفين سنة سبع وثلاثين ودفن هناك وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وقد شهد بدرا الطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٤ - وامه سميه من لخم - وكان ياسر قدم من اليمن الى مكه فحالف ابا حذيفه بن المغيرة فزوجه مولاته سميه فولدت له عمارا فاعتقه ابو حذيفه واسلم عمار وابوه قديما وكانوا ممن يعذب فى الله وقتل ابو جهل سميه فهي اول شهيدة فى الاسلام تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٨

(٢) اخرجه الحاكم ج ٣ ص ٣٨٣ كتب معرفه الصحابه قال الذهبي صحيح  
(٣) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره ص ٣٥٤ وانظر ايضا ص ٣٥٥ ، ص ٣٥٦ السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة .  
(٤) السيره النبويه - محمد ابو شهيه " مرجع سابق " ص ٣٥٧ .

وفى اثناء ذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يتلوا على المؤمنين ما ينزل عليه من القرآن ما يخفف عنهم ما يصيبهم من العذاب وما يثبت قلوبهم (١)

مثل قوله تعالى : ( اَحْسَبَ النَّاسُ اَنْ يَتْرَكُوْا اَنْ يَقُوْلُوْا اٰمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُوْنَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِيْنَ ) (٢) وكان كثيرا ما يصبرهم بذكر اخبار الامم قبلهم فى الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم لخباب : ( لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَيْمِشَطٌ بِمِشَاطٍ مِنَ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ اَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِيْنِهِ ) (٣) وكان يضرب لهم المثل فى القدوة قولا وعملا فقد اخرج الترمذى وابن ماجه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لَقَدْ اُوْذِيْتُ فِي اللّٰهِ وَمَا يُؤْذِيْ اَحَدٌ وَاخْفْتُ (٤) فِي اللّٰهِ وَمَا يَخَافُ اَحَدٌ وَلَقَدْ اَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَالِيْ وَلِبِلَالٍ طَعَامُ يَّاكُلُهُ ذُو كِبَدٍ اِلَّا مَا وَاَرَى رَابِطَ بِلَالٍ ) (٥) هكذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يثبت علمه وحكمته وموعظته وقد خرج يطلب النصره من اهل الطائف وكان زيد بن حارثه رفيقه فاذوه واخرجوه ورجموه بالحجاره حتى ادموا كعبيه (٦) .

(١) انبياء الله فى القرآن - عفيف طباره ص ٣٥٣

(٢) سورة العنكبوت آية ( ٢ - ٣ )

(٣) سبق الاشارة اليه ص ١٨٩

(٤) اى خوفت فى دين الله تعالى وما يخاف احد مثل تلك الا خافه ج ١

ص ٥٤ سنن ابن ماجه شرح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٥) اخرجه ابى ماجه مقدمه ج ١ ص ٥٤ واخرجه الترمذى فى كتاب صفة

القيامة ج ٤ ص ٦٤٥ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب .

ابط بلال : اى الامقدار ما يحمل بلال ويواريه تحت ابطه سنن ابن

ماجه تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ج ١ ص ٥٤ .

(٦) زاد المعاد ج ١ ص ٩٩ .

وكان زيد بن حارثة يلقى الرسول بنفسه من الحجاره حتى انه شج فى راسه عده شجاج (١) .

فعلا هذا هو الرفيق والصاحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحن والشدائد وهو بهذا يقدم نموذجا لما ينبغى ان يكون عليه حال المسلم بالنسبه لقائد الدعوه من حمايه له بنفسه ودفاعه عنه وان اقتضى ذلك التضحيه بحياته ( فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله فكما جاء يبلغنا العقيده الصحيحه عن الكون وخالقه كذلك جاء يبلغ المسلمين ما كلفهم الله به من واجب الصبر ويبين لهم كيفيه تطبيق الصبر والمصابره الذين امر بهما فى قول الله تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ) (٢) ويبين ان الصبر ومصارعه الشدائد من اهم مبادئ الاسلام التى بعث بها الى الناس كافه (٣)

قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ) (٤) ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ) (٥) انها التقوى التى جعلت له صلى الله عليه وسلم الفرج بعد الشدة فأخرج مسلم عن عائشه رضى الله عنها قالت يارسول الله هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم اجد ؟ فقال: ( لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضَتْ نَفْسٌ عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَكْتُ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ (٦) فَرَفَعْتُ

(١) فقه السيره ص ١٠٩ للبطوى وانظر ايضا السيره النبويه للندوى

ص ١٢٢ وانبياء الله - احمد بهجت ص ٤٢٠ .

(٢) سورة آل عمران آية (٢٠٠)

(٣) انظر فقه السيره ص ١٠٩ بتصرف للبطوى .

(٤) سورة يوسف آية (٩٠)

(٥) سورة الطلاق آية (٢)

(٦) قرن الثعالب : هو قرن المنازل وهو الميقات اهل نجد واصل

القرن الجبل الصغير .

رَأْسِي فَلِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنظَرْتُ فَلِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَارَدُوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ فَتَأْمُرْنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِيِّينَ (١) فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُوا أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا (٢)

٥ - تأمر قريش على قتل النبي صلى الله عليه وسلم :

قال الله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٣) وذلك عندما تأمرت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار أبو جهل بأن يقتل بطريقه تمنع من الثار له . فانجاه الله من هذه المكيدة ونام على بن أبي طالب في فراشه وخرج مع أبي بكر إلى غار ثور قال الله تعالى: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٤)

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال شرى على نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون

(١) الأخشبيين : هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله شرح

النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ١٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري ج ٤ ص ١٣٩ كتاب في بدء الخلق باب اذ قال

أحدكم أمين والملائكة في السماء وأخرجه مسلم واللفظ له كتاب

الجهاد باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من اذى المشركين

والمنافيقين ج ١٢ ص ١٥٥ بشرح النووي .

(٣) سورة الانفال آية (٣٠) .

(٤) سورة التوبة آية (٤٠) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم البسه بردة وكانت قريش تريد ان تقيل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يرمون عليا ويرونه النبي صلى الله عليه وسلم وقد لبس برده وجعل على رضى الله عنه يتضور (١) فاذا هو على فقالوا انك للنثيم انك لتضور وكان صاحبك لا يتضور ولقد استنكرناه منك (٢) وقضى صلى الله عليه وسلم وصاحبه ثلاثة ايام فى الغار يقول ابو بكر لو ان احدهم نظر الى موطىء قدميه لابصرنا فيجيبه صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " ثم دناهما الدليل بالراحله وسلك بهما طريقا غير مألوف قاصدا يثرب وفى الحديث عن ابي بكر رضى الله عنه قال ( كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَى مَا ظَنَّكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ) (٣) .

وكانت قريش قد همت بقتله قبل ذلك فلما منعه عمه ابو طالب هو وقبيلته عزمت قريش على الحرب المادية فتعاقدوا على مقاطعه عشيره النبي صلى الله عليه وسلم لا يزوجهم ولا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم وظلوا ثلاث سنوات والنبي واتباعه يعانون من الحرمان الوانا حتى انهم كانوا ياكلون اوراق الشجر وكان يسمع اصوات اطفالهم من بعيد من شدة الجوع (٤) فهذه القطيعة الظالمة تصور قمة الشدة التى لقيها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه طيله ثلاث اعوام فصبر

(١) يتضور أى يتلوى ويتلفت

(٢) اخرجه الحاكم كتاب الهجرة ج ٣ ص ٤ وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد رواه ابو داود الطيالسى وغيره بزيادة الفاظ وقال الذهبى صحيح .

(٣) اخرجه البخارى كتاب التفسير باب التفسير سورة براءة ج ٦ ص ٨٣ واخرجه احمد ج ١ ص ٤ .

(٤) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره - ص ٣٦٨ وانظر ايضا فتح البارى ج ٧ ص ٢٣٠ .

الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ما اصابهم من المقاطعة وانصياعا لامر الله وايتبارا للاخرة على الدنيا (١) لقد تنوع البلاء على دين النبي صلى الله عليه وسلم ( احتمال كل الظروف ورغم ان ضائقه المسلمين استمرت ثلاث سنوات لم يتوقف نشاطهم ولا خمد ولا قل (٢) احدى عشرة سنة والرسول صلى الله عليه وسلم يعانى من حياة لا راحة فيها ولا استقرار تتربص قريش فى كل دقيقه منها بقتله وتصيب عليه الوانا من المحن والشدائد فلا ينقص ذلك شيئا من عزيمته ولا يضعف شيئا من قوته وسعيه .

احدى عشرة سنة وهو يعانى من غربه هائله بين قومه وجيرانه وكافه الجماعات والقبائل المحيطة فلا ييأس ولا يضجر ولا يؤثر ذلك على شىء من انسه بربه عز وجل (٣)

٦ - ابتلاؤه بموت بعض انصاره :

وبعد المقاطعه مات عمه ابو طالب ثم ماتت خديجه رضى الله عنها وتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتها الشدائد ونالت منه قريش خصوصا ابو لهب بن عبد المطلب والحكم بن العاص وعقبه ابن ابي معيط فانهم كانوا جيران النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذونه بما يلقون عليه وقت صلاته وفى طعامه من القاذورات (٤)

٧ - محنة فى المدينة :

لقد ناصره اهل المدينة ولقى عندهم الفرج بعد الشدة الا ان يهودها والمنافقين ابو الا ان يستمروا فى اذيه صلى الله عليه وسلم حيث قذف راس النفاق عبدالله بن ابي سلول ومن تبعه السيدة عائشه بحادثه الافك قال الله تعالى : ( يَاۤٓٔنَ الَّذِيۤنَ جَاۤءُوۡا۟ بِالۡاِفۡكِ عَصَبَةُۙ مِّنۡكُمۡ لَا تَحۡسَبُوۡهُ شَرًّاۙ لَّكُمۡ بَلۡ هُوَ خَيْرٌۭ لَّكُمۡ لِكُلِّ اِمۡرِۡءٍ مِّنۡهُمۡ مَا اَكۡتَسَبَ مِنَ الْاِثۡمِ

(١) فقه السيره للبوطنى بتصرف ص ٩٥ مرجع سابق وانظر ايضا السيره

النبيويه للندوى ص ١١٩ .

(٢) انبياء الله - احمد بهجت ص ٤١٨ بتصرف .

(٣) فقه السيره للبوطنى ص ١٢٥ .

(٤) المختصر فى اخبار البشر ج ١ ص ١٢٠ .



وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١)

ولقد كانت هذه الشائعه تستهدف النيل من الاسلام وتجريح الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت جزءاً من الحرب الضاربه ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الاسلام . وكانت تستهدف اظهار الاسلام بمظهر العقيده التي يقول اتباعها شيئاً وهم يتصرفون عكس ما يقولون كما كانت ضربه موجهه لنقاء بيت سيده (٢)

لقد قذفت السيده مريم من قبل قال الله تعالى : ( وَبِكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ) (٣) ولقد قذف موسى عليه السلام اذ امر قارون المرأه البغى ان تتهمه بالزنا فاطهر الله نصره لوليه ورد كيده على اعدائه .

فاذن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينه ولقى حتى فى المهجر شدة وكربه ( فالهجره من سنن المصلحين الذين اتخذوا منها منطلقاً جديداً - لدعواتهم وقد حدثنا التاريخ عن هجره ابراهيم ابنى الانبياء وفراره بدينه من العراق الى الشام بعد عداوة الفرس وحاولوا احراقه كما حدثنا عن هجره موسى من مصر مع من آمن معه فرارا من فرعون وعن هجره عيسى من بيت لحم الى اورشليم ( القدس ) لذا فالهجره توحى لنا بأعظم الدروس من حيث الصبر على البلاء والتضحية والفداء والثبات على المبدأ والثقه بالنصر ) (٤) فكل ما يلاقيه الدعاء الى الله والمجاهدون فى سبيل اقامه المجتمع الاسلامى سنه الاهيه فى الكون منذ فجر التاريخ لاطهار صدق الصادقين وكذب الكاذبين ) (٥) .

(١) سورة النور آية (١١)

(٢) انبياء الله - احمد بهجت ص ٤٥٣ وانظر المختصر ج ١ ص ١٣٨ مرجع سابق .

(٣) سورة النساء آية (١٥٦) .

(٤) مع الانبياء فى القرآن - عفيف طباره - ص ٤٣٥ .

(٥) فقه السنه - للبوطنى ص ٨٦ مرجع سابق ج ٣ ؟

( اَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصّٰبِرِيْنَ ) (١)

واذا كانت هذه سنة الله فى عباده فلن تجد لسنة الله تبديلا حتى مع انبيائه واصفيائه من اجل ذلك اوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم واذوى من قبله من جميع الانبياء واصفيائه ومن اجل ذلك اوذى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمى من عمى رغم عظيم فضلهم وجليل قدرهم عند الله عزوجل (٢) .

ان التاريخ لا يكاد يعرف قوما استعذبوا العذاب فى سبيل الايمان والعقيده وهانت عليهم نفوسهم فى الله مثل ما عرف ذلك لاصحاب خاتم الانبياء . ان هؤلاء الرجال والنساء خطوا صحائف مشرفه فى تاريخ الايمان والبطولة والتضحية (٣) .

---

(١) سورة آل عمران آية (١٤٣)

(٢) فقه السنه - للبطوى - ص ٨٦ مرجع سابق

(٣) السيره النبويه - محمد ابوشهبه - ص ٣٥٩ مرجع سابق .

## الفصل الرابع

### اجتناب البذعة

**\*\*\* اجتناب البدعة \*\*\***

لقد شرع الله لنا من الدين ما كان كافيا لاقامة منهج حياة سعيدة فى ظل الدين الحنيف فالتوازن فى العبادات وفى العادات منهاج ديننا السمح ، وقد شرع لنا من العبادات ما يرضى نفس كل مؤمن وهو المنهج الذى رسمه الحق جل وعلا على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتوازن تام فهو كاف لسد جميع احتياجات البشر من غير تبديل ولا تحريف ولا زيادة ولا نقص ومهما توسعت الحياة فالدين بسماعته ويسره لا يصادم الحياه الكريمة فى تطورهما السليم انه يستوعب مستجدات هذه الحياه ويقدم الحلول لهذه المستجدات .

انه لافرق بين الدين وبين ما سار او ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لذا فلا يژاد عليهما بزعم القربى الى الله ولا ينقص منها كذلك لتظل شريعتنا وديننا محاطين بسياج حفظ الذات فلا يحرفان بزيادة او نقص الا انا نجد ان الامة الاسلامية فى فترة من فترات الضعف انتشرت فيها البدع سواء كانت زيادة او نقصانا فى الدين ولاى سبب من الاسباب .

ويهمنا هنا فى هذا الفصل ان نعالج قضية انتشار البدعة فى المجتمع الاسلامى والدوافع التى كانت وراء هذا الانتشار كما نبحث فى الضوابط فى منع انتشار البدع ومكافحتها من حيث انها لا تمت الى الدين بصلة :-

**البدع : فى اللغة :**

بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه انشاه وبداه .

والبدعة : الحدث وما ابتدع من الدين بعد الاكمال ، وقال ابن

السكيت البدعه كل محدثه (١)

البدعة فى الاصطلاح :-

لقد عرف العلماء البدعة بعدة تعريفات سوف اشير اليها ثم

نستخرج من مجموعها تعريفا واحدا مجمعا عليه يفيدنا في هذا البحث  
التعريف الأول :

- ١ - البدعة عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والاغلب في المبتدعات انها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب العمل بها زيادة أو نقصان .  
فان ابتدع شيء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وان كان جائزا حفظا للاصل وهو الاتباع . (١)
- ٢ - هو الحدث في الدين بعد الاكمال وما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم وجعل ديننا قويا وسراجا مستقيما (٢)
- ٣ - وجاء تعريف الشافعى للبدعة :  
هى ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا او اثرا فهو البدعة الضالة (٣) .
- ٤ - البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهى الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية او يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله (٤)
- ٥ - ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعه فاستخراجها للسلوك عليها هو

- (١) تلبيس ابليس للحافظ الامام جمال الدين ابن الفرغ عبد الرحمن ابن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - دار الكتب بيروت ط ٢ عام ١٣٦٨ هـ . ص ١٦ .
- (٢) كتاب السنن والمبتدعات / المتعلقة بالاذكار والصلوات / محمد عبد السلام خضر الشقنقىرى / الناشر دار الباز - دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠ هـ . ص ١٦ .
- (٣) فتح المبين ص ١٠٧ مرجع سابق .
- (٤) ليس من الاسلام / محمد الغزالى ص ١٠١ دار الكتب الحديثة ط ٣ عام ١٣٨٣ هـ .

الابتداع وهيئتها هي البدعة وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعه فمن هذا المعنى سمي العمل الذى لا دليل عليه فى الشرع بدعه وهو اطلاق اخص منه فى اللغة . (١)

٦ - فالبدعه اما باعتقاد خلاف الحق الذى ارسل الله به رسوله وانزل به كتابه واما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الاوضاع والامور المحدثه فى الدين التى لا يقبل الله منها شيئاً . (٢) .

٧ - هي كل ما احدث على خلاف امر الشارع . ودليله الخاص او العام ضلالة (٣) .

فلاحظ من هذه التعاريف ان البدعه لها سمات يمكن ان نقتبسها من هذه التعريفات كما يلى :

١ - ان البدعة ليس لها اصل فى الشرع :

فان كان لها اصل فى الشرع فهى ليست بدعة بل هى سنة كما قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ وَكُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ) (٤) ومنه فعل عمر رضى الله عنه اذ جمع الناس على صلاة التراويح وقال نعمة البدعة هذه . وان كان الاصل موجودا وهو مشروعية الصلاة او التهجد فى ليالى رمضان وكان صلى الله عليه وسلم يصلى هذه الصلاة ولكنه لم يأمر بالاجتماع عليها خوفا من ان تفترض عليهم

٢ - ان البدعة تخالف الشريعة بزيادة أو نقص :

سواء كانت مشروعته كمن زاد ركعة على صلاة الصبح - أو نقص منها ركعة أو نحوها من ذلك وظن ان هذا قربة الى الله عزوجل . أو سواء كانت الزيادة غير مشروعة . كمن شرع لنفسه عبادة وظن انها قربة الى الله عزوجل .

(١) الاعتصام للشاطبي ج ١ ص ٣٧ .

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ٢٤٥ .

(٣) نزاهة المتقين ج ١ ص ٤٣٦ .

(٤) سبق تخريجه فى الاقتداء بالانبياء والذين معهم . ص ١٢٩ .

٣ - ويشترط في البدعة اعتقاد صاحبها ان فعله قربى الى الله عزوجل فان لم يعتقد ذلك فلا بدعة . لان البدعة المقصود منها التقرب الى الله عزوجل .

٤ - انها توافق هوى النفس بزيادة التعبد وذلك مثل :- الرهط الذين سألوا عن عبادة النبي وكانهم تقالوها وقالوا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم انا اصوم ولا افطر والآخر قال لا اكل اللحم والثالث قال لا اتزوج النساء .

ففي الحديث الصحيح : عن انس بن مالك رضى الله عنه يقول :  
( جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بَيْوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا فَقَالُوا وَآيِنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا أَصَلَّى اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفِطِرُ وَقَالَ آخَرُ إِنَّا أَعْتَزَلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفِطِرُ وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ) . (١)

٥ - سواء اعتقد فعلا او اقر عملا بدعه فهو ايضا مبتدع او قام هو بما هو خلاف الشرع فهذا كله من جنس الابتداع الذى لم ياذن به الله ولا رسوله .

ونخلص من هذا الى تعريف يمكن ان يجمع اقوال هؤلاء العلماء مع حذف ما تكرر معناه فنقول  
البدعة هي :-

كل عمل ليس له اصل في الشرع وخالف الشريعة بزيادة او نقص واعتقد صاحبه انه قربى الى الله ، بينما هو يوافق هوى النفس سواء كانت عملية او اعتقادية .

فهذا التعريف جمع اقوال العلماء وفى الوقت نفسه اتضح لنا به شروط كون العمل بدعه .

ومنه نلخص ان الدافع الى الابتداع :

- ١ - التقرب الى الله بزيادة الابتداع .
- ٢ - موافقة هوى النفس بزيادة التعبد .
- ٣ - دافع التجديد لأن النفس تسام وتمل .

أصل الابتداع :-

أصل الابتداع خلق ما ليس له مثال سابق ولا دليل قائم . (١)

وعلى هذا فكل عمل يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم او صاحبه رضى الله عنهم فهو أصل تشريعى عن العرباض بن سارية (٢) رضى الله عنه قال : ( صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغة ذرقت منها العيون ووجلّت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى باختلاف كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ) (٣)

(١) ليس من الاسلام ص ١٠١ مرجع سابق .

(٢) العرباض بن سارية : السلمى كنيته ابو نجيح كان من اهل الصفه ونزل حمص مات فى فتنة ابى الزبير سنة ٧٥ هـ . تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٦٤ .

(٣) أخرجه ابو داود كتاب السنة حديث ٤٦٠٧ باب لزوم السنة ج ٤ ص ٢٠٠ وأخرجه الترمذى فى كتاب العلم باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع ج ٥ ص ٤٤ حديث ٢٦٧٦ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه فى المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ج ١ ص ١٥ . وأخرجه الحاكم فى مستدركه ج ١ ص ٩٦ وقال الحاكم هذا حديث صحيح ليس له عله - وقال الذهبى صحيح ليس له عله .



فينبغي للمسلم الاتباع لا الابتداع في الدين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ ) (١)  
 وقوله صلى الله عليه وسلم : ( مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ) (٢)

وكلا الحديثين حرب على البدع الأول على اختراعها والآخر على اقرارها ومتابعتها . (٣)  
 مضار البدعة الدينية :-

- ١ - عدم قبول الأعمال من صلاة وصيام وصدقة وغيرها من القربات .
- ٢ - عدم قبول الأعمال مطلقا سواء خالتها البدعة أم لا وفي هذا (٤)

(١) أخرجه البخارى كتاب الصلح باب اذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ص ٢٤١ ج ٣ - وأخرجه مسلم كتاب الأفضية باب ١٧ . ج ١٢ ص ١٦ بشرح النووى . وأخرجه أبو داود كتاب السنة باب فى لزوم السنة ص ٢٠٠ ج ٤ حديث ٤٦٠٦ . وأخرجه ابن ماجه مقدمه باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه ص ٦ ج ١ . وأخرجه احمد ج ٦ ص ٣٧٠ . (٢) أخرجه البخارى تعليقا كتاب الاعتصام . باب اذا اجتهد العامل او الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم حكمه مردود ج ٩ ص ١٣٢ - وكتاب البيوع باب النجش ومن قال الا يجوز ذلك البيع ص ٩١ ج ٣ كتاب الصلح باب ٥

(٣) ليس من الاسلام ص ١٠٢ مرجع سابق .

(٤) الاعتصام ص ١٠٩ ص ١١٠ بتصرف

حديث على رضى الله عنه ( المدينة حرام ما بين عير (١) إلى ثور .  
فمن أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة  
والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل ) (٢)

وذلك على رأى من فسر الصرف والعدل بالفريضة والنافلة .

\* - ان تخالط بدعة الاعمال .

فيكون العمل قد خالطه ما ليس من الدين فيرد كما فى الحديث عن

عبد الله بن ابي رافع (٣) عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم .  
من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد (٤) كمن عمل بالقرآن وحده

(١) عير : هو جبل معروف . قال مصعب بن الزبير وغيره ليس  
بالمدينة عير ولا ثور قالوا انما ثور بمكة . وقال الزبير عير  
جبل بناحية المدينة قال القاضى اكثر الرواة فى كتاب البخارى  
ذكروا عير واما ثور فمنهم من كنى عليه بكذا ومنهم من ترك  
مكانه بياضا لانهم اعتقدوا ذكر ثور هنا خطأ . قال المازرى قال  
بعض العلماء ثور وهم من الراوى وانما ثور بمكة قال والصحيح  
الى ( ا حد ) قال القاضى وكذا قال ابو عبيد اصل الحديث من ( )  
عير الى ا حد ( هكذا .

قال النووى ويحتمل ان ثورا كان اسم لجبل هناك اما ا حد واما  
غيره فخفى اسمه والله اعلم . شرح النووى على صحيح مسلم ج ٩  
ص ١٤٣ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب الفرائض ج ٨ ص ١٩٢ - واخرجه مسلم كتاب  
العتق باب تحريم تربى العتيق غير مواليه ج ١٠ ص ١٥٠ -  
واخرجه ابو داود كتاب الديات باب ايقاد المسلم بالكافر ص  
١٨٠ ج ٤ حديث ٤٥٣٠ - واخرجه الترمذى كتاب الولاء باب ما جاء  
فيمن تولى غير مواليه وادعى غير ابيه ج ٤ ص ٤٣٨ حديث ٢١٢٧ -  
واخرجه احمد ج ١ ص ٨١ ص ١٠٨ و ج ٢ ص ( ٣٩٨ - ٤٥٠ ) .

(٣) عبد الله بن رافع : المخزومى ابو رافع المدنى مولى ام سلمه  
زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال النسائى ثقة ذكره ابن حبان  
فى الثقات . ج ٥ ص ٢٠٦ تهذيب التهذيب .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .

وترك السنة ففي الحديث ( لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه ) (١)

وانما جاء هذا الحديث على الذم واشبات ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحليل والتحریم ككتاب الله فمن ترك ذلك فقد بنى اعماله على رايه لا على كتاب الله ولا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)

٣ - ان المستحسن للبدع يلزمه عادة ان يكون الشرع عنده لم يكمل بعد فلا يكون لقوله تعالى : ( اليوم اكملت لكم دينكم ) (٣) معنى يعتبر فدين الله قد كمل ولا يحتاج الى زيادة او نقص وانما كان هذا حال المبتدع اذ يزعم بحال فعله او قوله ان الهدف من البدعة هو اكمال الدين وهو ايضا اتهام لله بعدم الكمال وهذا كفر ان اعتقده صاحب البدعة . واتهام للنبي صلى الله عليه وسلم بعدم تبليغ الرسالة وهذا ايضا كفر ان اعتقده صاحب البدعة .

٤ - ان المبتدع قد قدم العقل على الشرع فصار الشرع فى نحلتهم كالتابع لمعين لا حاكما متبعا (٤) والاصل تقديم الدين على العقل اذ ان العقل تابع لا متبوع .

(١) اخرجه ابو داود كتاب السنة باب فى لزوم السنة ج ٤ ص ٢٠٠ . حديث ٤٦٠٥ واخرجه الحافظ فى التذكرة ج ٣ ص ١١٩١ وقال حسن غريب تفرد ابن عيينه واخرجه ابن ماجه مقدمه ج ١ ص ٧ حديث رقم ١٣ .

(٢) الاعتصام ص ١١٠ ج ١ .

(٣) سورة المائدة آية : ٣ .

(٤) الاعتصام ج ١ ص ١١٠ .

اما من قال ان المراد هو ان يراد بعدم القبول لاعمالهم ما  
ابتدعوا فيه خاصة فيظهر ايضا ويدل عليه قوله صلى الله عليه  
وسلم : ( مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ) (١) والجميع من  
قوله ( كَلِّبَ بَدْعًا ضَلَالَةً ) (٢) اى ان صاحبها ليس على الصراط  
المستقيم وهو معنى عدم القبول .

٥ - ان صاحب البدعة ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وسلم  
( مَنْ أَحَدَثَ حَدَثًا أَوْ أَوَى مُحَدِّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) (٣)

وانما جاء النهى عن ايواء المحدث وتوقيره لانه يؤدى الى  
التفات الجهال والعامه الى ذلك التوقير فيعتقدون فى المبتدع  
انه افضل الناس وان ما هو عليه خير مما عليه غيره فيكون هذا  
دافعا للجهال الى اتباعه وتقليده وبالتالي يؤدى الى تعطيل  
اتباع السنة والجماعة ثم ان توقيره يكون دافعا له لكى يبتدع  
فى الدين ما ليس فيه . (٤)

٦ - ان المبتدع يزداد من الله بعدا ففى الحديث عن ابي سعيد  
الخدري رضى الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم ( يَحْتَقِرُ  
أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا  
يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَةِ ) (٥)

- 
- (١) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .  
(٢) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .  
(٣) سبق تخريجه من حديث على رضى الله عنه - ص ٢٣٠ .  
(٤) الاعتصام بتصرف ص ١١٤ ج ١ .  
(٥) اخرجه احمد من حديث طويل ج ٣ ص ٥٦ - ٦٠ - ٦٥ . واخرجه مسلم  
كتاب الزكاة باب اعطاء المؤلفه ومن يخاف على ايمانه ج ٧ ص  
١٦٤ ، ص ١٦٥ شرح النووى - واخرجه البخارى كتاب المناقب باب  
علامات النبوة فى الاسلام ج ٤ ص ٢٤٣ .

فبين اولا اجتهادهم ثم بين بعدهم من الله ( ١ )  
فهو يجتهد بالعبادة من صيام وصلاة وانواع القربات فتخالطها  
البدع فتترد اعماله اليه ويزداد من الله بعدا لذا قال صلى  
الله عليه وسلم : ( يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ ) والمراد يخرجون من  
الدين مع كثرة صلاتهم وعبادتهم .

٧ - ان على مبتدعها اثم من عمل بها الى يوم القيامة ( ٢ )  
قال الله تعالى : ( لِيَحْمِلُوا اَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ  
اَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) ( ٣ ) والمراد يحملون اوزارهم  
وذنوبهم كاملة غير منقوصة يوم القيامة وليحملوا اوزار من  
يضلونهم وهم العوام (الا ساء ما يحملون وبئس شيئا يحملونه) (٤)  
وفى الحديث الصحيح : ( مَنْ سَنَّ فِي الْاِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا  
بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ وِزْرٌ مِمَّنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ اَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ) ( ٥ )  
فيدل هذا الحديث على اثر البدعة على صاحبها فانه كل من يعمل  
بها يعود اثمه على مبتدعها الاول .

٨ - البعد عن حوض الرسول صلى الله عليه وسلم لما روى فى  
البخارى عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال  
( اَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ لِيُرْفَعَنِي إِلَى رِجَالِ مَنْكُمْ حَتَّى رَأَى اِهْوَيْتَ  
لَانَاوَلَهُمْ اَخْتَلَجُوا دُونِي فَاَقُولُ اَيُّ رَبِّ اَصْحَابِي؟ يَقُولُ لَا تَدْرِي مَا

(١) الاعتصام ص ١١٩ .

(٢) الاعتصام ص ١٢٣ .

(٣) سورة النحل آية : ٢٥ .

(٤) التفسير الواضح ج ١٤ ص ٣٧ مرجع سابق .

(٥) سبق تخريجه فى باب الاقتداء بالانبياء والذين معهم ص ١٢٩

أَحَدَثُوهُ بَعْدَكَ (١)

والأظهر انهم من الداخلين في غمار هذه الأمة لاجل ما دل على ذلك فيهم وهو الغره والتحجيل لان ذلك لا يكون لاهل الكفر المحض ولقوله ( مَا أَحَدَثُوهُ بَعْدَكَ ) وكان الكفر لقال لقد كفروا بعدك ٩ - انه يخاف على صاحبها مرتكب اثما وعاصى لله تعالى حتما - لانه مصر على ما نهى الله عنه والاصرار يعظم الصغائر ان كانت صغير حتى تصير كبيرة وان كانت كبيرة فاعظم .  
فهذا ظاهر اذا اغتر بالبدعة من حيث هي معصية فاذا نظرنا الى كونها بدعه فذاك اعظم لان المبتدع مع كونه مصرا على ما نهى عنه يزيد بانه معارض للشريعة معتقدا في المعصية انها طاعة حيث حسن ما قبجه الشرع . (٢)

(١) اخرجه البخارى كتاب الفتن باب ما جاء فى قول الله تعالى ( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) كتاب الرقاق ج ٩ ص ٥٨ واللفظه . وج ٨ ص ١٣٦ - واخرجه مسلم كتاب الطهارة باب استحباب اطالة الغره والتحجيل فى الوضوء ج ٣ ص ١٣٩ وكتاب الصلاة باب حجة من قال البسمة آية من كل سورة ج ٤ ص ١١٢ وكتاب الفضائل باب حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفته ج ١٥ ص ٥٩ وكتاب الجنة باب فناء الدنيا وبيان الحشر وبيان يوم القيامة ج ١٧ ص ١٩٤ - واخرجه الترمذى كتاب القيامة باب ما جاء فى شأن الحشر ج ٤ ص ٦١٦ حديث ٢٤٢٣ - واخرجه ابن ماجه كتاب مناسك باب ٤٠ التمتع بالعمرة الى الحج ج ٢ ص ٩٩٢ فانك لا تدري ما احدث امير المؤمنين فى النسك بعدك . واخرجه مالك فى موطنه كتاب الجهاد ص ٣٧١ واخرجه احمد ج ١ ص ٣٩ ص ٥٠ .

(٢) الاعتصام ص ١٢٩ ج ١ مرجع سابق .

١٠- سواد وجهه فى الآخرة قال الله تعالى : ( يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ) (١)

ففى الآية الكريمة وعيد بالعذاب لقوله : ( فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ) قال ابن كثير : ( تسود وجوه اهل البدع وتبيض وجوه اهل السنة ) . (٢)

١١- البراءة منه لقوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) (٣) وفى الحديث عن سهل بن سعيد (٤) يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ( أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا لِيَرُدَّ عَلَى أَقْوَامٍ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِنِي ثُمَّ يَحَالُ بَيْنَ بَيْنِهِمْ ) وفى حديث أبى سعيد الخدرى يزيد فيه ( قَالَ إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ بَدَلَ بَعْدِي ) (٥) . فقوله سحقا لمن بدل بعدى أى بعدا له وفيه براءة الرسول صلى الله عليه وسلم منه

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٦ .

(٢) ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠ مرجع سابق .

(٣) سورة الانعام آية : ١٥٩ .

(٤) سهل بن سعيد : بن مالك بن عمرو بن الخزرج بن ساعده بن كعب بن

الخزرج الانصارى الساعدى أبو العباس ويقال أبو يحيى له ولأبيه

صحابه توفى وهو ابن ٩٥ سنة وقيل غير ذلك وهو اخر من مات

بالمدينة من الصحابة وقال ابن حبان كان اسمه حزنا فسماه

الرسول صلى الله عليه وسلم سهل . تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٥٢ .

(٥) أخرجه البخارى واللفظ له كتاب الفتن ج ٩ ص ٥٩ ج ٨ ص ١٥٠ -

وأخرجه مسلم كتاب الطهارة باب اطالة الغره والتحجيل بالوضوء

ج ٣ ص ١٣٩ كتاب فضائل حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ج ١٥

ص ٥٤ - وابن ماجه مناسك باب الخطبه يوم النحر ج ٢ ص ١٠١٦ -

وأخرجه احمد بن حنبل ج ١ ص ٢٥٧ ، ج ٢ ص ٤٠٨ .

## مضار البدع الدنيوية :-

١ - يخشى عيه الفتنة :

قال الله تعالى : ( فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ) (١) وهذه الفتنة هي شان اهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم فانهم يرون ان ذكره الله في كتابه ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم دون ما اهدوا اليه بعقولهم . (٢)

٢ - يلقي عليه الذل في الدنيا والغضب من الله تعالى : ( اِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ) (٣) فيدخل في العموم البدع من حيث انها افتراء على الله . (٤)

٣ - ان البدع مظنة القاء العداوة والبغضاء بين اهل الاسلام فلانها تقتضى التفرق شيعا . (٥)

قال تعالى : ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ) (٦) جاء تفسير الذين اختلفوا بانهم اهل الاهواء (٧) فكان الابتداء سببا لافتراقهم واختلافهم وكفرهم وردتهم .

وقال تعالى : ( وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّو بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) . (٨) .

- 
- (١) سورة النور آية : ٦٣ .
  - (٢) الاعتصام ج ١ ص ١٣٢ .
  - (٣) سورة الاعراف آية : ١٥٢ .
  - (٤) الاعتصام ص ٥٩ ج ١ .
  - (٥) الاعتصام ص ٥٩ ج ١ .
  - (٦) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .
  - (٧) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠ .
  - (٨) سورة الانعام آية : ١٥٣ .



فالسبيل هي سبل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم اهل البدع  
 واهل السنة مأمورون بعبادة اهل البدع والتشريد بهم (١)  
 ضوابط النهى عن البدع :-

ولمضار البدع الدينية والدنيوية وما لها من الاثر السئ على  
 الاسلام والمسلمين فقد ورد النهى عن البدعة والتحذير منها فى كتاب  
 الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واقوال الصحابة  
 والتابعين مما يكون ضابطا للتحذير من الابتداء فى الدين او معصية  
 الرسول صلى الله عليه وسلم .

الضابط الاول : النهى عن البدعة فى القرآن :-

١- قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ  
 الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ  
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ  
 وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا  
 أُولُو الْأَلْبَابِ) (٢)

قال ابن كثير : ( فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ) أى ضلال وخروج عن  
 الحق الى الباطل ( فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ) أى انما يأخذون منه  
 بالمتشابه الذى يمكنهم ان يحرفوه الى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه  
 عليها لاحتمال لفظه • ابتغاء الفتنة ) أى الاضلال لاتباعهم ايها  
 لاتباعهم انهم يحتجون على بدعتهم وهو حجة عليهم لا لهم . (٣)  
 وهذا لانه جعل علامة الزيغ الجدل فى القرآن وهذا الجدل مفيد  
 باتباع المتشابه (٤) .

(١) الاعتصام ج ١ ص ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ص ٣٤٥ ج ١

(٤) الاعتصام ج ٥٩ ص ١

فهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعه (١) وفى هذا التشديد عظيم وضابط لسلوك المؤمن من اتباع طريق الزيغ والضلال .

٢ - وقال تعالى فى تعظيمهم النهى عن البدع والمبتدعه: ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) (٢) .

قال جمهور المفسرين الذين تفرقوا واختلفوا هم اليهود والنصارى

وقال بعضهم هم المبتدعه من هذه الأمة . (٣)  
٣ - وقال تعالى: ( يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ رِايِمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ) (٤)  
قال ابن كثير: ( يعنى يوم القيامة حين تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والفرقة ) (٥) .

فمن بدل او غير او ابتدع فى دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبتدعين منه المسودة وجوههم واشدهم طردا وابعدا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كجماعة اهل الزيغ والاهواء والبدع . (٦) لهذا الوعيد الشديد فى الآية والحديث سواء كان للمبتدعه او من جاراها فهو ضابط يقبب المسلم الى رشده اذ شعر بعظم الذنب الذى استحق عليه ان يسود وجهه وان يطرد عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الله تعالى: ( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (٧)

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج ٤ ص ١٣

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٥

(٣) الجامع لاحكام القرآن مرجع سابق ص ١٦٦ ج ٤ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٦

(٥) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠ .

(٦) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ص ١٦٨ ج ٤ .

(٧) سورة الانعام آية : ١٥٣ .

فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذى دعا اليه وهو السنة (١)  
وانما وحد سبيله لأن الحق واحدا ولهذا جمع السبل لتفرقتها  
وتشعبها . فالهرب الهرب والنجاة والنجاه والتمسك بالطريق  
المستقيم والسنن القويمة الذى سلكه السلف الصالح ففيه المتجر  
الرابح (٢)

٤ - وقال تعالى : ( وَعَلَى اللّٰهِ قَٰصِدُ السَّبِيْلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ  
لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ) (٣) ( السبيل الاسلام اى على الله بيانه بالرسول  
والحجج والبراهين . وقصد السبيل استقامة الطريق .  
ومنها جائر اى واكثر السبيل جائر اى عادل عن الحق فلا يهتدى به  
والمعنى ومنهم جائر عن سبيل الحق اى عادل عنه فلا يهتدى اليه وفيه  
قولان :

احدهما : انهم اهل الاهواء المختلفة قال ابن عباس

الثانى : ملل الكفر من اليهودية والمجوسية والنصرانية (٤)

( فالسياق فى الآية يدل على التحذير فكفى بالجائر ان يحذر منه

اعاذنا الله من سلوكها بفضله ) (٥)

واخبر تعالى ان ثم طرقا تسلك اليه فليس يصل اليه منها الا  
طريق الحق وهى الطريق التى شرعها ورضيها وما عداها مسدودة  
والاعمال فيها مردودة . (٦)

لذا كان العمل الغير مشروع مردود ولا يقبل من صاحبه البتة لانه  
ابتداع على دين الله وهذا مالا يرضاه الله بل يرده على فاعله  
خسرانا وضللا .

(١) تفسير ابن كثير ص ١٩١ ج ٤ .

(٢) تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٦٨ .

(٣) سورة النحل آية : ٩ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ص ٨١ ج ١٠ .

(٥) الاعتصام ص ٥٩ ج ١ .

(٦) ابن كثير ص ٥٦٣ ج ٢ .

٥ - وقال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (١)

الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له فان الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه كاهل الملل والنحل والاهواء والضلالات فان الله تعالى قد برا رسوله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه . ( ٢ )

وذهب الى ذلك القرطبي فقال والآية عامة في جميع الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يامر الله عزوجل به فقد فرق دينه . (٣)  
وفى الآية دليل على ان البدع سبب للتفرق والتخاصم والجدال مما يضعف المجتمع المسلم ويؤدى به الى الهاوية وضياع الاصول من الدين لذا حرم الاسلام البدع فى الدين ونبه تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الى براءته من اهل الاهواء والفرق المبتدعه .

٦ - وقال الله تعالى: ( وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) (٤)

٧ - وقال الله تعالى: ( قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ) (٥) .

ونتيجة لهذا الانحرافات عن منهج الله والاعتماد على اهواء البشر ونزواتهم وشهواتهم وجهالتهم وضعفهم وقصورهم وتصريف الحياة وفق

(١) سورة الانعام آية : ١٥٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ص ١٩٦ ج ٢ .

(٣) القرطبي ص ١٥٠ ج ٧ .

(٤) سورة الروم آية : ٣١ - ٣٢ .

(٥) سورة الانعام آية : ٦٥ .

تلك الأهواء والنزوات تخبط الناس فى وضع انظمة للحياة وشرايع وقوانين من عند انفسهم وذاق بعضهم بأس بعض وحقد بعضهم على بعض لانهم لا يفيئون جميعا الى ميزان واحد يضعه لهم المعبود الذى يعنوا له كل العبيد (١)

فالدافع للابتداع اتباع الشهوات والأهواء والنزوات فجعل الله عز وجل للمتبعين لهذه الأهواء وعيدا شديدا يكون ضابطا لهم من الاندفاع وراء البدع والمبتدعين .  
الضابط الثانى :

وفى السنة ايضا ورد النهى عن البدع والتشديد على المبتدعين:  
الحديث الأول :-

١ - عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :  
( مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ ) (٢) . فقله له ما ليس منه أى مما ينافيه ولا يشهد له شىء من قواعد وأدلتة العامة (٣)

وهذا الحديث عده العلماء ثلث الاسلام انه جمع وجوه المخالفة لأمره عليه السلام ويستوى فى ذلك ما كان بدعه أو معصية . (٤)  
وفى الحديث بيان أن كل شىء نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم فانه منقوص مردود ( فهو رد ) يوجب ظاهره افساده وابطاله الا أن يقوم الدليل على ان المراد به غير الظاهر . (٥)

(١) الضلال ص ١١٢٥ مرجع سابق .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٧

(٣) فتح المبين ص : ١٠٦ .

(٤) الاعتصام ص ٦٨ ج ١

(٥) معالم السنن للخطابى ص ١٢ ج ٥ .

فهذا الحديث مما ينبغي حفظه واشهاره فى ابطال المنكرات  
واشاعة الاستدلال به لذلك . (١)

فان كان الدافع للابتداع هو التقرب الى الله عزوجل فلذا نجده  
يبتدع بالدين زاعما انه يتقرب الى الله عزوجل فان عمله مردود  
عليه غير مقبول منه على الاطلاق .

### الحديث الثانى :-

ورد التحذير من البدع على لسانه صلى الله عليه وسلم فى حديث

العرباض بن باريه فقال : ( صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً ذرقت منها العيون  
ووجلت منها القلوب قلنا : يا رسول الله كان هذه موعظةً مودعاً فماذا  
تعهد ياينا ؟ قال : اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبداً  
حبشياً فانه من يعيشر منكم بعدى فسيرى اختلافاً فعليكم بسنتى وسنة  
ال خلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ  
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ) (٢)

فهذا الحديث فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ تشمل :

١- تقوى الله عزوجل اذ انها سبب النجاة من كل سوء وفى التقوى  
افردت فصلا كاملا .

٢- عدم التفرق والخروج على الحاكم لئلا يودى ذلك الى الفتنة فى  
الدين وانتشار الفتن بين طوائف المسلمين .

٣- التمسك بسنته صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين وعدم  
الخروج عنها .

٤- عدم اتباع المحدثات وما ابتدع فى الدين لانه يودى الى الفتن

(١) نزهة المتقين ص ٤٣٨ وانظر فتح المبين ص ١٠٩ مرجع سابق .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .

والخروج على الاسلام والمسلمين ولذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث ( كل محدثة بدعة ) (١) .

قال الخطابى : ( خاص فى بعض الامور دون بعض وكل شىء احدث على غير اصل من اصول الدين وعلى غير عياره وقياسه فهو البدعة والضلال ) (٢)

فهذا الحديث بمنطوقه يدل على ان كل عمل ليس عليه امر الشرع فهو مردود ويبدل بمفهومه على ان كل عمل عليه امره فهو غير مردود والمراد بامرته ههنا دينه وشرعه - فإى عمل خارج عن الشرع ليس متقيدا بالشرع فهو مردود .

فينبغي ان تكون اعمال العاملين كلهم ينبغي ان تكون تحت احكام الشريعة فتكون احكام الشريعة موافقا لها فهو مقبول ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود .

واما من عمل عملا اصله مشروع وقربه ثم ادخل فيه ما ليس بمشروع فهذا ايضا مخالفا للشريعة بقدر اخلاله بما اخل به او ادخاله ما ادخل فيه ) (٣)

ولقد كان ائمة الاسلام الاولون حريصين على تتبع البدع ومصادرتها ولنا بهم اسوة حسنة اذ الواجب تتبع البدع فى الاعتقاد خاصة وفى العبادات ومحاوله ازالتها بجميع الوسائل الممكنة وقد تعرضت الى ذلك فى فصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) سبق تخريجه ص ٢٢٧ .

(٢) سنن ابى داود ص ١٤ ج ٥ بشرح الخطابى مرجع سابق .

(٣) ص ١٤٤ جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع

## الحديث الثالث :-

عن عبد الله بن عمر (١) يقول سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( إِنْ لَمْ يَنْزَعِ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أُعْطَاهُمُوهُ إِنْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَنْتِزَعَهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ يَعْلَمُهُمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ يَسْتَفْتُونَ فَيُفْتُونَ فَيُضِلُّونَ وَيُضَلُّونَ ) (٢)

قال النووي : ( ومعنى الحديث انه يموت حملة العلم ويتخذ الناس

جهالا يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون ) (٣)

وعلى هذا فمن اسباب البدع انتشار الجهل وقلة العلم فاذا رفع العلم افتى الناس بغير العلم فكانوا سببا لضلال الناس وانتشار الجهل ومن الحديث يظهر لنا مكانة العلم والعلماء وعلو منزلتهم وفضلهم كما قال الله تعالى : ( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ) . (٤)

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه احد من هاجر هو وابوه قبل الفتح وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضلهم عن ولده وكان صواما قواما كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا توفى بمصر سنة خمس وستين تذكره الحفاظ ج ١ ص ٤١ - ٤٢ - وانظر ايضا تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٣٧ .

(٢) اخرجه البخارى واللفظ له كتاب الاعتصام باب ما يذكر فى ذم الراى ج ٩ ص ١٢٢ وكتاب العلم كيف يقبض العلم ج ١ ص ٣٦ - واخرجه مسلم كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان ج ١٦ ص ٢٢٣ - واخرجه الترمذى كتاب العلم باب ما جاء فى ذهاب العلم ج ٥ ص ٣١ حديث ٢٦٥٢ - واخرجه ابن ماجه مقدمه اجتناب الراى والقياس ج ١ ص ٣١ واخرجه احمد ج ٢ ص ١٦٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٢٢٤ .

(٤) سورة المجادلة آية : ١١ .



## الحديث الرابع :-

عن أبى سعيد الخدرى قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة (١) التميمى فقال اعدل يا رسول الله فقال : ( وَيَلِّكَ وَمَنْ يَعْدِلْ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرَبُ عَنْقَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْتَقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَمْزُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْزُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ) (٢) ثم ساق الحديث بتمامه .

## الحديث الخامس :-

وعن أبى سلمه وعطاء بن يسار انهما اتيا ابا سعيد الخدرى فسألاه عن الحرورية (٣) هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها قال لا أدري من الحرورية ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ( ولم يقل منها قوم تحقرون صلاتكم ومع صلاتهم فيقرون القرآن لا يجاوز طوقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله (٤) إلى رصافه (٥)

(١) ذو الخويصرة التميمى : هو أول خارجى خرج فى الاسلام - وأفته انه رضى برىء نفسه ولو وقف لعلم انه لا رأى فوق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه هم الذين قاتلوا على بن أبى طالب كرم الله وجهه . تلبيس ابليس ص ٩٠ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٣٤ .

(٣) الحرورية : طائفة من الخوارج نسبوا الى حروراء موضع بقرب الكرمه النهاية لابن الاثير ج١ ص ٣٣٦ - ج٧ ص ١٦٤ شرح النووى على صحيح مسلم

(٤) النصل : هو حديدة السهم .

(٥) الرصافى : مدخل النصل من السهم

صحيح مسلم بشرح النووى ج ٧ ص ١٦٥ ..

فَيْتَمَارَى فِي الْفِرْقَةِ هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنْ الدَّمِ شَيْءٌ (١) .

نقل النووى قول المازرى فى قوله يخرج فى هذه الامة ولم يقل منها .

هذا دليل ان لفظة (من) تقتضى كونهم من الامة لا كفار .

وقال النووى والصحيح عدم تكفيرهم (٢)

وعلى هذا فمعنى الحديث انه فى اهل البدع فما تجاوزا فيه ما

شرح لهم من عبادات كان بدعا وان اجتهدوا فيه واجهدوا انفسهم فى

كثرة الصلاة والقراءة فانه غير مقبول منهم فقال صلى الله عليه

وسلم فى الحديث : (فيقرؤن القرآن لا يجاوز طوقهم او حناجرهم ) .

١ - ان المراد لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما تلاوا منه ولا لهم حظ

سوى تلاوة الفم والحجارة والحق ) . (٣)

٢ - وقيل لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يتقبل منهم . (٤)

الحديث السادس :-

عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال " تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ

وَتَفَرَّقَتِ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً " (٥)

( والفرق فيها عند اكثر اهل العلم فرق اهل البدع ) (٦)

(١) اخرجه مسلم كتاب الزكاة باب اعطاء المؤلفه ومن يخاف على

ايمانه ج ٧ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ج ٦ ص ١٦٤ .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ج ٧ ص ١٥٩ .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووى ج ٨ ص ١٥٩ .

(٥) اخرجه الترمذى فى كتاب الايمات حديث ٢٦٤٠ باب افتراق هذه الامة

وقال حديث حسن صحيح ج ٥ ص ٢٥ واخرجه ابن ماجه فى الفتن حديث

٣٩٩١ افتراق الامة ج ٢ ص ١٣٢١ واخرجه ابو داود باب شرح السنة

كتاب السنة حديث ٤٥٩٦ ج ٤ ص ١٩٧ .

(٦) الاعتصام ج ١ ص ٦٣ .

وهذه الفرق كلها غير خارجه عن الدين (١)

### الحديث السابع :-

عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
( الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ وَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ أَوْى  
مُحَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ) (٢)

هذا الحديث فى سياق العموم فيشمل كل حدث أحدث فيها مما ينافى  
الشرع والبدع من اقبح الحدث وان كان مختصا بالمدينة فغيرها ايضا  
يدخل فى المعنى (٣)

### الحديث الثامن :-

عن عبد الله قال (٤): أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنُ الْهُدَى هُدَى  
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَإِنْ كُلُّ مَا تَوَعَّدُونَ لِاتِّ  
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ) (٥)  
الحديث التاسع :-

من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ  
دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ  
أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ

(١) شرح الخطابى على سنن ابو داود ج٥ ص ٥ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢٨ .

(٣) الاعتصام ج ١ ص ٧٢ .

(٤) عبد الله هو ابن مسعود ج ١٠ ص ٥١١ فتح البارى ج ١٣ ص ٢٥٣ .

(٥) اخرجه البخارى كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقوله تعالى : ( وجعلنا للمتقين اماما ) ج ٩

يَتَّبِعُهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا (١)

فهذه الأحاديث فيض من غيض من الأحاديث التي تنهى عن البدع وتحارب أصحابها مما تنفر منه نفس المؤمن التقى اذ يشمل هذا التفسير على ما يلى :-

- ١ - رد كل ما أحدث في الدين .
  - ٢ - وصف العمل الخارج عن الشرع بأنه ضلالة .
  - ٣ - ان انتشار البدع دلالة للجهل بالعلم والدين .
  - ٤ - ان اجتهد المبتدع وبالغ في العبادة بما هو ليس من المشروع فعمله مردود عليه وعلى صاحبه فلا يقبل منه شيء ابدا .
  - ٥ - ان الخير يتعدى كما ان الشر يتعدى فمن دعا الى ضلالة وبدعه ناله عذاب الله وكذلك كل من عمل بعده بهذه الضلالة لصاحبها الأول كفلا من العذاب لانه هو مبتدعها والداعى لها .
- وقد وردت النقول عن السلف الصالح فى النهى عن البدع ومصادرتها وتتبعها ولنا بهم الاسوة الحسنة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي ) (٢)

فهذا الحديث فيه الحث على التأسى بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكون لنا دافعا لنقل اقوالهم والتي تحث على عدم الابتداع بالدين وتنتهى عن البدع فى الاقوال او الافعال .

(١) اخرجه مسلم كتاب العلم باب من سن سنة حسنة او سيئة ج ١٦ ص ٢٢٧ - واخرجه ابو داود كتاب السنة باب لزوم السنة ج ٤ ص ٢٠١ حديث رقم ٤٦٠٩ - واخرجه الترمذى كتاب العلم باب ما جاء فيمن دعا الى هدى فاتبع او الى ضلالة حديث رقم ٢٦٧٤ ج ٥ ص ٤٣ - واخرجه ابن ماجه مقدمه باب من سن سنة حسنة او سيئة حديث ٢٠٦ ج ١ ص ٧٥ .

(٢) سبق تخريجه وكتابته كاملا ص ٢٤٠ .

الضابط الثالث : النهى عن البدع فى اقوال الصحابة والتابعين :-

١ - وفى الصحيح عن حذيفة رضى الله عنه قال ( يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ) (١) هذا وان كان الخطاب للقراء خاصة الا انه يدخل فى العموم جميع انواع العبادات سواء كانت قراء او صلاة او غيرها مما يتقرب به الى الله .

٢ - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

١ - ( اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم )

ب - وعن ابي بكر الصديق رضى الله عنه قال : ( لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ بِإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَرْيَغُ ) (٢)

هذا ابو بكر يخشى على نفسه الوقوع بالضلالة والزيغ عن طريق الحق .  
ومن آثار التابعين فى النهى عن البدع :

٤ - نقل ابن وضاح عن الحسن قال صاحب البدعة لا يزداد اجتهادا صياما وصلاة الا ازداد من الله بعدا .

٥ - وعن الفضيل بن عياض (٣) اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين واياك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين . (٤)

(١) أخرجه البخارى كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنتى الرسول صلى الله عليه وسلم ج ٩ ص ١١٥ .

(٢) الاعتصام ص ٨٠ ج ١ .

(٣) الفضل بن عياض : الامام القدوة شيخ الاسلام ابو على التميمي

شيخ الحرم قال ابن المبارك ما بقى على ظهر الارض افضل من الفضيل وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً كثيراً الحديث قال النسائى ثقة وقال عبد الصمد بن مردويه سمعت الفضيل يقول من جلس

مع صاحب بدعه لم يعط الحكمة . وتوفى يوم عاشوراء سنة سبع

وثمانين ومائة ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ - تذكرة الحفاظ للذهبي .

(٤) الاعتصام ج ١ ص ٩٩ الطبقات لابن سعد ج ٥ ص ٥٠٠

٦ - وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان يكتب فى كتبه : ( انى احذركم ما مالت اليه الاهواء والزيغ البعيدة ) .

٧ - وكان ابراهيم التميمي يقول : ( اللهم اعصمنى بدينك وسنة نبيك من الاختلاق فى الحق ومن اتباع الهوى ومن سبيل الضلالة ومن شبهات الامور . ومن الزيغ والخصومات ) (١)

بهذا كله نهى عن البدع واتباعها وبيان سوء منقلب صاحبها لانه اتبع الهوى واتباع الهوى مذموم ( وهو المبنى على غير اساس والمستند الى غير اصل من كتاب ولا سنة ولكنه وجه تشريعى فصار نوعا من الابتداع بل هو الجنس منها فان جميع البدع انما هى راي على غير اصل ولذلك وصف بوصف الضلال (٢) .

فالراى المذموم ما بنى على الجهل واتباع الهوى من غير ان يرجع اليه وما كان معه ذريعه اليه وان كان فى اصله محمودا وذلك راجع الى اصل شرعى فالقول داخل تحت حد البدعة وتتنزل عليه ادلة الذم. الثانى خارج عنه ولا يكون بدعة ابدا . (٣)

### الضابط الرابع :- العقل

والعقل السليم يرفض الابتداع لانه يعلم انه قاصر عن مواجهة الحق ( فالعقول لا تستقل بادراك مصالحها دون الوحي فالابتداع مضاد لهذا الاصل لانه ليس له مستند شرعى بالفرض فلا يبقى الا ما ادعوه من العقل فالمبتدع ليس على ثقة من بدعته ان ينال بسبب العمل بها ما دام تحصيله من جهتها فصارت كالعيبث ) (٤)

ثم ان المبتدع محمول قوله بلسانه حالة او مقالة ان الشريعة لم تتم وانه بقى منها اشياء يجب او يستحب استدراكها لانه لو كان

(١) الاعتصام ج ١ ص ٩٩

(٢) الاعتصام ج ١ ص ١٠٦ بتصرف .

(٣) الاعتصام ج ١ ص ١٠٦ .

(٤) الاعتصام ج ١ ص ٤٧ .

معتقد لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم والعقل لا يمكن أن يصل الى درجة التشريع فالمصالح الاخروية لا يستطيع العقل ان يشعر بها على الجملة فضلا عن العلم بها على التفصيل .

واما المصالح الدنيوية فلا يستقل باستدراكها على التفصيل البتة لا فى ابتداء وضعها اولا ولا فى استدراك ما عسى ان يعرض فى طريقها اما فى السوابق واما فى اللواحق لان وضعها اولا لم يكن الا بتعليم الله تعالى . (١)

والعقل لا يتنافى مع الحق فمقياس الامور العقل المتجرد عن الهوى . ولكن قد يكون مؤثرات خارجية تغير تفكير العقل او مؤثرات داخلية كالعقيدة لها دور عظيم فى التغيير . ثم ان العقل السليم يزن الامور الحاضرة وليست المستقبلية لقصور علمه ونشير الى الملائكة المقربون اذ قالوا ( اَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ . قَالَ اِنِّىْ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) (٢)

مما يدل على عدم ادراك العقل الملائكى او البشرى للامور المستقبلية والتي تكون فى علم الغيب .

( والمبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهى للشرع حيث شرع مع الشارع وفتح بابا للاختلاف ) (٣) بين المسلمين مما يكون سببا للفتن بينهم وضياع دينهم .

( ان المبتدع معاند للشرع ومشاق له لان الشارع قد عين المطالب للعبد طرقا خاصة على وجوه خاصة وقصر الخلق عليها بالامر والنهى والوعد والوعيد واخبر ان الخير فيها وان الشر فى تحديدها الى غير ذلك ) (٤)

فقد شرع لنا ووضع لنا الدوافع للالتزام بمنهج الله عزوجل ومن الرضى والقبول والقرب من الله ونيل الجنة وما فيها وجعل الضوابط

(١) الاعتصام بتصرف ج ١ ص ٤٧ . وانظر ايضا ليس من الاسلام ص ١٥١

(٢) سورة البقرة آية : ٣٠ .

(٣) الاعتصام ص ٥١ ج ١ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٤٩ .

من النهى والوعد والوعيد والاختبار عن النار وما فيها من شديد العذاب فالابتداع اتباع للهوى لأن العقل اذ لم يكن متبعاً للشرع لم

يبقى له الا الهوى والشهوة واتباع الهوى ضلال مبين (١)  
 قال تعالى: ( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ) (٢)  
 دوافع الابتداع :-

---

الدافع الاول : المضاهاة للسنة :

---

( ثم ان صاحب البدعة انما يخترعها ليضاهى بها السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير او تكون هي مما تلبس عليه السنة ) (٣)  
 فاذا نستطيع القول ان العمل اذا كان الدافع له هو مضاهاة الشريعة فهو محرم وهو عين الابتداع فى الدين والعياذ بالله .  
 الدافع الثانى : حب الظهور

---

ومن الدوافع للابتداع حب الظهور فان ابتدع بدعه واظهرها للناس اغتر بكثرة السالكين لها والهالكين فى اتباعه طريقها كما اشار الى ذلك الفضيل بن عياض . (٤)  
 الدافع الثالث : حب التجديد :

---

( فقد تملق وتسام من الدوام على العبادات الرتيبة فاذا جدد لها امر لا تعهده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها من البقاء على الامر الاول ) (٥)

ومن المعلوم ان النفس تسام وتميل الى كل جديد لذا لقت البدع انتشاراً فى كثير من المجتمعات الاسلامية .

---

(١) الاعتصام ج ١ ص ٥١ .

(٢) سورة القصص آية : ٥٠ .

(٣) الاعتصام ج ١ ص ٤١ وانظر ص ١٧ تلبيس ابليس .

(٤) انظر ص ٢٥٣ .

(٥) الاعتصام ص ٤١ ج ١ .



الدافع الرابع : ويشمل هذا الدافع ثلاثة اسباب للابتداع :-

- ١ - الجهل بمصادر الأحكام أو الجهل بوسائل فهمها من تلك المصادر .
  - ٢ - متابعة الهوى فى استنباط الأحكام .
  - ٣ - حسن الظن بالعقل فى الشرعيات .
- (١) فالجهل بمصادر الأحكام الشرعية يشمل :

الكتاب - والسنة وما الحق بها من الاجماع والقياس .

ومصادر الخلل الناشئة عن السبب الأول بشقيه فهى ترجع الى امور اربعة :

- ١ - الجهل بأساليب اللغة العربية .
- ٢ - الجهل بالسنة .
- ٣ - الجهل بمرتبة القياس .
- ٤ - الجهل بمحل القياس (١)

فالدافع للابتداع هو مطلق الجهل وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم عن عمر بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فاستلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا ) (٢)

فهذا الحديث فى مطلق الجهل ايا كان سببه سوء الجهل بالكتاب او السنة او ما يلحق بهما .

(٢) هو متابعة الهوى فى استنباط الأحكام ومتابعة الهوى هى اصل الزيغ عن صراط الله المستقيم (٣) قال تعالى : ( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ) (٤) وقد ورد فى الحديث الصحيح ذم تابع

(١) ليس من الاسلام ص ١٤٨ مرجع سابق

(٢) سبق تخريجه واللفظ لمسلم . ص ٢٤٧.

(٣) ليس من الاسلام ص ١٥١ بتصرف .

(٤) سورة القصص آية : ٥٠ .

الهوى فقال صلى الله عليه وسلم • لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ  
تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِم ( ١ )

ففى هذا الحديث نفى صفة الايمان عن جعل الهوى هو المتبع وترك  
الاتباع المحض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون الدافع  
لاتباع الاهواء هو نيل المال والتقرب الى اولى الجاه والسلطان .  
وقد ذم الله عزوجل من كان هذا هدفه فقال تعالى : ( وَلَا تَشْتَرُوا  
بِأَيَّاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا  
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) ( ٢ )

٣ - تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات فان الله جعل للعقول حد تنتهى  
فى الادراك اليه ولم يجعل لها سبيلا الى ادراك كل شىء ومن  
الاشياء ما لا يصل العقل اليه بحال من الاحوال . وهى مع هذا  
القصور الذاتى لا تكاد تتفق فى فهم الحقائق التى جعل لها  
امكان ادراكها فان قوى الادراك ووسائله تختلف اختلافا كثيرا  
ولهذا كان لا بد من ارسال الرسل المؤيدين من الله العليم (٣) .

فاذن يمكن ان نقول ان الدوافع للابتداع تكمن فى ثلاثة اسباب وهى  
مطلق الجهل واتباع الهوى وتحسين الظن بالعقل وعلى هذا فيمكن ان  
نعالج هذه الاسباب الثلاثة بنشر العلم كضابط للحد من الجهل .  
وبالتالى فالعلم يبين للمسلم الضرر من اتباع الهوى والنهى عن  
اتباعه وذم الكتاب والسنة للهوى ومتبعه وايضا يمكن بالعلم تحديد  
قيمة العقل والدرجة التى يصل اليها فلا يرفع من قيمة العقل فوق ما  
هو اهل له وهكذا يمكن ان يكون العلم ضابطا لمحاربة البدع والقضاء  
عليها .

(١) رواه ابى حجر الهيثمى وقال حديث صحيح رويناه فى كتاب الحجة -  
وقال اخرجه الحافظ ابو نعيم فى كتابه الاربعين والطبرانى فى  
مسنده فتح المبين لابن حجر الهيثمى ص ٢٧٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٤١ - ٤٢ .

(٣) ليس من الاسلام ص ١٥١

## ذم جميع البدع :

وعلى هذا يتعين ذم جميع البدع فقد ذهب كثير من محققي العلماء الى ان كل بدعة فى الدين صغيرة كانت او كبيرة فهي محرمة (١) وذلك للأسباب التالية :-

اولا : ان جميع الأدلة التى وردت فى البدع هى فى ذمها جميعا فلم يقع فيها استثناء البتة .

ثانيا : انه ثبت فى الأصول العلمية ان كل قاعدة كلية او دليل شرعى كلى اذا تكرر فى مواقع كثيرة ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص

فان هذا دليل على بقائها على مقتضى لفظها العام (٢) فقولہ صلى الله عليه وسلم : ( إِنْ كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ) (وَأَنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ) وما كان نحو ذلك من العبارات الدالة على ان البدع مذمومة ولم يرد حديث يقيد ولا يخص قول ذلك فدلالة واضحة على انها على عمومها واطلاقها .

ثالثا : اجمع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن عليهم على ذم البدع وتقبيحها والهروب عنها وعن اتسم بشيء منها .

رابعا : ان كل راسخ لا يبتدع ابدا وانما الابتداع ممن لم يتمكن من

العلم الذى ابتدع فيه حسبما دل عليه (٣) قوله صلى الله عليه وسلم ( إِنْ أَلَّهَ لَا يَنْزَعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ ) انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بَعْلِمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ يَسْتَفْتُونَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيُضَلُّونَ (٤)

(١) الاعتصام ص ١٤٤ ج ١ مرجع سابق .

(٢) الاعتصام ج ١ ص ١٤٠ - وانظر ايضا الفتاوى ج ١٠ ص ٣٧٠ . مرجع سابق .

(٣) الفتاوى ج ١٠ ص ٣٧٠ . والاعتصام ج ١ ص ١٤٠ بتصرف .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٤٢ .

## كيف نعالج البدعة :-

البدعة جرثومة المجتمع الاسلامى ولا بد من محاربتها والبحث عن العلاج الفعال للقضاء على البدع ومبتدعيها ويمكن ان نعالج البدع بعدة وسائل تكون ضابطة للفرد من الداخل ومن الخارج عن الابتداء فى الدين .

١ ) فانتشار العلم وتعليم الجهلة ينير عقول اولئك المبتدعه ويكون رادعا لهم عن السير وراء أهوائهم وشهواتهم .

٢ ) ويمكن ايضا أن نحارب البدع بواسطة غرس العقيدة فى النفوس وتقوية الايمان بالله مما يهون امامه وفى اتجاهه كل ملاذ الدنيا وزينتها والتي كانت سببا لانتشار البدع . فالتقوى ضابط لسلوك الفرد فى خلوته وهى التى تمنعه من ارتكاب المحرمات .

٣ ) ويمكن ايضا أن نحارب البدع بواسطة محاربة مبتدعيها :

١- الهجران وترك الكلام والسلام وترك عيادة مرضاهم وهو من باب الزجر والعقوبة . ويمكن ان يكون معه الضرب والسجن كما سجن الحلاج قبل قتله سنين عديده والهجر او التقريب والسجن كلها ضوابط تمنع الفرد من الانطلاق وراء الشهوات والاهواء .

## قصة الحلاج :-

عن محمد بن يحيى الرازى قال سمعت عمر بن عثمان يلعن الحلاج ويقول لو قدرت عليه لقتلته فقلت بأى شيء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عزوجل فقال يمكننى ان اقول وأؤلف مثله واتكلم به .

قال المصنف اتفق علماء العصر على اباحة دم الحلاج فأول من قال انه حلال الدم ابو عمر القاضى ووافقه العلماء . (١)

(١) تلبيس ابليس / للحافظ جمال الدين ابى الفرج عبد الرحمن ابن

ب - ذكرهم بما هم عليه واشاعه بدعتهم كي يحذروا ولثلايغتر

بكلامهم كما جاء عن كثير من السلف في ذلك .

ج - القتال اذا ناصبوا المسلمين وخرجوا عليهم كما قاتل

على رضى الله عنه الخوارج وغيره من خلفاء المسلمين .

القتل لمن اظهر بدعته ولم يرجع عنها بعد استتابته .

واما من اسرها وكانت كفرا او ما يرجع اليه فالقتل بلا

استتابه لانها من باب النفاق كالزنادقه .

ء - تجريحهم على الجملة فلا تقبل شهادتهم ولا روايتهم ولا

ينصبون في مناصب العدالة من امامة او خطابه (١)

هـ - التذكير لكي يرجع المبتدع عن بدعته ومحاولة تذكيره

بدين الله والتقرب منه لقوله تعالى : ( فَذَكَرْ فَإِنَّ

الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ) (١) فبالذكرى تنقش تلك

الغمامة من الجهل والنسيان ليعود المؤمن الى ايمانه

ويرتدع عن بدعته : (فان البدع تستدرج بصغيرها الى

كبيرها حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة

من العجين فمفاسد البدع لا يقف عليها الا ارباب

البصائر والعميان ظالون في ظلمة العمر ) (٢) (وَمَنْ لَّمْ

يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ) (٣)

٤ - ومن وسائل معالجة البدع الاقتداء بالصحابة والتابعين في

محاربة البدعة والزجر عنها ( قال الشيخ ابو الفرج رحمه الله

قد بينا ان القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وان لم يكن بها

بأس لثلا يحدثوا ما لم يكن ) (٤)

(١) الاعتصام ص ١٦٧ ح ١ مرجع سابق بتصرف .

(١) سورة الذاريات آية ٥٥

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ٢٤٥ مرجع سابق .

(٣) سورة النور آية : ٤٠

(٤) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٦ مرجع سابق .

وانما وقعت البدع فى اواخر عهد الصحابة كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال ( مَنْ يَعِشْ بَعْدِي فَسِيرَى اِخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي ) (١) ومعلوم انه اذا استقام ولاة الامور الذين يحكمون فى النفوس والاموال استقام عامة الناس كما قال ابو بكر الصديق (٢) فيما رواه البخارى فى صحيحه للمرأة الاحمسية (٣) لما سألته فقالت " مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الصَّالِحِ؟ (قال ما استقامت بكم أئمتكم) (٤) **خطر البدعة :**

فيما سبق تبين لنا خطورة البدعه وخطورة انتشارها فى المجتمع الاسلامى وخطرها<sup>على</sup> الفرد حتى قال العلماء ان انتشار البدعة احب الى ابليس من المعصية للأسباب التالية :

- ١ - لمناقضتها للدين .
- ٢ - ودفعها لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .
- ٣ - صاحبها لا يتوب منها ولا يرجع عنها بل يدعو الخلق اليها . (٥)
- ٤ - ( بمعنى انه لا يتوب منها لانه يحسب انه على هدى ولو تاب لتاب عليه كما يتوب على الكافر ) (٦) ( فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى من الجهل بطرق السنة توهم ان ما ظهر له بعقله هو

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٠ .

(٢) الفتاوى ج ١٠ ص ٣٥٦

(٣) الاحمسيه : امرأة من احمس قبيلة من بجيلة اسمها زينب بنت المهاجر نذرت ان تحج صامته فأمرها ابو بكر بالكلام وسألها هذا السؤال - فتح البارى ج ٧ ص ١٥٠ .

(٤) أخرجه البخارى كتاب مناقب الانصار باب ايام الجاهلين ج ٥ ص ٥٢

(٥) مدارج السالكين ص ٣٤٥ ج ١ مرجع سابق .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ج ١١ ص ٦٨٤ - ٦٨٥ .

- الطريق القويم دون غيره فمضى عليه فحاد بسببه عن الطريق المستقيم (١) .
- ٥ - ولتضمنها القول على الله بلا علم .
- ٦ - معاداة صريح السنة ومعاداة أهلها والاجتهاد على اطفاء نور السنة . وتولييه من عزله الله وعزل من ولاه الله ورسوله .
- ٧ - تكذيب الصادق وتصديق الكاذب .
- ٨ - قلب الحقائق يجعل الحق باطلا والباطل حقا والاحاد فى دين الله وتعميه الحق على القلوب . وفتح باب تبديل الدين جملة . (٢)

هكذا ظهر لنا خطورة البدعة على المجتمع الاسلامى وكيف حارب الاسلام البدع ونبيه الى خطرها وحذر منها ليكون توجيهه صلى الله عليه وسلم لأمته وتنبيهه على البدع وخطر انتشارها ضابطا للمجتمع بأسره من الوقوع فى البدع .

---

(١) الاعتصام مرجع سابق ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ٢٤٥ .

## الفصل الخامس

### مراقبة الله عز وجل



## الفصل الخامس :-

## مراقبة الله

\*\*\*\*\*

ان المراقبة ضابط لسلوك الفرد فالفرد قد يشعر بالوحدة وانه لا رقيب عليه ولا حسيب وبالتالي ينطلق وراء شهواته ورغباته فينفذ ما يستطيع تنفيذه منها الا ان يكون لديه مؤثرات داخلية تحد من هذه الرغبة وهذه الانطلاقه فيعلم ان الله معه وانه محيط به ابد الدهر ولا يمكن ان ينفرد بنفسه كما قال الله تعالى : ( وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ) (١) ولذا فقد جاء في الحديث الصحيح فقد روى البخارى فى صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : ( كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس فاتاه جبريل فقال : ما الإيمان قال : الإيمان ان تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال : ما الإسلام قال : الإسلام ان تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال : ما الإحسان قال : ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ثم ساق الحديث بتمامه ) (٢) قال النووى فى هذا الحديث : ( هذا من جوامع الكلم التى اوتيتها صلى الله عليه وسلم وتلخيص معناه ان تعبد الله عبادة من يرى الله تعالى ويراه الله تعالى فانه لم يترك شيئا من الخضوع والاخلاص وحفظ القلب والجوارح ومراعاة الادب ما دام فى عبادته ) (٣) وهذا الحديث يشتمل على :-

الايمان بالغيب كالايمان بالله وملائكته وبلقائه وبالبعث . وهذه امور غيبية تحتاج الى التصديق والايمان بالله عزوجل فاذا وقر بالقلب هذا الايمان وهذا التصديق كان ذلك للعمل بمقتضى ذلك التصديق وهو الاستسلام للحق جل وعلا واتباع اوامره التى جاء بها

(١) سورة الحديد آية : ٤ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب الايمان - باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة ج ١ ص ١٩ - ٢٠ . واخرجه مسلم كتاب الايمان باب امارات الساعة ج ١ ص ١٥٧ بشرح النووى .

رسله عليهم السلام . ولذا جاءت مرتبة السؤال عن الاسلام عقب مرتبة السؤال عن الايمان فاذا حصل الاستسلام لله عزوجل كان ذلك دافعا لاقامة الفرائض من صوم وصلاة وحج وزكاة وما يتبعها من نوافل ولكن هذه الفرائض وهذه النوافل والايمان بالله لا بد ان يكون عن اخلاص لله وحده يخلو من الرياء او السمعة او ارتكاب الذنب خلسه وخفيه . ولهذا شرط الايمان بالله ان يخلص العمل له وحده دون سواه وبالتالي لا يعصيه خفية ولا جهرة ويكون مراقبا لنفسه في الخفية ولذا كان السؤال عن الاحسان . فكان الجواب ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك هذا محض الاخلاص في العبادة لله عزوجل سرا وجهرا لانه لا يخفى عليه خافية في السماء ولا في الارض .

**الاحسان في اللغة :**

الاحسان ضد الاساءة ورجل محسن ومحسان .

وفسره النبي صلى الله عليه وسلم حين سألته جبريل فقال : ( هو ان تعبد الله كأنك تراه وهو تاويل قوله تعالى : ( **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** ) ( ١ ) - واراد بالاحسان الاخلاص وهو شرط في صحة الايمان والاسلام معا .

وقد اراد بالاحسان الاشارة الى المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله أحسن عمله ولذا اشار اليه في الحديث فان لم تكن تراه فانه يراك ( ٢ )

الاحسان : مصدر حسن من الحسن وهو ضد القبح ( ٣ ) وهو مصدر احسنت كذا او في كذا اذا احسنته واكملته متعديا بهمزة من حسن كذا او بحرف الجر كاحسنت اليه اذا فعلت معه ما يحسن فعله والمراد هنا الاول .

- 
- (١) سورة النحل آية : ٩٠ . .  
 (٢) لسان العرب ج ١٣ ص ١١٧ .  
 (٣) عمدة القارئ ج ١ ص ٢٨٥ .

## الاحسان فى الشرع :

١ ) اذ حاصله راجع الى اتقان العبادات بأدائها على وجهها المأمور به مع رعاية حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله ابتداء واستمرارا . (١)

٢ ) الاحسان اسم جامع نبوى يجمع ابواب الحقائق وهو ان تعبد الله كأنك تراه (٢) .

٣ ) وقيل هو اتقان العبادات بأدائها على وجهها المأمور به مع رعاية حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله (٣) .

٤ ) ومن تعريف الاحسان شرعا دل على أنه استحضار جلالة الله عزوجل فى كل خطوة وجهرة - لأن الاحسان هو ان يعبد المؤمن ربه فى الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر اليه فى حال عبادته (٤) .

وهذه حال المراقبة والاخلاص لله عزوجل فان هم بمعصية راقب الله فكان ذلك دافعا لانضباط سلوكه واقلاعه عن معصيته وان هم بطاعة راقب الله فكان ذلك دافعا الى تحسين العمل لله عزوجل وخلوصه من الرياء والشرك ليتوجه به الى الله وحده لا يرجو الا اياه عزوجل . " وهذا يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ويوجب النصح فى العبادة وبذل الجهد فى تحسينها واتمامها واكمالها . (٥)

(١) الفتح المبين لشرح الأربيعين للعلامة أحمد بن حجر الهيثمى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ وفى حاشية الشيخ حسن المدابغى ج ١ ص ٧٩ .

(٢) منازل السائرين - ص ٦٠ " مرجع سابق " .

(٣) الفتح المبين - ص ٧٩ - ج ١ مرجع سابق .

(٤) جامع العلوم والحكم فى شرع خمسين حديثا من جوامع الكلم ج ١ ص ٨٢

(٥) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٨٢ .

ولذا فقد ورد على لسانه صلى الله عليه وسلم تفسير الاحسان بقوله ان تعبد الله كأنك تراه .

" من عبد اطاع والتعبد التنسك والعبودية الخضوع والذل (كأنك تراه) هذا من جوامع الكلم لانه جمع مع وجازته بيان مراقبة العبد ربه فى تمام الخضوع وغيرها فى جميع الأحوال والاخلاص له فى جميع الاعمال والحث عليه " (١)

فعلمه صلى الله عليه وسلم ببواطن النفس الانسانية وخفاياها جعلته ينطق بالحق واليقين وهذا ظاهر ملموس فان الانسان اذا كان ناظرا الى ملك من ملوك الدنيا هو يقوم بعمله احسنه واتقنه وان غفل عنه لم يصل الى تلك الدرجة من الاتقان والعبادات احوج ما تكون الى الاخلاص لله عزوجل لتقبل لان الله لا يقبل من العمل الا الخالص له دون سواه ولذا فى الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى : ( اَنَا اَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا اشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشِرْكُهُ ) (٢) وهذا ما كان الباعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول هذا الحديث حتى يكون سلوك الفرد وعمله ودوافع هذا العمل متجها بها لله خالصة لوجهه جل وعلا لتقبل منه ولذا فشرط قبول العمل الاخلاص لله عزوجل فقوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كأنك تراه " فيه حث على اخلاص العمل لله :-

هذا الحديث يشمل على عدة ضوابط ودوافع :-

(١) ضابط فى المعاصى :

( فالمعاصى على جميع انواعها فان العبد مأمور بان يعلم ان الله يراه ) (٣) فاذا هم بمعصية ورجع عنها فالدافع هنا للامتناع عن

(١) الفتح المبين شرح الأربعين ج ١ ص ٨٩ مرجع سابق .

(٢) رواه مسلم كتاب الزهد باب تحريم الرياء ج ١٨ ص ١١٥ صحيح

مسلم بشرح النووى .

(٣) عمدة القارى ص ٢٨٥ - دار الفكر .

المعصية ايمانه بان الله محيط به وهو معه اينما كان ومطلع عليه وبالتالي كان الدافع ضابطا لسلوك الفرد عن الوقوع بالمعاصي ودافعا له للجوء الى الله والاقلاع عن المعصية والاتجاه الى التوبة ولكن قد يقع الفرد في المعصية فاما لنسيان اولجهل بمعصية الله تعالى ( ٢ ) دافع الى الطاعات :

( فهي ان تعلم ان الله تعالى موجود وحق وتبرهن عنده انه يراه لا محاله (١) فالطاعات تحتاج الى الاخلاص وخصوص العمل من الشرك والرياء ليتجه بعمله خالصا لله عزوجل . فالايمن بالله واستشعار مخافته دافع الى تحسين العبادة وتجميلها وتقديمها على احسن وجه فان من استحضر مراقبة الله له اخلص له العبادة واستحى ان يدخلها الخلل .

( ٣ ) دافع الى النوافل :

( فاذا ايقن العبد معية الله عزوجل وعنده على اساس كانه يرى الله اكثر من هذه النوافل فكان هذا الايمان دافعا له للتماس رضى الرب والتقرب اليه والبعد عن المنكرات والتقرب اليه بالطاعات .

( ٤ ) دافع الى الايمان بعلم الغيب :

( فان العبد اذا فكر في امور الآخرة من موت وقبر وحشر وعرض وحساب وغير ذلك وعلم انه معروض على الله تعالى في ذلك العالم ومواطنه تهيأ لذلك العرض فيتزين للآخرة بزيينة اهل الآخرة ما استطاع (٢) فكان هذا الايمان دافعا للاستزادة من العمل الصالح

(١) عمدة القارى ص ٢٨٥ - دار الفكر .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٨ .

والتقرب من الله عزوجل وضابطا أيضا لسلوكه فلا يلتفت الى معصية وهو يعلم العاقبة في الآخرة .

ويشير قوله صلى الله عليه وسلم ( فَإِنَّ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يُرَاكَ ) الى انه ينبغي للعبد ان يكون حالة مع فرض عدم عيانه لربه تعالى كهو مع عيانه لانه تعالى مطلع عليه في الحالين اذ هو قائم على كل نفس بما كسب مشاهد لكل احد من خلقه في حركته وسكونه فكما انه لا يقدم على تقصير في الحال الاول كذلك ينبغي له ان لا يقدم عليه في الحال الثانى لما تقرر من استوائهما بالنسبة الى اطلاع الله وعلمه عليه . (١)

فان العبد اذ امر بمراقبة الله تعالى في عبادته واستحضار قربه منه حتى كأنه يراه شق عليه ذلك فيستعين عليه بايمانه بان الله مطلع عليه لا يخفى عليه شيء ليسهل عليه الانتقال الى ذلك المقام الاكمل . ومن ثم وصل الى درجة المراقبة .

ويمكن ان تكون العبادة على هذا الأساس " فان لم تكن تراه فان يراك " اي دافعا لمراقبة الله عزوجل .

فاذا ايقن العبد ان الله معه واستحضر سعة علم الله عزوجل . وان سره وجهه مستويان بالنسبة لعلمه عزوجل - (كان ذلك دافعا له لتصفية سره لمولاه واصلاح ذلك وتنقيته مما يكره الله تعالى ان يراه وينظر اليه في قلوب اوليائه فيزيل الصفات المهلكات ويطهره منها ويتصف بالمحمودات حتى يجعل سره كالمرآة المجلوه . (٢)

وهذه التقنية ضابط لسلوك الفرد من حب الظهور والسمعة والرياء الذى يحبط العمل ودافع الى الاخلاص والخشية والخوف من الله .

(١) الفتح المبين لشرح الاربعين ج ١ ص ٨٠ .

## تعريف المراقبة :

مراقبة فى اللغة :

رقيب فى اسماء الله تعالى الرقيب وهو الحافظ الذى لا يغيب عنه شىء والرقيب الحفيظ والترقب انتظار وقوع الشىء يرقبه وراقبه مراقبة وراقبا حرسه والرقيب الحارس . وراقب الله تعالى فى امره اى خافه . (١)

والرقيب من اسماء الله عزوجل والحافظ والمنتظر والحارس . ورقبه انتظره كارتقبه والشىء حرسه كراقبه مراقبة وراقبا وقد دل على ذلك قوله تعالى : ( **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ) (٢) المراقبة فى الاصطلاح :

واصل المراقبة المراعاة ولذا قال تعالى : ( **كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** ) (٣) اى كنت انت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم (٤) والمراقبة ثمرة علم العبد بان الله سبحانه وتعالى رقيب عليه ناظر اليه سامع لقوله وهو المطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفه عين والغافل عن هذا بمعزل عن الحق . (٥) وهذه المراقبة دافع الى حفظ سر العبد ولذا يقول صاحب المدارج : ( فمن راقب الله فى سره حفظه الله فى حركاته فى سره وعلانيته والمراقبة هى التعبد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير فمن عقل هذه الاسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة . (٦)

(١) لسان العرب لابن منظور - دار بيروت للطباعة ج ١ ص ٤٢٦ - ٤٢٧

(٢) سورة النساء آية : ١ .

(٣) سورة المائدة آية : ١١٧ .

(٤) فتح القدير ج ٤ ص ٩٤ .

(٥) مدارج السالكين ج ٢ ص ٦٧ .

(٦) المدارج ج ١ ص ٦٩ .

والله هو الرقيب وهو الرب الخالق الذى يعلم من خلق وهو  
العليم الخبير الذى لا تخفى عليه خافية لا فى ظواهر الافعال ولا فى  
خفايا القلوب . (١)

ولذا فالله محصي عليكم اعمالكم فهو رقيب على اعمالكم يعلمها  
ويعرفها . (٢)

فاذا ايقن العبد ان الله محصي لعمله رقيب عليه احسن عمله  
وكان ذلك دافعا للايمان بمعيه الله وسمعه علمه وانه محيط بنا .  
والمراقبة اذا اصبحت من خصال المؤمن فاصبح عليه من نفسه رقيب  
حافظ لسلوكه فهى توظف ضمير المؤمن ليرتقى فى طلب رضى الرب عزوجل  
فيصل الى ما يرضى الرب عزوجل حتى فى خلوته وسكناته وحركاته وقد  
تفاوتت هذه المراقبة من شخص لآخر بحسب قوة ايمانه بالله عزوجل  
وهى على ثلاث درجات :-

### درجات المراقبة :

(١) مراقبة الحق تعالى فى السير اليه على الدوام (٣)

وذلك بامتلاء القلب من عظمة الله عزوجل بحيث يذهله ذلك عن  
تعظيم غيره وعن الالتفات اليه فهو ينسى هذا التعظيم عند حضور  
قلبه مع الله بل يستصحبه دائما فان الحضور مع الله يوجب انسا  
ومحبته وكلما ازداد قربا من الله ازداد له تعظيما وذهولا عن  
سواه وبعدا عن الخلق . (٤)

(١) الظلال ج ١ ص ٥٧٦ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ج ٤ ص ١٥٣

المجلد ٣ . وانظر ايضا تفسير القرطبي ج ٥ ص ٧ - ٨ .

(٣) منازل السائرين للهروى ص ٢٥ .

(٤) شرحه ابن القيم فى كتابه مدارج السالكين ج ٢ ص ٦٩ .



## (٢) مراقبة نظر الحق : (١)

وهذه المراقبة توجب صيانة الباطن والظاهر فصيانة الظاهر يحفظ الحركات الظاهرة - وصيانة الباطن بحفظ الخواطر والارادات والحركات الباطنة فيتجرد الباطن من كل شهوة واراده عارضت امره وكل اراده تعارض ارادته . (٢)

وهذه الدرجة دافع لضبط سلوك الفرد الظاهرة والباطنة . فيضبط سلوكه الظاهر وما يصدر عنه من اقوال وافعال مراعيًا معيه الله واحاطته به وانه معه اينما كان ولذا فكل قول يرقب فيه السميع العليم وكل عمل بجارحه يرقب فيه القوى القاهر فنراه وهو على هذه الحال من المراقبة لا ينطق الا باحسن الاقوال ولا يفعل الا احسن الاعمال ويتقرب الى الرب قولًا وفعلًا .

(٣) واعلى هذه الدرجات مراقبة مواقع رضى الرب ومساخظه فى كل حركه والبعد عما يسخطه الى ما يحبه والحب والبغض فى الله (٣) ثمرات المراقبة :

١ - مراقبة الله فى السر سبب لحفظها فى الظواهر . فمن راقب الله فى سره حفظه الله فى حركاته فى سره وعلانيته (٤) وذلك بان تكون هذه المراقبة فى الداخل دافعا لضبط السلوك الظاهرة والباطنة بيقظة الضمير الحى الذى يرقب جميع افعال الانسان فيمنعه ان هم بمعصية ظاهرة او باطنة وبهذا ينجو من الوقوع فى المساخط ويلجأ الى الله عزوجل ويعمل بما يرضيه .

(١) منازل السائرين للهروى ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) مدارج السالكين ج ٢ ص ٧٠ .

(٣) المدارج ج ٢ ص ٦٧ مرجع سابق - بتصرف .

(٤) ، ، ، ص ٧٠ بتصرف وانظر ايضا الفتح المبين لشرح الأربيعين

ومن ثمرات المراقبة :

٢ - انها باعث لانضباط السلوك والبعد به عن مواطن الريبه وفى هذا تحضرنى قصة يوسف عليه السلام مع امراة العزيز : قال الله تعالى : (وَرَأَوْدَتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ . وَغَلَّقَتِ الْاَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ اِنَّهُ رَبِّيْ اَحْسَنُ مَثْوَاىِ اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّآى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ اِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ ) (١)

كيف ضبطت المراقبة يوسف من الوقوع فى المعصية :

هكذا يبدو لنا النص القرانى ان يوسف عليه السلام قال : ( مَعَاذَ اللّٰهِ اِنَّهُ رَبِّيْ اَحْسَنُ مَثْوَاىِ ) وهذا ضابط لابقاء النعمة التى هو بها فلا يجوز الاحسان بالاساءة ولا الاخلاص بالغدر والخيانة ولذا قال لامراة العزيز : ( معاذ الله انه ربي احسن مثواى ) فلا اغدر به ولا اخونه فكان هذا الجميل مع يوسف دافع له لضبط سلوكه امام شهواته وان تجلت له وتعرضت له امراة العزيز بكامل زينتها .

وهى دافع ايضا لان يقول قولته الثانية اذ قال تعالى على لسانه ( اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُوْنَ ) هكذا كانت مراقبة النبي العظيم لله عزوجل فلا يمكن ان يفلح من عصى الله وهم بمعصية ابداء لذا التفت الى النجاة منها حتى فضل السجن على ان يقع بهذه الفاحشة العظيمة ( ولقد حاولت المراة بكيدها ومكرها وبكل ما لديها من الوان الاغراء والتهديد ان تذيب من صلابته وتضعف من سموخه واعلنت ذلك لنسوتها فى ضيق وغيظ ( وَلَقَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا اَمْرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُوْنًا مِنَ الصّٰغِرِيْنَ ) (٢)

ولكن نبي الله يوسف اتجه الى الله فيسأله المعونة والعصمة "

(١) سورة يوسف آية : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة يوسف آية : ٣٢

(رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ  
وَأَكُنُّ مِّنَ الْجَاهِلِينَ ) (١)

كانت فتنة بين ضمير المؤمن ومغريات الاثم ففشلت المغريات  
وانتصر الايمان . (٢)

هكذا استعصم يوسف امام قوة الدافع ولجا الى الله عزوجل  
ليعصمه لينضبط سلوكه امام هذه الغريزة المتوفرة فى اوج قوتها  
لشبابه واكتمال اسباب مفارقة الفاحشة له :

- ١ ( شباب مع جمال .
- ٢ ( مال امرأة العزيز وعزها ومنصبها .
- ٣ ( جمالها .
- ٤ ( الخلة التامة بها .
- ٥ ( التهديد والوعيد ان لم يفعل ما يؤمر .

ومع كل هذه الدوافع التى تهىء له اسباب اقتراف الجريمة بيسر  
وسهولة صمد امام هذه المغريات واتجه الى ربه ليعصمه فتكون هذه  
العصمة ضابطا لسلوكه عليه السلام .

ولننظر ايضا الى لون آخر من المراقبة وهو اثر عظيم يحد من  
شهوة الاندفاع وراء الشهوات مطلقا كالطعام وحب الولد وحب النساء  
وحب المال فكما هو معلوم ان حب هذه الشهوات غريزة لدى جميع الخلق  
ولذا قال الله تعالى : ( زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ  
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ) (٣)

(١) سورة يوسف آية : ٣٣ .

(٢) الايمان والحياة - د. يوسف القرضاوى - مؤسسة الرسالة ص ٢١٨

٢١٩ . ولقد اشرت الى قصة يوسف عليه السلام فى الاقتداء

بالانبياء والذين معهم . ص ١٦٧ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٤ .

٣ - ومن أعلى ثمرات المراقبة ما تؤدي الى ضبط السلوك عن الشهوات  
 مهما كانت ولذا فقد ورد في صحيح مسلم رضى الله عنه عن عبد الله  
 بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ( بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ  
 نَفَرٍ يَتَمَشُّونَ أَخْذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوْوَا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَأَنْحَطَتْ عَلَى فِمْ  
 غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انظُرُوا  
 أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرَجُهَا  
 عَنْكُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَأَمْرَاتِي  
 وَلِي صَبِيئَةٌ صَغِيرًا أُرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدِي  
 فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ أَتْ حَتَّى أَمْسَيْتُ  
 فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَأَحْلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلَبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقَمْتُ عِنْدَ  
 رُؤْسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أُسْقِيَ الصَّبِيئَةَ قَبْلَهُمَا  
 وَالصَّبِيئَةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمِي فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبِي وَدَائِبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ  
 فَإِنِ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرَجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى  
 مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ وَقَالَ الْآخِرُ  
 اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي رَابِنَةٌ عَمِّ أَحَبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ  
 وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ  
 مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ  
 اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقَمْتُ عَنْهَا فَإِنِ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي  
 فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرَجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ وَقَالَ الْآخِرُ  
 اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أُجِيرًا بِفَرَقٍ أَرَزْتُ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أُعْطِنِي  
 حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فِرْقَةً فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا  
 وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي قُلْتُ أَذْهَبُ إِلَى تِلْكَ  
 الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخَذَهَا فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِءْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا  
 أَسْتَهْزِءُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقْرَ وَرِعَاءَهَا فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ فَإِنِ كُنْتُ تَعْلَمُ  
 أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرَجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ (١)

(١) اخرجہ مسلم باب قصة اصحاب الغار الثلاثة والتوسل بمصالح الاعمال

فهذا الحديث يشتمل على مقاومة الشهوات الثلاث والتي هي غرائز  
نفسية لدى الانسان فالأول قاوم دافع حب الطعام والمشرب ارضاء لربه  
وطلباً لرضى والديه فهنا نراه ضبط سلوكه امام هذه الشهوة  
الغرائزية وهو بهذا يراقب رضى الله عز وجل برضى الوالدين ويقول  
النووى ( وفى هذا الحديث فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وايثارهما  
عن سواهما من الاولاد والزوجة وغيرهم ) ( ١ ) . ومع ان حب الزوجة وحب  
الولد امر فطرى لدى الانسان وهو من اقوى الدوافع الفطرية فى النفس  
البشرية ولكن هذا الحب يفضل عليه حب الوالدين عند المراقبة ولذا  
فقد قال هذا الرجل فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك وهذه  
حال من المراقبة فقد ضبط مشاعر الابوة وعاطفتها ارضاء لربه  
ومراقبة للقرب منه .

واما الغريزة الأخرى فهي غريزة حب النساء وهذا دافع فطرى فى  
النفس البشرية وقد اشار هذا الرجل الى شغفه وشدة حبه لابنة عمه  
حتى قال ( كأشد ما يحب الرجال النساء ) وهو على هذه الدرجة من  
المحبة تمكن من الوصول اليها ( فجلس منها مجلس الرجل للوقاع )  
( ٢ ) ولكنه ما ذكرته بالله عزوجل فمجرد قولها ( يا عبد الله اتق  
الله ) تمثلت له صفة المراقبة لله عزوجل وان الله عليه رقيب اقلع  
عن المعصية وادرك عظم المراقبة فنرى هنا ان المراقبة ضابط لسلوك  
الفرد من الوقوع فى الزنا . ولذا يقول النووى ( وفى الحديث فضل  
العفاف والانكفاف عن المحرمات لا سيما بعد القدرة والهم بفعلها  
ويترك لله تعالى خالصاً ) ( ٣ )

واما الغريزة الثالثة فهي غريزة حب المال وهى دافع فطرى  
غرائزى لدى كل الناس ( ٤ ) . فقد ربي هذا المال لهذا الاجير حتى

( ١ ) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ٥٦ .

( ٢ ) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ٥٧ .

( ٣ ) النووى ج ١٧ ص ٥٦ .

( ٤ ) قد سبق وان اشرت الى هذه الغرائز فى الباب الاول الفصل الثالث

أصبح هذا المال اليسير غنما وبقرا وابلًا ونحوه يطمع به فبمجرد أن قال له الأجير اتق الله واعطني حتى اعطاه كل هذا المال فهذه المراقبة ضبطت السلوك الظاهر والباطن للإنسان أمام هذه الشهوات الثلاث :

( ١ ) حب الزوجة وعاطفة حب الولد .

( ٢ ) حب النساء .

( ٣ ) حب المال .

٤ - ومن آثار المراقبة أنها قد تتعدى عن مجرد التعرض للمرأة بل قد تتعرض هي له فيعتصم كما اعتصم يوسف عليه السلام وفي هذا حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ومنهم (وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ) (١)

هذا الحديث يشتمل على ضوابط للسلوك وأن توفرت الدوافع لها على النحو التالي :-

١ - الغريزة الجنسية وهي دافع نفسي موجود لدى جميع من بلغ سن النكاح معافاً سويّاً فهذا رجل توفرت له وسائل الزنا بامرأة جميلة ذات ثراء ومال فرفض الوقوع عليها خوفاً من الله ( وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال ولا سيما وهي داعية الى نفسها طالبة لذلك قد أغنت عن مشاق التوصل الى مراوده ونحوها فالصبر عنها لخوف الله تعالى وقد دعت الى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من اكمل المراتب واعظم الطاعات . (٢)

(١) سبق تخريجه ص ١٧٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ص ١٢٢ ج ٧ - دار الفكر - ط ٢ .

فالخوف هنا لمراقبته لله عزوجل وعمله انه مدركه لا محالة وانه لو وقع فى الحرام لوقع فى مساخط الرب عزوجل وبالتالي ادى الى هلكته . ولذا كان هذا الخوف ضابطا لسلوك المرء عند اعظم الشهوات مع توفر جميع الدوافع للوقوع عليها .

ب - غريزة حب الظهور والامتداح وهى دافع نفسى معروف الا انا نجد فى الحديث مقاومة هذا الدافع . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم يمينه ما تنفق شماله ( قال العلماء هذا فى صدقة التطوع فالاسرار فيها افضل لانه اقرب الى الاخلاص وابتعد من الرياء) (١) .  
 هـ ( وهكذا تسمو المراقبة بصاحبها الى ان يتصل بالعبد المؤمن الى درجة عظيمة من التقوى والتي هى عماد الدين القائم عليه . " اذن هدف عام من اجله ارسل الرسل وكانت من اجله التشريعات والاورامر والوصايا وهو التقوى التى ان وجدت فى قلب البشر لم يحتج بعدها الى رقيب او حسيب فتقواه حاجز له عن كل شر دافعه له الى كل خير لذلك نجد ان اوامر الرسل كلهم منصبة عليها وعلى طاعتهم اذ لا تعرف التقوى بدونها . (٢)

وقال الله تعالى : ( وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ) (٣)  
 (١) التقوى فى اللغة :

من وقاه فاتقى . وقاه توقيه حفظه وصانه اتقى بالشىء جعله وقاية له من الشىء الاخر والتقوى من الله خاف عقابه فتجنب ما يكره والتقوى الخشية والخوف وتقوى الله خشيته وامتناله اوامره

- (١) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٢٢ ج ٧ - دار الفكر - ط ٢ .  
 (٢) جند الله شقافة واخلاقا - سعيد حوى مرجع سابق - ص ٢٥٧ - وانظر ايضا تفسير القرطبي ج ١ ص ١٦١ .  
 (٣) سورة النساء آية : ١٣١ .

واجتناب نواهيہ والتقى من يتقى الله والجمع اتقيا . (١)  
 ٢ ( التقوى فى الاصطلاح :

١ - قال ابن القيم الجوزية: ( واما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله ايماناً واحتساباً امراً ونهياً فيفعل ما امر الله به ايماناً بالامر وتصديقاً بوعده ويترك ما نهى الله عنه ايماناً بالنهى وخوفاً من وعيده ) .

٢ - قال طلق بن حبيب (٢) فى تعريف التقوى: ( ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله وتخاف عقاب الله ) .  
 وقال ابن القيم الجوزية: ( وهذا من احسن ما قيل فى حد التقوى ) .

( فكل عمل لا بد له من مبدأ وغاية فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره على الايمان فيكون الباعث عليه هو الايمان المحض لا العادة والهوى ولا طلب المجد والجاه وغير ذلك . بل لا بد ان يكون مبدؤه محض الايمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب ) (٣)

(١) المعجم الوسيط قام باخراج هذه الطبعة ابراهيم انيس وعبد الحليم منتصر وعطيه الصوالحي - ومحمد خلف الله احمد ج ٢ ص ١٥٢  
 (٢) طلق بن حبيب : العنزى البصرى - قال ابو حاتم صدوق فى الحديث. وكان يرى الارزاء وقال مالك بن انس بلغنى ان طلق بن حبيب كان من العباد وأنه هو وسعيد بن جبير وقراء كانوا معهم طلبهم الحجاج وقتلهم وقال ابو زرعه كوفى سمع من ابن عباس وهو ثقة لكنه كان يرى الارزاء ذكره البخارى فى الاوسط فى من مات بين التسعين الى المائة . انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣١ - ٣٢ - والتقريب ج ١ ص ٣٨٠ .

(٣) زاد المهاجر الى ربه للامام الجليل الحافظ ابى عبد الله محمد بن ابى بكر المعروف بابن القيم - ( الرسالة البنوكيه ) تقديم الدكتور محمد جميل غازى - دار المدنى للطباعة - جده ص ٨ .



٣ - وقيل : ( هي عبارة عن كمال التقوى عما يضره في الآخرة فالمتقى هو المؤتمر للمأمورات المجتنب عن المحظورات وبهذا يقى نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك وأصل التقوى التقوى مما يكره لأن أصلها قوى من الوقاية ) (١)  
التقوى في القرآن الكريم :

وقد ورد الحث على التقوى في القرآن الكريم وقى سنة سيد الأولين والآخرين ففي القرآن الكريم حث عليها لكونها منهج الأنبياء الأولين والآخرين إذ أنهم دعوا قومهم الى هذا المنهج من تقوى الله فقال تعالى :

- ( ١ ) ( كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) (٢)  
( ٢ ) قال تعالى : ( كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ - إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) (٣) .  
( ٣ ) ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) (٤)  
( ٤ ) وقال الله تعالى : ( وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ) (٥)  
( ٥ ) وقال تعالى : ( وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ) (٦)

(١) تفسير ابن جرير ج ١ ص ١٢٨ - وانظر ايضا تفسير ابن كثير ج ١

ص ٣٩ - ٤٠ وانظر ايضا سبل السلام ص ١٦١٥ .

(٢) سورة الشعراء آية : ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) سورة الشعراء آية : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤) سورة الشعراء آية : ١٧٦ - ١٧٧ .

(٥) سورة الصافات آية : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٦) سورة الشعراء آية : ١٠ - ١١ .

(٦) بل جعل الدعوة الى عبادة الله سببا للتقوى فقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (١) وقال : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (٢) وقال الله تعالى : ( وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (٣) .  
 (٧) وقال الله تعالى : ( كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ) (٤) .

فجماع التقوى فى قوله تعالى : ( اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ) (٥)

ولهذا فتمام التقوى ان يتقى العبد الله حتى يتقيه من مثقال ذرة حتى يتترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما ليكون حجابا بينه وبين الحرام وتبلغ ذروة التقوى لله عزوجل فى اتقاء غضبه عند الوقوف على هذا الحديث فيدع المسلم ما لا باس به مخافة ان يكون محظورا وعندئذ يصل الى تمام التقوى . ففى الحديث عن عطية السعدى (٦) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ ) (٧)

(١) سورة البقرة آية : ٢١ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٩ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٨ .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(٦) عطية السعدى : هو عطية بن عروة ويقال ابن سعد بن هوازن

السعدى صحابى نزل الشام روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

وعنه ابنه محمد وربيعه بن يزيد الدمشقى . تهذيب التهذيب ج ٧

ص ٢٢٧

(٧) رواه ابن ماجه كتاب الزهد باب الورع والتقوى ج ٢ ص ١٤٠٩ -

وأخرجه الترمذى كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ج ٤ ص ٦٣٤

حديث ٢٤٥ وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه .

## آثار التقوى :

(١) فالالتقياء يحذرون من الله العقوبه فى ترك ما يميل الهوى اليه ويرجون رحمته بالتصديق بما جاء منه (١) . وبهذا نرى كيف كانت التقوى ضابطا لسلوك الفرد من الميل الى اتباع الاهواء والشهوات (٢) تسمو بالفرد المؤمن الى ان يصل الى عمل كل ما يحبه الله . ويرضاه ويترك كل ما حرم الله عليه ( فالتقوى تؤدى الى اصلاح الانسان وتوجيه المسلم الى كل ما فيه الخير والصلاح واشعاره بالخوف من الله عزوجل وجعله يتجنب ما حُرِّمَ عليه . ومن هنا تبدو صلتها بالفعل من حيث انها ضابط وعاصم قويان جليان لآخلاق المسلم وافعاله وموافقته ) (٢)

(٣) فالتقوى ملكه ينبع عنها سلوك يقول صلى الله عليه وسلم (التقوى ههنا (٣) و اشار الى صدره ولا تكون هذه الملكة الا بتحقيق معان معينة وتزداد هذه الملكة بوسائل معينة فالتقوى طرق تحصل وبها ولها اثار سلوكية تنبع عنها وهى بحد ذاتها ملكة وتترابط الملكة والطريق والاثار ترابطا محكما عن النعمان بن بشير قال قال صلى الله عليه وسلم : ( أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ) (٤)

- (١) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ١ ص ٢٠ .  
 (٢) الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة - تاليف محمد عزه دروزه ج ٢ - المكتب الاسلامى ص ٣٥٦ .  
 (٣) اخرجه مسلم واللفظ له كتاب البر باب تحريم ظلم المسلم وخذله ج ١٦ ص ١٢٠ . واخرجه الترمذى كتاب البر باب ما جاء فى شفقه المسلم على المسلم ج ٤ ص ٣٢٥ من حديث ابي هريرة .  
 (٤) اخرجه البخارى كتاب الايمان باب فضل من استبرا لدينه ج ١ ص ٢٠ ومسلم كتاب المساقاه باب اخذ الحلال وترك الشبهات ج ١١ ص ٢٨ بشرح النووى . واخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب الوقوف عند المشتبهات ج ٢ ص ١٣١٨ .

(٤) فالطريق الى التقوى يصلح القلب . وصلاح القلب تصلح به الاعمال  
 وكلما صلحت الأعمال ازداد القلب صلاحا ( ١ ) قال الله تعالى :  
 ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ  
 أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا  
 عَظِيمًا (٢) .

فمن آثار التقوى

(٥) انها تحصل صاحبها على اتباع اوامر الله واجتناب نواهيه قال  
 الله تعالى : ( الْإِنِّانَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ  
 الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ) (٣) . حيث يتضمن هذا تقرير كون  
 الايمان وجده لا يكفى لنجاة الانسان اذ لم يوافق عزم على اتباع  
 اوامر الله واجتناب نواهيه وممارسة لذلك . (٤)

(٦) وللتقوى دور كبير فى بعد الفرد المسلم عن كل شر ( فالتقوى ان  
 وجدت فى قلب بشر لم يحتج بعدها الى رقيب او حسيب فتقواه حاجز  
 له عن كل شر ) (٥) . فهذه المراقبة تمنعه من الوقوع فى الشر  
 وتقيم عليه من نفسه حسيبا ورقيبا عليها .

(٧) وقد جعل الله مقياس القرب والبعد عنه هذه التقوى (٦) (إِنَّ  
 أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ) (٧) فالتقوى هى دافع الترقى والقرب  
 من الله عزوجل فكل ما زاد العبد تقوى زاد قربا الى الله  
 عزوجل فيصبح من اولياء الله عزوجل كما قال الله تعالى :

(١) جند الله ثقافة واخلاق - سعيد حوى - ص ٢٥٩ .

(٢) سورة الاحزاب آية : ٧٠ - ٧١ .

(٣) سورة يونس آية : ٦٢ - ٦٣ .

(٤) الدستور القرآنى والسنة النبوية الشريفة فى شئون الحياة -  
 محمد عزه دروزه ج ٢ ص ٣٥٧ .

(٥) جند الله ثقافا واخلاقا - سعيد حوى - ص ٢٢٥٧

(٦) جند الله ثقافا واخلاقا - سعيد حوى ص ٢٥٨ .

(٧) سورة الحجرات آية : ١٣ .

( إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ) (١) . فهذا القرب من الله والترقى  
دافع الى ان يقبل الله عمله .

ومن آشارها قبول العمل :-

(٨) قال الله تعالى : ( وَإِنَّمَا يَنْتَقِبُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ) (٢) فلا يقبل  
الله عملا الا من المتقين . (٣)

(٩) والتقوى دافع لان يسلم الانسان من كيد الشيطان (٤) قال الله  
تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا  
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ) (٥) . وهذا ظاهر الحكمة كما هو المتبادر لان  
المتقى يكون قد تجنب العثرات والمواقف الضارة فامن عاقبتها  
وحظى بما يكون فيه الامن والسلامة والنفع والخير والسداد  
والتوفيق والنجاح والنجاة فى دنياه وآخرته (٦) .

(١٠) ومن آشارها انتشار الرخاء الاقصادى (٧) قال الله تعالى  
: ( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ  
وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا  
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ  
مَّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ) (٨)

(١١) ومن آشار التقوى قبول دعاء الداعين وعبادة العابدين (٩)

(١) سورة الانفال آية : ٣٤ .

(٢) سورة المائدة آية : ٢٧ .

(٣) جند الله - ص ٢٥٨ .

(٤) جند الله ثقافة واخلاقا مرجع سابق ص ٢٥٨ .

(٥) سورة الاعراف آية : ٢١٠

(٦) الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة ج ١ ص ٣٥٧ .

(٧) جند الله - ص ٢٥٨ .

(٨) سورة المائدة آية : ٦٥ - ٦٦ .

(٩) الدستور القرآنى ص ٣٥٧ ج ١ .

( إِنَّمَا يَنْتَقِبُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ) ( ١ )

وهذا كله من آثار الترقى والقرب الى الله فكلما ازداد قربا من الله ازداد حبا لله عزوجل وقربا منه وهكذا تصبح التقوى دافعا ذا حدين فمن ناحية الايجاب فهي دافع لحب الخير وحب كل ما يرضى الله عزوجل والقرب منه فالمتقى يندفع وراء ارضاء الرب بكل ما هو مشروع وبالتالي فهو يتقرب اليه ومن ناحية اخرى فالتقوى ضابط لسلوك الفرد فكما انها دافع لحب الخير وارضاء الرب فهي ايضا ضابط لسلوكه من حيث ان المتقى يقى نفسه من الوقوع فى السيئات والمحرمات ولذا فاننا نجد وصف المتقى فى كتاب الله وقد جمع الجانبين عمل كل ما يرضى الله وابتعد عن كل مساخطه فقد قال الله تعالى : ( ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ) ( ٢ )

وقال الله تعالى : ( لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ) ( ٣ )

وبعد ما ذكر من اوصاف المقربين واهل التقوى ما ذكر قال الله تعالى ( اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ) وصفهم بالصدق والتقوى فى امورهم والوفاء بها وانهم كانوا جادين فى الدين وهذا غاية الثناء . ( ٤ )

( ١ ) سورة المائدة آية : ٢٧ .

( ٢ ) سورة البقرة آية : ٢ - ٣ .

( ٣ ) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

( ٤ ) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي - ج ٢ ص ٢٤٢ " مرجع سابق " .

## صفات المتقين :

١ ( الايمان بالغيب .

٢ ( اقام الصلاة - الانفاق - اتباع القرآن .

٣ ( موفون بعهده الله - صابرون في البأساء والضراء وحين البأس .  
فاذا التقوى ايمان يدخل فيه التصديق بالغيوب والصلاة والانفاق  
ثم اتباع الكتاب وان الانسان لا يكون من المتقين الا بجمع هذين  
الجانبين . (١)

" وقد يستدل على التقوى بثلاث صفات :

١ ( التوكل فيما لم ينل قال الله تعالى : ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ  
فَهُوَ حَسْبُهُ ) (٢)

٢ ( الرضا فيما قد نال .

٣ ( الصبر على ما يصاب به المؤمن قال الله تعالى : ( وَالصَّابِرِينَ فِي  
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ) (٣)

اذا فالتقوى سلوك يدفع الفرد الى حسن التوكل على الله والرضا  
بالقضاء والقدر ويشمل الصبر على كل ما يصيب الفرد المسلم سواء  
نعما فيتمها بالشكر او سواء كانت نقما فيصبر ابتغاء رضوان ربه  
فهى دافع نفسى يهذب الفرد المسلم ويسمو بروحه حتى يبتعد عن كل ما  
يسخط الله عزوجل وهى من هذا الوجه ضابط ايضا لسلوك الفرد على  
الصبر والرضا حتى فى الشدائد فنجد المؤمن مطمئنا راضيا بكل قضاء  
قضاه الله عليه . ولكنها قد تختلف من شخص الى آخر فكلما ازدادت  
التقوى فى النفس البشرية ازداد الفرد قربا من الله . وقد نقل  
ابو السعود ان للتقوى مراتب :

١ ( التوقى من العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر وعليه قوله تعالى

(١) جند الله ثقافة و اخلاق - سعيد حوى - ص ٢٥٩ .

(٢) سورة الطلاق آية : ٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

( وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ) ( ١ ) :

( ٢ ) الثانية التجنب عن كل ما هو اثم من فعل او ترك حتى الصغائر (٢)

قال الله تعالى : ( وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ) ( ٣ )

( ٣ ) ان يتنزه عن كل ما يشغله عن الله عزوجل ويتبتل اليه بكليته

وهو التقوى الحقيقي المأمور بها فى قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ) ( ٤ )

وهذه الدرجة يتفاوت أصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم

واقصاها ما انتهت اليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بين

رياستين النبوة والولاية . ( ٥ )

( وفى هذه المرتبة يعتبر ترك الصغائر ) ( ٦ )

ولهذه النزاهة التى يمل اليها المتقى بتقواه فقد شملت خيرى

الدنيا والاخرى اذ هى اجتناب كل منهى وفعل كل مأمور فمن فعل ذلك

فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى فى كتابه بالمدح والثناء

: ( وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) ( ٧ ) بل وجعلهم

اولياءه المقربين اليه ويكفى هذا شرفا ( ٨ ) قال الله تعالى : ( إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ) ( ٩ )

( ١ ) سورة الفتح آية : ٢٦ .

( ٢ ) تفسير ابى السعود - المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا

القرآن - للقاضى ابى السعود محمد بن محمد العمارى - دار

احياء التراث العربى - بيروت ج ١ ص ٢٨ ط ١ - وانظر ايضا روح

المعانى للالوسى " مرجع سابق ص ١٠٨ ج ١ .

( ٣ ) سورة الاعراف آية : ٩٦ .

( ٤ ) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

( ٥ ) تفسير ابى السعود - مرجع سابق - ص ٢٨ ج ١ .

( ٦ ) روح المعانى ص ١٠٨ ج ١ " مرجع سابق .

( ٧ ) سورة آل عمران آية : ١٨٦ .

( ٨ ) الفتح المبين بشرح الاربعين - ص ١٦٤ .

( ٩ ) سورة الحجرات آية : ١٣



ومحبة الله تعالى ومولاته وانتفاء الخوف والحزن وحصول البشارة  
 فى الدنيا والاخرة والفوز العظيم قال تعالى: ( اَلَا اِنَّ اَوْلِيَاءَ اللّٰهِ  
 لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَ لَهُمُ البُّشْرٰى  
 فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِى الْاٰخِرَةِ لَا تَبْدِيْلَ لِكَلِمٰتِ اللّٰهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
 الْعَظِيْمُ ) (١)

وقال صاحب التفسير الكبير " لو لم يكن للمتقين فضيلة الا ما  
 فى قوله تعالى: (هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ) (٢) لكفاهم لانه تعالى بين ان القرآن  
 هدى للناس : ( شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى اُنزِلَ فِيْمِ الْقُرْآنِ هُدًى لِّلنَّاسِ ) (٣)  
 ثم قال هنا فى القرآن انه ٠ هدى للمتقين ) فهذا يدل على ان  
 المتقين هم كل الناس فمن لا يكون متقيا كانه ليس بانسان ) (٤)

(١) سورة يونس آية : ٦٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

(٤) التفسير الكبير - ج ١ ص ٢١ - للفخر الرازى مرجع سابق .

## الفصل السادس

امتلاك زمام النفس ونهيها عن الهوى

امتلاك زمام النفس ونهيتها عن الهوى

\*\*\*\*\*

ان الله خلق النفس البشرية واودع فيها اسرارها والهمها فجورها وتقواها وقد جعل بها لكل من الفجور والتقوى دوافع قد تحد من اتجاهها او تساعد في اندفاعها نحو رغباتها وهي تختلف من نفس الى اخرى حسب قوة الدوافع وقوة الضابط ولذا كانت النفس تسمى :-  
( المطمئنة - اللوامة - الامارة بالسوء - الاوابة - المؤمنة )

ولما جاء الاسلام واحدث للانسانية في كتابه منها متكاملا عن النفس وطبائعها وخصائصها فلم يهمل الاسلام ان يضع لها العلاج اذا مرضت ويبين لها طريق الهدى اذا انحرفت وكانت تظهر بين الحين والآخر دعوات تطالب الانسان بالانفلات من قيود الدين ومسايرة هوى النفس ) (١)

قال الله تعالى ( يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ) (٢)

حقيقة الطمانينه :

فالنفس المطمئنة التي قد سكنت الى ربها وطاعته وامره وذكره ولم تسكن الى سواه فقد اطمأنت الى محبته وعبوديته وذكره واطمأنت الى امره ونهيه وخيره واطمأنت الى لقائه ووعدده واطمأنت الى التصديق بحقائق اسمائه وصفاته واطمأنت الى لقائه الى الرضى به ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد رسولا واطمأنت الى قضائه وقدره واطمأنت الى كفايته وحبه وضمنه فاطمأنت بانه وحده ربها وآلهها ومعبودها ومليكيها ومالك امرها كله وان مرجعها اليه وانها لا غنى لها عنه طرفة عين .

(١) المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها - عبد الرحمن عميره - دار

اللواء - ط٤ - ١٤٠٢ ص ٢١٦ .

(٢) سورة الفجر : آية ٢٨ .

فالنفس اذا سكنت الى الله واطمأنت بذكره وانابت اليه واشتاقت

اليه وانست بقربه فهي مطمئنة وهي التي يقال لها عند الوفاة (١)

( يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ) (٢)

فمن شمار هذه الطمانينة والتصديق ان ترجع الى ربها وهي قد  
رضى الله عنها وارضاهها فدافع الطمانينة والتصديق ادى بها الى ضبط  
أهوائها وشهواتها فأمنت به ربا وصدقت بكل قضائه وقدره فضبطت  
النفس عن الهوى واتباع الشهوات فنالت الرضى من الرب جل وعلا .

ثم قد تكون النفس اللوامة التي اودع الله بها البصيرة  
النافذة ، فهي تلوم نفسها عند خطئها فقد جعلت التوبة والندامة  
ضابطا لسلوكها . وقد اختلف العلماء فى اشتقاق هذه اللفظة هل هي  
من التلوم وهي التلون والتردد او هي من اللوم ؟

ولذا قال ابن عباس : ( هي النفس اللوامة ) - وقال مجاهد :

( هي التي تندم على ما فات وتلوم عليه ) .

وقال الحسن ان المؤمن والله ما تراه الا يلوم نفسه على كل  
حالاته لانه قصر فى كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه وان الفاجر ليمضى  
قدما لا يعاقب نفسه .

أما من قال انها من التلوم فلكثرة تردها وتلومها ولا تستقر  
على حال واحدة وذهب ابن القيم الى ترجيح الاول وقال .. والاول اظهر  
فان هذا المعنى لو اريد لقييل المتلومة كما يقال المتلونة  
والمترددة ولكن من لوازم القول الاول . فانها من تلومها وعدم  
ثباتها تفعل الشيء ثم تلوم عليه فالتلوم من لوازم اللوم (٣)

(١) اغاثة اللفهان . من مصايد الشيطان - ابن القيم ج ١ ص ٧٦ -

دار المعرفة للطباعة والنشر بتحقيق محمد حامد الفقى . وانظر

ايضا مرشد الدعاة الى الله - احمد بن محمد طاحون ص ٤٣ .

(٢) سورة الفجر آية : ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) اغاثة اللفهان ص ٧٧ ، ٧٨ .

فهذه النفس قد جعلت التوبة زماما ضابطا لسلوكها فقد ظهر  
منها دافع الشهوة والوقوع فى المآثم بغضا او كرها الا انها سريعة  
الندم والتوبة لذا هى متلومة تلوم نفسها على فعلها قال تعالى  
:(قُلْ يَا عِبَادِى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ  
اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ) (١)

( فهم اسرفوا على انفسهم بكثرة ارتكاب الذنوب والاشام سواء  
كانت الشرك او الزنا او سائر المعاصى لكنهم تابوا وآمنوا وعملوا  
الصالحات فتاب الله عليهم ) (٢) لذا قال الله تعالى : ( لَا تَقْنَطُوا  
مِن رَّحْمَةِ اللّٰهِ ) (٣)  
النفس الأمانة بالسوء :

وهى التى تأمر صاحبها بما تهواه من شهوات الغنى واتباع  
الباطل فهى ماوى كل سوء وان اطاعها قادتته الى كل قبيح وكل مكروه  
وقد اخبر سبحانه انها امانة بالسوء لكثرة ذلك منها وانه عادتتها  
لانها خلقت فى الأصل جاهلة ظالمة الا من رحمة الله والعدل والعلم  
طارىء عليها بالهام ربها فاذا لم يلهمها رشدها بقيت على ظلمها  
وجهلها فلم تكن امانة الا بموجب الجهل والظلم فلولا فضل الله  
ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة فاذا اراد الله  
سبحانه بها خيرا جعل فيها ما تزكوا به وتصلح من الارادات  
والتصورات واذا لم يرد بها ذلك تركها على حالها التى خلقت عليها  
من الجهل والظلم .

وسبب الظلم اما جهل واما حاجة وهى فى الأصل جاهلة والحاجة

(١) سورة الزمر آية : ٥٣ .

(٢) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص ٣٩٠ - دار الكتب

العلمية بيروت - بتصرف .

(٣) سورة الزمر آية : ٥٣ .

لازمة لها فلذلك كان امرها بالسوء لازما لها ان لم تدركها رحمة الله وفضله . (١)

قال الله تعالى : ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) (٢)

( فمن عرف نفسه وما طبعت عليه علم انها منبع كل شر وماوى كل سوء وان كل خير فيها فبفضل الله من به عليه ) (٣)

ولذا كان لا بد من الضوابط والتشديد على هذه النفس الامارة بالسوء ومراقبتها ومجاهدتها ومحاسبتها على تقصيرها ولا تترك تتخبطها الاهواء وتتقاذف بها الشهوات فتوردها مورد المهالك . ولذا كان لا بد لنا من بيان المراد بالهوى وكيفية التحذير منه وموقف القرآن والسنة من اتباع الهوى .  
الهوى فى اللغة :

هوى النفس ارادتها والجمع الاهواء قال اللغويون :  
الهوى محبة الانسان الشئ وغلبته على قلبه قال الله تعالى : ( ونهى النفس عن الهوى ) معناها نهاها عن شهواتها وما تدعو اليه من معاصى الله عزوجل وبالكسر يهوى هوى اى احب .  
الهوى فى الاصطلاح :

هو ميل النفس الى الشهوة ويقال ذلك للنفس المائلة الى الشهوة قال الله تعالى ( وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ) (٤)  
وقد ذم الله تعالى اتباع الهوى فى قوله : ( أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ) (٥) .

(١) اغاثة اللفهان . ص ٧٧ مرجع سابق .

(٢) سورة النور آية : ٢١ .

(٣) مدارج السالكين ج ١ ص ٢٤٢ .

(٤) سورة ص آية : ٢٦ .

(٥) سور الغاشية : آية ٢٣ .

وقال بلفظ الجمع تنبيها على ان لكل واحد هوى غير هوى الآخر ثم  
 هوى كل واحد لا يتناهى فاذا اتبع اهوائهم نهاية الضلال والحيرة (١)  
 ( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ) (٢)

فحقيقة شهوات النفوس وهى ميلها الى ما يلائمها واعراضها عما  
 ينافرها مع انه كثيرا ما يكون سلامتها فى المنافر ثم المعروف فى  
 استعمال الهوى عند الاطلاق انه الميل الى خلاف الحق (٣) ومن قوله  
 تعالى ( وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) (٤) وقوله ( وَأَمَّا مَنْ  
 خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ) (٥) . اى زجرها عن المعاصى  
 والمحارم واصل الهوى الميل الى الشئ ويجمع على اهواء . وقال  
 الجوهرى وسمى الهوى لانه يهوى بصاحبه الى النار ولذلك لا يستعمل فى  
 الغالب الا فيما ليس بحق ومنها لا خير فيه . (٦)

وقول الجوهرى فى اتباع الهوى الفاسد واتباع الشهوات ( فهو  
 الذى يورد مورد الهلاك ) (٧) . الا انه قد تطلق لفظة الهوى ولا يقصد  
 بها الا الحق ( كما فى قول عائشة رضى الله عنها لما نزل قوله  
 تعالى : ( تَرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُتَوَى بِأَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ) (٨) قالت للنبي  
 صلى الله عليه وسلم ما ارى ربك الا يسارع فى هواك .  
 وقول عمر رضى الله عنه فى قصة المشاوره فى اسرى بدر فهوى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله ابو بكر ولم يهو ما قلت .

- 
- (١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - ج ٥ ص ٣٥٩ .  
 (٢) سورة القصص آية : ٥٠ .  
 (٣) فتح المبين لابن حجر الهيثمى ص ٢٧٨ مرجع سابق .  
 (٤) سورة ص آية : ٢٦ .  
 (٥) سورة النازعات آية : ٤٠ .  
 (٦) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤ .  
 (٧) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤ .  
 (٨) سورة الاحزاب آية : ٥١ .

وقال ابن حجر قد يطلق بمعنى مطلق الميل والمجبة فيشمل الميل للحق وغيره وبمعنى محبة الحق خاصة والانقياد اليه ( ١ )

كما فى الحديث عن ابى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ ) (٢) " حديث صحيح "

ولذا آثر النبى صلى الله عليه وسلم التعبير بذلك على ان من احب شيئا اتبعه هواه ومال عن غيره اليه ومراده صلى الله عليه وسلم ان ياتمر بكل ماجئت به لان المأمور بالشيء قد يفعله اضطرارا (٣)

اذا فقد وردت لفظة اتباع الهوى وتشمل على ما يلى :-

١ - التحذير منها وهى التى تكون الهوى تابعا لشهوات النفس المحرمة .

٢ - الهوى بمعنى الميل القلبي .

٣ - الهوى بمعنى اتباع الحق . كما فى الحديث السابق الذكر .

ولذا سأعرض فقط ما يفيد فى موضوعنا الا وهو المحرم منه فأورد

الآيات التى وردت فى الهوى على سبيل التحذير وكذا الأحاديث :-

وفى معرض التحذير من اتباع اهل الاهواء قال الله تعالى :

( وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنَّ آتَّبَعْتَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ) (٤)

بهذا التهديد والوعيد لنبى الله صلى الله عليه وسلم ان انت

(١) فتح المبين لابن حجر الهيثمى ص ٢٧٩ - الجامع لاحكام القرآن

للقرطبى ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥٩ .

(٣) فتح المبين ص ٢٧٨ " مرجع سابق " .

(٤) سورة البقرة آية : ١٢٠ .



ظللت عن الهدى هدى الله الذى لا هدى سواه (١) " ففى الخطاب تناديب  
لامته صلى الله عليه وسلم اذ منزلتهم دون منزلته " (٢)

وفى معرض التحذير والحث على الاستقامة على منهجه وعدم اتباع  
الاهواء قال الله تعالى: ( وَلَنْ اتَّبَعْتَ اَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ  
الْعِلْمِ اِنَّكَ لَإِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ) (٣) .

ان الامر هنا يتعلق بالاستقامة على هدى الله وتوجيهه ويتعلق  
بقاعدة التمييز والتجرد الا من طاعة الله ونهجه ومن ثم يجىء الخطاب  
بهذا التحذير ( اِنَّكَ لَإِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ) .

ان الطريق واضح والصرط مستقيم فاما العلم الذى جاء من عند  
الله واما الهوى فى كل ما عداه وليس للمسلم ان يتلقى الا من الله  
وليس له ان يدع العلم المستيقن الى الهوى المتقلب وما ليس من  
عند الله فهو الهوى بلا تردد . (٤)

### أثر اتباع الهوى :

١ - قال الله تعالى: ( اَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى اَنْفُسَكُمْ  
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل  
لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَاقْلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ) (٥)

كان من نتيجة اعراضهم واتباعهم الهوى والشهوات ان كذبوا جميع  
الرسل .

قال الطبرى فى تفسيره: ( وانتم كلما جاءكم رسول من رسلى بغير  
الذى تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم تجبرا وبغيا استكبار امامكم  
ابليس فكذبتم بعضا فهذا فعلكم ابدا برسلى ) (٦)

(١) انظر الظلال ج ١ ص ١٠٩ . بتصرف .

(٢) تفسير القرطبى ج ٢ ص ٩٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٤٥ .

(٤) الظلال ج ١ ص ١٣٥ .

(٥) سورة البقرة آية : ٨٧ ، ٨٨ .

(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٣٢٣ .

فمحاولة اخضاع الهداة والشرايع للهوى الطارىء والنزوة المتقلبة ظاهرة تبدو كلما فسدت الفطرة وانطمست فيها عدالة المنطق الانسانى ذاته .

وقد قصى الله على المسلمين ان يحذرهم من الوقوع فى ما وقع به بنو اسراييل فتسلب منهم الخلافة فى الارض والامانة التى ناطها بهم الله . فقد حكم بنو اسراييل اهوائهم وشهواتهم وقتلوا فريقا من الهداة وكذبوا فريقا ضربهم الله بالذلة والهوان والشقاء والتعاسة (١) .

وفى الاية النتيجة الحتمية لاتباع الاهواء على ما ياتى :-

١ - الاستكبار على الحق . مما ادى بهم الى التكذيب لانبيائهم . بل وقتلهم .

٢ - اتباع الهوى سبب لغفلة القلب كما فى الاية الكريمة ( وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ) (٢) اى معصوب عليها وهى فى اكنة واغطية (٣) وقال الله تعالى : ( اُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ) (٤) .

٣ - استحقوا اللعنة من الله " والمراد ان الله اقصاهم وابعدهم واخزاهم واهلكهم بكفرهم . واصل اللعن الطرد والابعاد والاقصاء (٥) .

(ب) وقال تعالى فى بيان اضرار اتباع الهوى : ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ) (٦)

(١) الظلال ج ١ ص ٨٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٨٨ .

(٣) جامع البيان ج ١ ص ٣٢٣ .

(٤) سورة محمد آية : ١٦ .

(٥) جامع البيان ج ١ ص ٣٢٣ .

(٦) سورة المؤمنون آية : ٧١ .

وهذه ايضا من الآيات التى تحذر من اتباع الهوى وتبين مضاره ومفاسده لو كان الاله حسب اهوائهم فى السماء آله وفى الارض آله لفسدت السموات والارض من الخلق (١) .

(ج) وقال الله تعالى فى معرض الاستخفاف بعقولهم واتباعهم اهوائهم : ( **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى النَّفْسُ** ) (٢)

والمراد ما تميل اليه وتشتهيه من غير التفات الى ما هو حق يجب اتباعه (٣)

(د) اتباع الهوى سبب الغفلة القلب :

قال الله تعالى : ( **وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** ) (٤) .

كان من نتيجة اتباعهم للهوى ان اغفل الله قلوبهم عن ذكره . ويقول الشوكانى وهم غافلون عن ذكر الله ومع هذا فهم ممن اتبع هواه وآثره على الحق فاختار الشرك على التوحيد وكان امره فرطاً اى متجاوزاً عن حد الاعتدال . (٥)

( ومن اهواء الجاهلية التى يحكمون مقاييسها فى العباد فهم واقوالهم سفه ضائع لا يستحق الا الاغفال جزاء ما غفلوا عن ذكر الله . وكانت النتيجة ان اغفل الله قلبه ويقول سيد قطب • اغفلنا قلبه حين اتجه الى ذاته والى ما له والى ابناؤه والى متاعه ولذائذه وشهواته فلم يعد فى قلبه متسع لله والقلب الذى يشتغل بهذه الشواغل ويجعلها غاية حياته لا جرم يغفل عن ذكر الله . فيزيده الله غفلة ويملى له فيما هو فيه ) (٦)

(١) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص ٢٨٩ بتصرف .

(٢) سورة النجم آية : ٢٣ .

(٣) فتح القدير ج ٥ ص ١٠٩ . " تفسير "

(٤) سورة الكهف آية : ٢٨ .

(٥) فتح القدير ج ٣ ص ٢٨٢ " تفسير "

(٦) الظلال ج ٤ ص ٢٦٩ .

(هـ) اتباع الهوى سبب للكفر :

( ١ ولئنك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم ) (١) اى

وصلوا الى الكفر والعناد (٢)

وطبع الله على قلوبهم حيث وصلوا الى درجة الكفر لاتباعهم

اهواءهم .

وقد مثل الله لهم نتيجة اتباعهم اهوائهم وضلالاتهم فقال الله تعالى : ( وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِرْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) (٣)

واتبع هواه وما زين له الشيطان وقيل كان هواه مع الكفار ثم

شبه من اتبع هواه فقال مثله كمثل الكلب ان وعظته ضل وان تركته ضل

فهو كالكلب ان تركته لهث وان طردته لهث ( ٤ )

فمن استعراضنا لهذه الايات الكريمة نجد التحذير الصريح من

اتباع الهوى وبيان آثاره فهو سبب لغفلة القلب . بل وسبب للكفر

والضلال وقد شبه الله من اتبع هواه واخذ الى الارض بالكلب وهذا

فيه من التنفير ما لا يخفى .

وقد نفى القرآن صفة الايمان عن من لم يتبع حكم الرسول صلى الله

عليه وسلم فقال الله تعالى : ( فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ) (٥)

ففى الاية وجوب اتباعه فيما يأمر به من غير توقف ولا تلعثم ومن

ثم لم يكتف بالتحكيم بل عقبه بقوله : ( ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا

مِمَّا قَضَيْتَ ) ( ٦ ) .

(١) سورة محمد آية : ١٦ .

(٢) فتح القدير ج ٥ ص ٣٥ .

(٣) سورة الاعراف آية : ١٧٦ .

(٤) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٢٢ .

(٥) سورة النساء آية : ٦٥ .

(٦) سورة النساء آية : ٦٥ .

ومن ثم لم يكتف بهذا ايضا بل زاد التاكيد بقوله : ( وسلموا ) ولم يكتف به ايضا بل زاد فيه فأتى بالمصدر الواقع لاحتمال التجاوز فقال : ( تسليمًا ) وبهذا التسليم تكون النفس مطمئنة محكمة منشرحه به لا توقف عندها فيه بوجه . (١)

فمراده من نفي تسليمهم لحكم الله وحكم الرسول كان لاتباعهم اهواءهم وشهواتهم لذا كان ان نفي القرآن عنهم صفة الايمان بالله .  
ففي الحديث الذى رواه احمد وغيره من حديث شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الْكَيْسُ مَنْ دَانَ (٢) نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ ) (٣)  
فقد سماه صلى الله عليه وسلم عاجزا لانه اخذ الى هوى النفس الامارة بالسوء واهملها واتبع هواه .

فهلاك القلب من اهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها (٤)  
وهذا اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت .

---

(١) فتح المبين ص ٢٧٩

(٢) دان نفسه : اى حاسبها ويوم الدين يوم الحساب .

شداد بن اوس بن ثابت بن المنذر وهو ابن اخى حسان بن ثابت الانصارى الخزرجى قال عباده بن الصامت كان شداد اوتى العلم والحلم روى عنه اهل الشام توفى سنة احدى واربعين وقيل سنة ثمان وخمسين - اسد الغابة ج ٢ ص ٣٥٥ مرجع سابق .

الكيس : اى العاقل من كاس بكيس كيسا والكيس العقل - ج ٢ ص ١٤٢٣ سنن ابن ماجه تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) رواه احمد ج ٤ ص ١٢٤ ورواه الحاكم فى مستدرکه ج ١ ص ٥٧ وقال صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه وقال الذهبى : لا والله ابو بكر واه - ورواه الترمذى كتاب القيامة ج ٤ ص ٦٣٨ وقال هذا حديث حسن . واخرجه ابن ماجه كتاب الزهد ج ٢ ص ١٤٢٣ .

(٤) اغائة اللفهان ص ٧٨ .

ولذا نقول ان جميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : ( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ) (١)

ومعناها وزن الامور أولا . وقدرها والنظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها (٢) . وقد نفى صلى الله عليه وسلم صفة الايمان عن من اتبع هواه فعن ابي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ " (٣) .

والمراد تبعا لما جئت به من الشريعة المطهرة الكاملة بان يميل قلبه وطبعه اليه كميله لمحباته الدنيوية التي جبل على الميل اليها من غير مجاهدة وتصبر واحتمال مشقة او بغض بل يهواها كما يهوى المحبوبات المشتهيات ان من احب شيئا اتبعه هواه ومال عن غيره اليه . ومن ثم اثر صلى الله عليه وسلم التعبير بذلك على نحو حتى ياتمر بكل ما جئت به لان المأمور بالشئ قد يفعله اضطرارا واعلم ان الهوى يميل بالانسان بطبعه الى مقتضاه ولا يقدر على جعله تبعا لما جاء به صلى الله عليه وسلم الا كل ضامر مهزول . (٤)

وعلم من الحديث ان من كان هواه تابعا لجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا كاملا وضده وهو من اعرض عن جميع ما جاء به ومنه فهو الكافر . (٥)

وروى الشيخان عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ

- 
- (١) سورة القصص آية : ٥٠ .
  - (٢) الاحياء ص ٣٩٧ ج ٤ .
  - (٣) سبق تخريجه ص ٤٩٠ .
  - (٤) فتح المبين ص ٢٧٨ .
  - (٥) اغاثة اللفهان ص ٢٧٩ .

أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ (١) وفى رواية مسلم والناس أجمعين .  
 ومراده ان المحبة هوى فى النفس فمن هوى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم احبه واطاعه ومن اتبع هواه فلم يحب الرسول لم يطعه  
 ( ولما صدقت محبة الصحابة رضوان الله عليهم له صلى الله عليه  
 وسلم وكان هواهم تبعاً لما جاء به قاتلوا معه آباءهم وابناءهم حتى  
 قتل ابو عبيدة اباه لا يذاته الرسول صلى الله عليه وسلم . وتعرض  
 ابو بكر لولده عبد الرحمن رضى الله عنهما يوم بدر ليقتله (٢)  
 ولقد حث القرآن على محاسبة النفس . والنظر فيها والزامها  
 كلمة التقوى لتنال بها رضى الله فلا تترك النفس لتنال منها  
 الاهواء وتتخبط بالشهوات كيفما كان . ولذا قال الله تعالى : ( يَا  
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ) (٣) فامر  
 الله العبد ان ينظر ما قدم لغد وذلك يتضمن محاسبة نفسه على ذلك  
 النظر هل يصلح ما قدمه ان يلقي الله به او لا يصلح ؟ والمقصود من  
 هذا النظر ما يوجب ويقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعاد  
 وتقديم ما ينجيه من عذاب الله ويبيض وجهه عند الله (٤) من  
 الاعمال الصالحات التى تنجيه او من السيئات التى توبقه ؟  
 والمقصود ان صلاح القلب بمحاسبة النفس وفساده باهمالها  
 والاسترسال معها (٥)

والتقوى حالة فى القلب تجعل القلب شاعرا بالله فى كل حالة  
 خائفا متحرجا مستحيا ان يطلع عليه الله فى حالة يكرهها وعين الله  
 على كل قلب فى كل لحظة فمتى يامن ان لا يراه .

(١) سبق تخريجه ص ١٣٠ .

(٢) فتح المبين ص ٢٨٠ .

(٣) سورة الحشر آية ك ١٨ .

(٤) مدارج السالكين ج ١ ص ١٩٠ .

(٥) اغاثة اللفهان ج ١ ص ٨٤ . وانظر ايضا فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٠ .

وهذا التامل كفييل بأن يوقظه الى مواضع ضعف ومواضع تقصى  
ومواضع تقصير مهما يكن قد اسلف من خير وبذل من جهد (١)

وقد ذم الله تعالى الذى لا يحاسب نفسه وينساها فقال ( وَلَا  
تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ) (٢)

والمراد نساوا محاسبة انفسهم على تقصيرها . ولذا قال الشوكانى  
اى جعله ناسين لها بسبب نسيانهم له فلم يشتغلوا بالاعمال التى  
تنجيهم من العذاب ولم يكفوا عن المعاصى التى توقعهم فيه (٣)  
ويمكن تذكير النفس بذكر الموت والفوت وقال المحاسبى فى الحث على  
الادمان فى معاقبة النفس " ثم ابتدا فى معاقبتها وتذكيرها بالسوء  
الذى صنعت وبما هى اليه صائرة عن قليل ثم يذكرها عظيم جرمها  
وكثرة ذنوبها وادام على ذلك عليها وجعله عمله لا عمل له غيره . (٤)  
قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرُ  
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ) (٥)

فكان لنا من هذه الآية التى حثت على المحاسبة والتى حذرت من  
اهمال النفس وجعلت زمام التقوى ضابطا لسلوكنا نرسم منهاجا متكاملا  
لمحاسبة النفس ورد جماحها وضبط سلوكها لكى لا تندفع اندفاع  
البهائم وراء شهواتها ورغباتها دون زمام لها وقد رايت ان امتلاك  
زمام النفس لا بد ان يكون بوسائل تساعد على هذا الانضباط بالسلوك  
وتقلل من اندفاعه وراء شهواته ولذا فسأعرض فى هذا الفصل الى  
وسائل ضبط النفس .

(١) الظلال ج ٦ ص ٣٥٣١ .

(٢) سورة الحشر آية : ١٩

(٣) فتح القدير ج ٥ ص ٢٠٦ .

(٤) التوبه للحارث المحاسبى تحقيق محمد عبد القادر عطا - دار

الاعتصام ص ٧٣ .

(٥) سورة الحشر آية : ١٨ .



## وسائل ضبط النفس :

- ١ - المراقبة .
- ٢ - المحاسبة .
- ٣ - المجاهدة .

ولذا اقوال المراقبة :

الرقيب من أسماء الله عزوجل - ورقبه رقيه ورقبانا . بكسرهما ورقابة ورقوبة ورقبه بفتح الكل انتظره كارتقبه . والشئ : حرسه كراقبه مراقبه ورقابا . (١)  
المراقبة فى الاصطلاح :

والمراقبة هى ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه لمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعى جانبه . يعنى بهذه المراقبة حالة يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا فى الجوارح وفى القلب .  
فمعرفة الله تثمر العلم بالله بانه مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت (٢)  
( وقيل المراقبة هى استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه فى جميع احواله ) (٣) .

(١) بصائر ذوى التمييز ج ٣ ص ٩٤ .

(٢) الاحياء ج ٢ ص ٤٠٣ .

(٣) مخطوطة السير والسلوك الى ملك الملوك تأليف عبد الرحمن ابن احمد الجامى ابو البركات رقم ١٣٩٧ / ١٣٩٨ مجموعة رقم ٤٧ مكتبة الحرم المكى ص ١٥ .

وهو عبد الرحمن بن احمد الجامى - ولد فى جام مفسر فاضل حج سنة ٨٧٧ ثم عاد الى هراة وتوفى بها ج ٣ ص ٢٩٦ الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - دار المعرفة بيروت .

وبالتالى تكون هذه المراقبة ضابطا لسلوكه فيكون مراقبا لله فى سكناته وحركاته وأن الله معه أينما كان محيط به فينأى بنفسه عن المعاصى والموبقات ويندفع وراء الطاعات ارضاء لخالقه جل وعلا فتقوم هذه المراقبة بدور الحراسة والانضباط فكلما همت النفس بمعصية تجلت لها مراقبة الله واطلاعه على السر واخفى واحضر العقاب والثواب والبعد والقرب من العزيز الجبار فردع نفسه وزجرها عن المعاصى وبالتالي تندفع وراء الطاعات بقدر ما اوتيت ارضاء لخالقها وطمعا فى القرب من الله .

ولقد وردت كلمة المراقبة فى القرآن الكريم :-

( ١ ) ( اَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ) ( ١ ) اى حافظ ( ٢ ) فالله حافظ على كل نفس بما عملت من عمل ان خيرا او شرا وهذا مما يوقع الخوف والمراقبة لله عزوجل فمن كمال الالوهيه دوام حفظه ومراقبته لهم فلا يغفل ولا ينام ولذا ورد فى حديث الاحسان ( ٣ ) الصحيح عندما سئل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال : ( اَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ) . الحديث

وفى الحديث الحث على الاخلاص فى العبادة ونهاية المراقبة فيها ومن علم ان سره موضع نظر الله تعالى وجب عليه تصفية سره لمولاه واصلاح ذلك وتنقيته مما يكره الله تعالى . ( ٤ )

وقال الله تعالى : ( اِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ) ( ٥ ) اى حافظا لاموالكم واعمالكم فلا تخفى عليه خافية .

( ١ ) سورة الرعد آية : ٣٣ .

( ٢ ) بصائر ذوى التمييز ج ٤ ص ٣٠٧ .

( ٣ ) سبق الاشارة اليه وروده بتمامه فى فصل المراقبة - ص ٢٥٨ .

( ٤ ) عمدة القارى ج ١ المجلد الاول ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

( ٥ ) سورة النساء آية ١

## ثمرات المراقبة :

( ١ ) فشدة المراقبة تورث الخوف من الله عزوجل وقال تعالى فى بيان اثر الخوف فى ضبط النفس عن الهوى : ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ) ( ١ ) .

وقال ابن حزم هذه الآية جامعة لكل فضيلة لان نهى النفس عن الهوى هو ردعها عن الطبع الغضبى وعن الطبع الشهوانى ، لان كليهما واقع تحت موجب الهوى ، فلم يبق الا استعمال النفس للنطق الموضوع فيها ، الذى به بانث عن البهائم والحشرات والسباع . ( ٢ )

وقال صاحب المنازل الخوف هو الخروج عن طمأنينة المن بمطالعة الخبر ( ٣ ) ( والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف بل انما يراد به الكف عن المعاصى وتحرى الطاعات ولذلك قيل لا يعد خائفا من لم يكن لذنوبه تاركا .

وحكمه فرض على كل احد ) ( ٤ ) قال الله تعالى : ( وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) ( ٥ ) فالخوف من الوسائل التى تضبط دوافع الشهوات ويقضى على الاهواء وبالتالى فالمقصود من الخوف هو الانخلاع من المعاصى والاقلاع عن الذنوب فالخوف ثمرة من ثمرات المراقبة لله عزوجل .

( ١ ) سورة النازعات آية : ٤٠ .

( ٢ ) مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد فى الرذائل ص ١٣ لابن حزم الاندلس تحقيق ابو حذيفة ابراهيم بن محمد - مكتبة الصحابة بطنطا .

( ٣ ) منازل السائرين ص ٢٠ . والمراد بمطالعة الخبر اى باستحضار الوعد والوعيد بصائر ذوى التمييز ج ٣ بتصرف ص ٥٧٧ .

( ٤ ) بصائر ذوى التمييز ج ٢ ص ٥٧٦

( ٥ ) سورة آل عمران آية : ١٧٥ .

## درجات الخوف :

الخوف من العقوبة وهو الخوف الذى يصح به الايمان . وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العقاب . (١)  
ولذا شرع الله عزوجل العقوبات الدنيوية وكشف لنا عن العقوبات الاخروية فكان انضباط المجتمع حتى اصبح المسلم الاول باقامة الحدود والعقوبات الزاجرة عن المعاصى حتى اصبح افضل مجتمع شهدته العالم ولا يمكن يشهد مجتمع كالرعيل الاول عند تطبيق العقوبات التى حدثت من الشهوات فلا ينطلق الانسان كالوحش وراء شهواته واخذ ما يريد متى يريد وكيف يريد بل يخاف تطبيق العقوبة عليه فلا يسرق ولا يزنى ولا يقتل ولا غير هذه الجرائم التى تتولد عنها .

وقد نوه القرآن عن العقوبات الاخروية واظهر بعضا من صفات النار وذكر فيها من احوال وعذاب وذكر الزبانية واحوال القبر وغيرها مما يوقع فى النفس الخوف من الله عزوجل وبالتالي يستشعر الانسان عظمة الله عزوجل وقدرته على اللحاق بكل عاص وكل منحرف :  
( لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْزِزِينَ فِي الْأَرْضِ ) (٢) فهذا تهديد ووعيد شديد بأن الانسان لن يفلت من عذاب الله عزوجل ان عاجلا او آجلا .  
ومن ثمار المراقبة :

( ٢ ) المعرفة بالله عزوجل . وان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت (٣)  
فاذا علم ذلك يقينا تولد عنه انضباط لسلوك الفرد فلا يحاول ان يرتكب ما حرم الله عليه خفية ظانا ان الله لا يراه او ان الله لا يطلع على سره وعلانيته .

(١) من كتاب المنازل ص ٢٠ .

(٢) سورة النور آية : ٥٧ .

(٣) الاحياء ص ٤٠٣ ج ٤ .

ولذا قال الله تعالى : ( وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ) (١) فمعيته  
 محيطه بنا فى كل سكناتنا وحركاتنا فمتى استشعر الانسان ذلك عزم  
 على ترك المعاصى ظاهرا وباطنا قال الله تعالى : ( يَعْلَمُ خَائِنَةَ  
 الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ) (٢)  
 وتشمل المراقبة مراقبة النفوس قبل العمل وبعده على النحو  
 التالى :-

١ ( مراقبة العمل قبل الشروع فيه :

ومقصودنا من ذلك الاخلاص فى العمل لله فان كان لله خالما لا ريب  
 فيه امضاه وان دخله شىء ولا يسيرا من الرياء اعرض عنه لان الرياء  
 محبط للعمل .

٢ ( وان كان مقصوده من العمل اتباع هوى الشيطان فيتوقف فيه  
 ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق . (٣)

٣ ( مراقبة العمل عند تنفيذه :

ويقول الغزالي : ( وذلك بتنفيذ كيفية العمل ليقضى حق الله فيه  
 ويحسن النية فى اتمامه ويكمل صورته على اكمل ما يمكنه ) .

٤ ( المراقبة بعد العمل :

والعمل قد يكون اما مباحا - او طاعة - او معصية .

فان كان فى طاعة : فمراقبته بالاخلاص فيه لله عزوجل وخلوصه من  
 الرياء . وان كان فى معصية فمراقبته بالتوبة وسرعة الندم والاقلاع  
 عن الذنب (٤)

والتوبة بحد ذاتها ضابط لسلوك الفرد وهى فرض على كل مؤمن  
 لقوله تعالى : ( وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ) (٥) . فحثنا على التوبة من  
 جميع المعاصى بلا استثناء سواء كانت التوبة جزئية او كلية بمعنى

(١) سورة الحديد آية : ٤ .

(٢) سورة غافر آية : ١٩ .

(٣) الاحياء ج ٤ ص ٤٠٣ بتصرف .

(٤) الاحياء ج ٤ ص ٤٠٣ بتصرف .

(٥) سورة النور آية : ٣١ .

ان يقلع عن الذنوب او بعضا منها فهي مقبولة عند الله بمشيئته  
 تعالى ان شاء قبل التوبة وان شاء عذب عن الذنوب لقوله تعالى :  
 ( كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ) (١) اى قبول التوبة راد الى مشيئته  
 الله .

الوسيلة الثانية لضبط النفس :

تعريف المحاسبة :

وهو التمييز بين ما له وما عليه فيستصحب ما له ويؤدى ما عليه  
 . (٢) فكل نظر فى كثرة ومقدار العمل لمعرفة زيادة ونقصان فانه  
 يسمى محاسبة (٣)

فالمحاسبة ضابط لاندفاع النفس وراء شهواتها واهوائها فاذا  
 عرفت النفس انها ستوقف وتحاسب على كل صغيرة وكبيرة انقمت  
 شهوتها عن الاندفاع وراء هوى النفس وبالتالي فالمحاسبة سبب  
 رئيسى لامتلاك زمام النفس ونهيها عن اتباع هواها .

ولذا فان للمحاسبة فضائل كثيرة وقد حث عليها القرآن الكريم  
 فقال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ  
 مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ) (٤)

ففى الآية دليل على وجوب محاسبة النفس ( والمعنى لينظر احدكم  
 ما قدم ليوم القيامة من الاعمال الصالحات التى تنجيه من المسيئات  
 التى توبقه . **أها** ان صلاح القلب بمحاسبة النفس وفساده  
 باهمالها والاسترسال معها .

وقال الحجازى والمقصود اتقوا الله حيثما كنتم وفى اى عمل  
 عملتم ولتنظر كل نفس اى شىء قدمته من الاعمال يوم القيامة

(١) سورة الانعام ية : ٥٤ .

(٢) مدارج السالكين ج ١ ص ١٩٠ .

(٣) الاحياء ج ٤ ص ٣٩٦ .

(٤) سورة الحشر آية : ١٨ .

ولتحاسب نفسها عما عملت قبل ان تحاسب هي عليه .

ثم قال وفي هذا حث عظيم على النظر فيما ينفع لغد وبيان ان النظر فيه قليل (١)

وفى الحديث الشريف الحث على محاسبة النفس وقهرها وعدم اتباعها هواما ( روى شداد بن اوس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : ( الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ ) (٢) اقوال :

ويروى عن عمر بن الخطاب قال : حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وتزينوا للعرض الاكبر وانما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه فى الدنيا (٣)

فعمر رضى الله عنه اراد لنا الخلاص من مكر النفس ولهوها والاتجاه الى معاتبته وعدم اهمالها لى لا يكون الحساب العسير يوم القيامة وهذه المعاتبة من صفات المؤمنين كما قال الحسن ( لا تلقى المؤمن الا يحاسب نفسه وماذا اردت تعملين وماذا اردت تاكلين وماذا اردت تشربين والفاجر يمضى قدما لا يحاسب نفسه .

وقال ايضا ان العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته . (٤)

فضيلة المحاسبة :

قال الله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ) (٥)

(١) التفسير الواضح للحجازى ج ٢٨ ص ٢٣ .

(٢) سبق تخريجه . ص ٤٩٤

(٣) رواه الترمذى ج ٤ ص ٦٣٨ .

(٤) الاحياء ج ٤ ص ٤٠٥ . وقد سكت عنه العراقى .

(٥) سورة الاعراف آية : ٢٠١ .

فضيلة المحاسبة ان الانسان اذا عرض عمله فى يومه وليلته عاتب نفسه واقطع عن المعاصى ولجا الى الاستغفار والندم والتوبة وعدم تكرار الذنب ولذا قال العلماء ان المحاسبة مصالح مستفادة الا وهى :-

#### ١ - الاطلاع على عيوب النفس :

ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه ان ينته فاذا اطلع على عيبها مقتها فى ذات الله تعالى . (١)

فاطلاع على عيوب نفسه بدوام محاسبتها ومراقبتها ومناقشتها حتى يصل الى التوبة والندم والاقلاع عن الذنب .

فالنفس داعية الى المهالك معينة للاعداء طامحة الى كل قبيح متبعة لكل سوء فهى تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة (٢) ولذا فالمحاسبة لها تكون ضابطا لجنوحها واعتدادها بحالها ولجوئها الى المهالك .

#### ٢ - ومن فوائد المحاسبة :

ان يعرف بذلك حق الله تعالى ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فان عبادته لا تكاد تجديه وهى قليلة المنفعة جدا .  
فمن انفع ما للقلب النظر فى حق الله على العباد فان ذلك يورثه مقت نفسه والازدراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه والياس من نفسه وان النجاة لا تحصل له الا بعفو الله ومغفرته ورحمته (٣)  
فلنلاحظ من هذا ان معرفة حق الله عزوجل هى ضابط لسلوك الفرد من نواحي عدة .

١ ( ) تخلصه من العجب ورؤية العمل .

٢ ( ) تفتح له باب الخضوع والذل والانكسار .

٣ ( ) وبهذا يدرك المرء انه لن ينال الجنة الا بفضل ربه فتهون عليه نفسه ويدرك ضعفه وعجزه .

(١) اغاثة اللفهان ص ٨٦ .

(٢) اغاثة اللفهان ٨٥ .

(٣) نفس المرجع ٨٥ .



## الوسيلة الثالثة : المجاهدة

المجاهدة وسيله امتلاك النفس . ولذا فانه ينبغي كسر هوى النفس ومنعها بايه وسيله تؤدى الى كبح جماعها وزجرها لكي تتجه الى فعل الطاعات وتنزجر عن الهوى ولا يمكن حمل النفس الجموح الكسول على الخير واجتناب الشر الا بثلاثه اصول :

الأصل الأول :

ذكر اقواله سبحانه وتعالى في الترغيب والترهيب . (١) ومن ذلك ذكر الجنة وما فيها واحوال اهلها ومستحقيها بفضل ربهم . وذكر اهل النار وما يحيط بهم من عذاب وما هم فيه من ويلات وانكاسات وخلود ابدى مما يجعل النفس تنزجر وتقلع عن اتباع الهوى فيجمع الانسان بين الخوف والرجاء فالخوف دافع الى الزجر عن المعاصى فان النفس الامارة بالسوء مياله الى الشر طامحه الى الفتنة فلا تنتهى عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ فكما ان الخوف دافع الى الزجر عن المعاصى فهو ضابط للسلوك يمنع الفرد من الوقوع فيما يغضب الله خوفا منه وكذا الرجاء يمكن ان يكون باعثا للطاعات دافعا الى فعل الخيرات فارحاء القوى في رحمه الله والترغيب البالغ في حسن ثوابه وكريم اجرة دافع الى فعل الخيرات ورضى الرب جلا وعلا .

والرجاء ايضا ضابطا لسلوك الفرد المسلم اذ يؤمله بالفرج بعد الكرب والشفاء بعد المرض وقدرة الرب على الظالم والثواب العظيم للصابر مما يكون دافعا له الى الالتحاق الى الله عز وجل وتعلق الرجاء به جلا وعلا (٢)

(١) منهاج العابدين ص ٦٩ - طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية

ابى حامد الغزالى

(٢) منهاج العابدين ص ٦٩ - ٧٠ بتصريف شديد .

كما ان الرجاء يكون ضابطا لسلوك الفرد فيدفعه الى الصبر والانضباط وتحري الأجر من الله والصبر بجد ذاته ايضا ضابط لسلوك الفرد ولاندفاع وراء الشهوات ورغباته .

### تعريف الخوف :

الخوف رعدة تحدث في القلب عن ظن مكروه يناله والخشيه نحوه لكن تقتضى ضربا من الاستعظام والمهابه (١) ومن هنا كان الخوف ضابطا لسلوك الفرد فالرعه والرهبه التي يشتشعر بها الفرد تمنعه من ممارسه فعلته القبيحه وتمنعه من التجرؤ على الله عز وجل وارتكاب المحرم .

### تعريف الرجاء :

هو ابتهاج القلب بمعرفه فضل الله سبحانه واسترواحه الى سعه رحمه الله تعالى . (٢)

ومن هنا كان الرجاء دافعا الى الصبر لينال عظيم فضل الله وسعه رحمته فيأمل بالجنه ونعيمها والنصر على الظالم لينضبط سلوكه وتسمو روحه والرجاء دافع الى التوبه والاقلاع عن الذنب فاذا تعلق النفس بالله عز وجل وقوى الرجاء به لجا الى ربه واقلع عن ذنبه لذا قال الله تعالى : ( لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ) (٣) ( وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ) (٤) وقال الله تعالى ( وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ) (٥) والخوف ايضا دافع للتوبه سواء كان الخوف من العقوبه الدنيويه

(١) منهاج العابدين مرجع سابق ص ٧١ .

(٢) منهاج العابدين مرجع سابق ص ٧١ .

(٣) سورة المائدة آيه (٥٣)

(٤) سورة آل عمران آيه (١٣٥) .

(٥) سورة الاعراف آيه (١٥٦)

أو العقوبة الأخرى وهو دلالة على عمق إيمان المرء بربه عز وجل  
 فإذا صدق المرء بالعقوبة الأخرى خاف هذه العقوبة فلجأ إلى  
 التوبة وقد وردت في القرآن آيات للتخفيف فقال الله تعالى :  
**(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (١)**  
 وقال تعالى: **(لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِ  
 بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) (٢)**

فكل من الخوف والرجاء دافع للعمل للأخرة ونيل رضى الرب جل وعلا  
 فالرجاء والخوف يتشاطران في التأثير على المؤمن حتى يصبح تقيا  
 يصرفه الرجاء عن الشر وبردعه الخوف عن المعاصى ومما يساعد على  
 العمل للأخرة ومكابدة الهوى :-

(١) صدق الندم على ما مضى .

(٢) العزم على الا يعود .

(٣) مجانبه الخلطاء الذين يقيمون على الذنب ويصبرون عليه .

ومخالطه من يعينه على ما يريد من التقوى والعبادة .

(٤) يجعل الموت نصب عينيه فلا يأمن فى كل وقت يأتى عليه الموت قبل

أن يقضى ما منه أراد .

(٥) لا يبيع الطاعات بالمعاصى لأن كل من هم بمعصيه باع ضدها

من الطاعة (٣) .

وإذا فان النفس بحاجة الى العناية بها والزامها كلمه التقوى

والاستمرار معها حتى تنال رضوان الله عز وجل بوسائل مختلفه ومنها :

(١) مصحابه الاخيار من المجتهدين بالعبادة المتقربين الى الله عز

وجل وبالمقابل ترك صحبه الاشرار والذين صحبتهم توردهم

المهالك وهذا الفصل سيأتى الاشارة اليه فى فصل (( صحبه الاخيار

ومفارقة الاشرار مفصلا )) .

(١) سورة المؤمنون آيه (١١٥)

(٢) سورة النساء آيه (١٢٣) .

(٣) المسائل فى اعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل - الحارث

بن اسد المحاسبى تعليق وتحقيق عبد القادر احمد عطا - الناشر

عالم الكتب القاهرة - دار الثقافة العربيه للطباعة ص ٧١ بتصرف

(٢) الاقتداء بالسلف الصالح وسماع اخبارهم وتتبع احوالهم وانواع عبادتهم ومجاهدتهم لانفسهم ولذا قال الغزالي " فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله " (١)

الاصل الثانى :

التفكر فى افعاله عز وجل حيث لا يؤمن مكر الله فمتى تذكر الانسان قدرة الله على عباده وانه قد يجعل لهم العقوبه بالدنيا او يؤخرها لهم بالآخرة بل وحتى الانبياء قد نالتهم الابتلاء كما حصل لادم عليه السلام عندما عصى ربه مرة واحدة فكانت ان انزل من الجنة الى الارض ونوحا عليه السلام عندما لم يقل الا كلمه واحده فى غير وجهها اذ نودى ( فَلَا تَسْأَلِينَ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَإِنِّي اَعْظُكَ اَنْ تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ ) (٢) ثم يونس عليه السلام عندما ذهب مغاضبا فسجنه فى بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما وهو ينادى ( اِنْ لَّا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ سُبْحٰنَكَ اِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ ) (٣)

قال الله تعالى: ( فَالْتَقِمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيْمٌ فَلَوْلَا اَنْ كَانَ مِنَ الْمَسْبُوْحِيْنَ لَلَبَثَ فِيْ بَطْنِهٖ اِلٰى يَوْمٍ يُبْعَثُوْنَ ) (٤)

وهكذا سائر المرسلين فاذا وقفنا وقفه واحده مع هؤلاء المرسلين الكرام على الله عز وجل ووجدنا انه لن يفلت من عذاب الله احد فهم احق بالتكريم والغفران ومع هذا فقد عاتبهم وقد عاقب بعضهم بما يتناسب مع ذنبه اذا وقفنا هنا كان الاجدر بنا الا نعصى الله عز وجل وان تكون هذه النظرة دافعا لنا لطاعة الله وحدة وضابطا لسلوكنا

(١) الاحياء ج ٤ ص ٤١٦ .

(٢) سورة هود آيه (٤٦)

(٣) سورة الانبياء آيه (٨٧) .

(٤) سورة الصافات آيه (١٤٣) .

من الانحراف والمعصية فتلجم النفس بلجام التقوى وتقلع عن السيئات والمحرمات وعن الأهواء والشهوات والتي هي بطبعها مياله اليها صائرة بطبعها الى هوى النفس وشهواتها وحقيقه ان هذا مجاهدة ومكابرة يحتاج الى وقت طويل وتعويد لهذة النفس الجنوح على الخير حتى تعتادة .

### الأصل الثالث :

ومما يكون دافعا الى ضبط النفس ايضا ومجاهدة أهوائها وشهواتها تذكيرها بالأهوال الخمسة (( الموت - القبر - القيامة - الجنة - النار )) وما ورد فى كل مقام منها من الأجر العظيم للمطيعين والمجتهدين والعذاب للعاصين والمقصرين (١) فالموت حقيقه ثابتة مشاهدة ومحسوسة فتذكر الموت وانظر الى القبور واحوال الامم السابقه والتي فنت وقوله تعالى ( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ) (٢) كل هذا يكون ضابطا لانغماس النفس وراء شهواتها وملذاتها .

ثم اذا تذكروا ما وراء الموت من القبر وضيقه او سعته وما فيه من نعيم او أهوال وكون القبر روضه من رياض الجنة او حفرة من حفر النار اذا تذكر هذا انزجرت النفس من اتباع رغباتها وأهوائها . ثم تذكر القيامة وأهوالها فقد قال تعالى : ( يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) (٣) ( يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ) (٤)

(١) منهاج العابدين - مرجع سابق ص ٧٧ .

(٢) سورة الزمر آيه (٣١)

(٣) سورة الحج آيه (٢)

(٤) سورة المعراج آيه ( ١١-١٢ - ١٣-١٤-١٥ )

كفى بهذة الايه دليلا على اهلوال ذلك اليوم والمرجع والمال فاذا  
ايقن الانسان بهذة الاهوال جاهد نفسه على اللجوء الى الله والاعتصام  
من اتباع الشهوات والاهواء اما الجنة والنار فالجنة دافع للعمل  
والمسابقه فى الخيرات " وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ " (١) فالجنة دافع الى المسابقه فى  
طلب رضى الله عز وجل ونيل رضوانه ليتمتع الانسان بجناته كما ان  
النار ضابط عن الاندفاع وراء الشهوات المحرمه واتباع هوى النفس  
فمتى تذكر الانسان العذاب المقيم واصنافه المتعددة سارع الى  
المبادرة الى التوبة والندم والاقلاع عن الذنب واللجوء الى الله  
عزوجل .

## الفصل السابع

الرغبة في الجنة وما فيها  
والرهبة من النار وما فيها

(( الرغبة فى الجنة وما فيها والرهبه من النار وما فيها ))

\*\*\*\*\*

ان استخدام اسلوب الترغيب من اكبر وسائل التربيه ودافع قوى الى الانتاج كما ان للترهيب عنصر فعال فى التربيه وضابط للسلوك البشرى هذا ما اثبته علماء النفس ولكن السبق كان لكتاب الله عز وجل واحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم فقد استخدم القرآن كلا الاسلوبين فى تربية النفس البشريه فكشف لنا الحجاب عن بعض المغيبات وبلغ عن بعض الصفات التى فى الجنة وفى النار مما يدركه البشر ومما هو ملموس عندهم مع التباين بين النوعين وما فيها فما فى الجنة من الدنيا الا المسميات لكى تكون دافعا لنا الى العمل وكذا بالنسبه الى النار فهى ليست كنار الدنيا ولكنها تربو وتزيد عليها بسبعين جزاء فهذه النار المحسوسه لا يستطيع البشر تحملها فكيف بنار الآخرة فهى ضابط اذاً اعمال الشر ووسيله من وسائل الترهيب يخوف الله بها عبادة المؤمنين ولذا فاعرض فى هذا الفصل الى معنى الرغبة والرهبه ومعنى الجنة وكيف استخدم القرآن اسلوب الترغيب للتقرب الى الله ونيل الجنة وكذا الاحاديث الواردة فى الترغيب لعمل اهل الجنة ثم نخرج الى ان الجنة دافع الى عمل الخير وكذا بالنسبه لاسلوب الترغيب من النار وكيف استخدم القرآن التخويف من النار بذكرها وبيان انواع العذاب فيها وكذا الاحاديث الواردة فى هذا الشأن ثم النار ضابط عن عمل الشر خوفاً من الوقوع فيها .

الترغيب :

رغبة اعطاء ما رغب - والرغائب ما يرغب فيه من الثواب العظيم يقال رغبه ورغائب وقيل هى ما يرغب فيه ذو رغب النفس ورغب النفس سعة الامل وطلب الكثير والمرغب الاطماع والمرغب المضطرب للمعايش ودعا الله رغبة وفى التنزيل العزيز ( يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) (١) .



ورغبا بالتحريك ارادة فهو راغب وارتغب فيه مثله . (١)  
 وفي البصائر : الرغبة فى الشئ : ارادته يقال رغب فيه رغبا ورغبه  
 ارادة ورغب عنه : لم يرددة ورغب اليه رغبا وقيل توسع فى ارادته  
 اعتبارا بان اصل الرغبة . (١) السعه فى الشئ  
 الرهبه :

رهب بالكسر يرهب رهبه ورهبا بالضم ورهبا بالتحريك اى تقول  
 الرهباء من الله والرغباء اليه . وارهبه واسترهبه اخافه وفزعه (٢)  
 وفى البصائر : رهبه ورهبا ورهبانا بالضم ورهبانا بالتحريك خاف  
 مع تحرز واضطراب .  
 وقال تعالى : ( وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ) (٣) اى من الفزع  
 (وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ ) (٤) اى حملوهم على ان يرهبوا (٥)  
 الجنة فى اللغة :

جن الشئ يجنه جنا سترة وكل شئ ستر عنك فقد جن عنك وجنه  
 الليل يجنه جنا وجنونا وجن عليه يجن جنونا واجنه سترة (٦)  
 الجنة فى الاصطلاح :

الجنة وهو اسمها العام المتناول الدار الآخرة وما اشتملت عليه  
 من انواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقررة الاعين .

(١) لسان العرب ج ١ ص ٤٢٢ ، ٤٤٣ . بتصرف .

(٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز / تاليف الفيروز  
 بادى - ج ٣ ص ٨٩ .

(٣) لسان العرب ج ١ ص ٤٣٦

(٤) سورة القصص آيه (٣٢) .

(٥) سورة الاعراف آيه (١١٦)

(٦) البصائر - ج ٣ ص ١٠٠ .

(٧) لسان العرب ج ١٣ ص ٩٢ .

وأصل اشتقاقها من الستر والتغطية لأن أشجارها كثيفة الأغصان تستر وتغطي ما وراءها (١)

والجنة مكان النعيم الذى أعده الله لثواب المحسنين فى الدار الآخرة والجنات جمع جنة إشارة الى اقسام ومراتب داخل الجنة وان كل قسم منها وكل مرتبه يسمى جنة ايضا . (٢) فالجنة اسم من اسماء احد العظيمتين وهما الجنة والنار ومعناة البستان الكثير الشجر . (٣)  
اولا : الجنة :

وسوف اتطرق الى وصف نعيم الجنة ونعيم أهلها وسعتها والنعيم المقيم الملازم لأهلها وما ورد فى ذلك ثم الأحاديث النبويه فى وصف الجنة . قال تعالى (وَسَارِعُوْا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (٤)

يقول الالوسى والمراد انها غاية السعه بما هو فى تصور السامعين ولذا خص العرض دون الطول وليس المقصود تخصيص العرض (٥) وفى الآية حث المسارعه الى مغفرة الله التى بها ينال الدخول فى الجنة ويشمل جميع أعمال الخير والاسلام سواء كان بأداء الفرائض والطاعات من صلوات أو جهاد أو توبه أو نحوه والى هذا أشار

(١) نعيم الجنة فى القرآن والسنة - ص ٩ - عبد اللطيف عاشور

مكتبة القرآن - مطابع المختار الاسلامى .

(٢) سورة الرعد درسه أدبيه ولغويه وفكريه - عبد الرحمن حسن

الميدانى - عكاظ للنشر ج ٢١ ص ١٧٠ .

(٣) حياة أهل الجنة - محمود شلبى - ص ٢٢ دار الجيل - بيروت

(٤) سورة آل عمران آيه (١٣٣) .

(٥) روح المعانى ج ٤ ص ٥٧ .

الالوسى بقوله: (والظاهر العموم ويدخل فيه سائر الانواع . (١)  
 ونلمس فى هذه الآيه الحث على المبادرة لنيل مغفرة الله ورضوانه  
 وهى الدافع الى هذه التضحية العظيمة فما دام المؤمن يعلم انه إن  
 اتقى محارم الله وضبط شهواته فإن له هذه الجنة التى عرضها  
 السموات والأرض فيندفع بكل ما وهبه الله من دوافع لنيل هذه  
 المغفرة العظيمة فهو يضحى بشهواته ورغباته ويعمل المكارة ويصبر  
 عليها ارضاء لربه .

وفى صحيح مسلم عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ( حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالمَكَارَةِ وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ) (٢)  
 هذا الحديث فيه من الدوافع والضوابط التى تدل على الترغيب  
 والترهيب فقد حفت الجنة بالمكارة وذلك لضبط الشهوات وحسن تصرفها  
 وأن رغب الانسان فى غيرها الا انه يرى ما هو اعظم منها فتندفع تلك  
 الشهوة ويصير على المكارة ويقول النووى: ( اما المكارة فيدخل  
 فيها الاجتهاد فى العبادات والمواظبه عليها والصبر على مشاقها  
 وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقه والإحسان الى المسيء والصبر عن  
 الشهوات ونحو ذلك ) (٣)

ويبتعد عن الشهوات وان كانت فى نفسه دوافع تدفعه اليها ويقول  
 النووى ( والظاهر انها الشهوات المحرمه كالخمر والزنا والنظر الى  
 الاجنبية والغيبه واستعمال الملاهى ونحو ذلك واما الشهوات المباحه  
 فلا تدخل فى هذه لكن يكره الاكثار منها مخالفة ان يجر الى المحرمه

(١) روح المعانى ج ٤ ص ٥٧ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب الجنة وصفه نعيمها واهلها ج ١٧  
 ص ١٦٥ وأخرجه البخارى كتاب الرقاق باب حفت النار بالشهوات  
 ج ٨ ص ١٢٧ وأخرجه الترمذى كتاب الجنة باب ما جاء حفت الجنة  
 بالمكارة وحفت النار بالشهوات ج ٤ ص ٦٩٣ حديث ٢٥٥٩ وأخرجه

احمد ج ٢ ص ٦٠

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٦٥ المجلد ٩ .

أو يقسى القلب أو يشغل عن الطاعات أو يحوج إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا (١)

وقد ذكر القرآن في وصف انهار الجنة قال تعالى :  
 ( مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ  
 مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ  
 مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي  
 النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ) (٢)

هذا شروع في وصف الجنة وبيان ما فيها والمراد مثل الجنة وصفها العجيب الشأن .

ثم ذكر سبحانه ما في الجنة فقال فيها انهار من ماء غير آسن . فهذا وصف لانهار الجنة انهار من لبن . قال الله تعالى ( وانهار من لبن لم يتغير طعمه ) أى لم يحمض كما تتغير البان الدنيا لانها لم تخرج من ضروع الابل والغنم والبقر . ومن انهار الجنة ايضا انهار الخمر قال الله تعالى : ( وانهار من خمر لذة للشاربين ) أى لذية الطعم طيبه للشرب لايتكرها الشاربون

ومن انهار الجنة نهر العسل المصفى قال الله تعالى : ( وانهار من عسل مصفى ) أى مصفى مما يخالطه من الشمع والقذى والعكر والكدر ولهم ايضا من كل الثمرات فقال الله تعالى : ( ولهم فيها من كل الثمرات ) أى لاهل الجنة فى الجنة مع ما ذكر من الاشربة من كل الثمرات أى من كل صنف من اصنافها ولهم ايضا (٣) (ومغفرة من ربهم) فهذا كشف لنا لبعض ما فى الجنة من انهار مختلفه الطعم طيبه المذاق لاخالطها كدر ولانكد ولهم ايضا من كل انواع الثمرات مما تشتهيهم انفسهم فضلا من الله ونعمه وفوق ذلك لهم الراحة

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٦٥ المجلد ٩ .

(٢) سورة محمد آيه (١٥) .

(٣) تفسير فتح القدير - ج ٥ ص ٣٤ .

النفسيه فقد تحقق لهم المغفره من الله وكل ذلك جاء على وجه التقريب الى الافهام لان اللغات البشريه موضوعه فى الأصل للتعبير عن الاشياء الارضييه ومن المحقق ان انهار الجنه ليست كأنهار الدنيا ولا لبنها ولا عسلها وخمرها . (١) اذافى الجنه كل شىء ففيها الظل الممدود عن انس بن مالك رضى الله عنه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (رَأَى فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يُسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا) (٢) والمراد فى ظلها اى فى نعيمها وراحتها وفيه اشارة على امتدادها (٣) ويقول النووى ( المراد بالظل كنفها وذراها وهو ما يستر اغصانها . (٤) اما عن نعيم الجنه الدائم الذى لا ينقطع فيحدثنا القرآن الكريم ورسوله الأمين صلى الله عليه وسلم عن هذا النعيم الدائم : فقد وعد الله الموحدين بالخلود الدائم (٥) فقال الله تعالى : (أَفَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ إِلَّا لَمَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمَعْدُبِينَ وَإِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٦)

(١) تعريف عام بدين الاسلام ج ١ ص ١٣٥ - على الطنطاوى - مؤسسة الرساله .

(٢) اخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب ما جاء فى صفه الجنه وانها مخلوقه ج ٤ ص ١٤١ وكتاب الرقاق باب صفه الجنه والنار ج ٨ ص ١٤٢ . واخرجه مسلم كتاب الجنه وصف نعيم اهلها ج ١٧ ص ١٦٧ - ص ١٦٨ واخرجه الترمذى كتاب الجنه باب ما جاء فى صفه شجر الجنه ج ٤ ص ٦٧١ حديث رقم ٢٥٢٣ - ٢٥٢٤ - ٢٥٢٥ - واخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب صفه الجنه ج ٢ ص ١٤٤٧ حديث ٤٣٣٥ واخرجه احمد ج ٢ ص ٢٥٧ - ٤٠٤ و ج ٣ ص ١١٠ - ١٣٥ .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٣٢٦ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٦٧ .

(٥) حادى الارواح ص ٢٩٧ .

(٦) سورة الصافات آيه ٥٨ - ٥٩ (

" هذا يوقظ القلوب ويوجهها الى العمل والتسابق لمثل هذا المصير وهذا النعيم الذى لا يدركه فوت ولا يخشى عليه من نفاذ ولا يعقبه موت ولا يتهدده العذاب . (١) وفى الحديث النبوى ما يدل على خلود اهل الجنة فى نعيمهم وطمأنينتهم لا يكدر مفهوم التفكير بالموت ولا انقطاع هذا النعيم

فعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَيْئَسُ لِاتَّبَلَى ثِيَابَهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابَهُ ) (٢) فمن يدخل الجنة لا يصيبه باس وهو شدة الحال . وينعم اى يدوم له النعيم . وعن ابي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( يَنَادِي مُنَادٍ اِنَّ لَكُمْ اَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا اَبَدًا وَاِنَّ لَكُمْ اَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا اَبَدًا ) (٣) وَاِنَّ لَكُمْ اَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا اَبَدًا وَاِنَّ لَكُمْ اَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَيْئَسُوا اَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ( وَنُودُوا اَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ اَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) (٤)

فلاحظ من هذه الاية وهذين الحديثين وسائل الترغيب على النحو التالى :

- (١) الخلود فى النعيم .
- (٢) الحياة الدائمة فلا موت ابدا
- (٣) النجاة من العذاب .
- (٤) لا تبلى ثيابه .
- (٥) ليس هناك امراض ولا ابتلاء باى صنف من اصناف البلاء .
- (٦) الشباب الدائم .

- 
- (١) فى ظلال القرآن - سيد قطب - ص ٢٩٨٨ ج ٥ - دار الشروق .
  - (٢) اخرجه مسلم كتاب الجنة وصفه نعيمها واهلها واللفظ له ج ١٧ ص ١٧٥ بشرح النووى واخرجه احمد ج ٣ ص ٣٨ .
  - (٣) اخرجه مسلم كتاب الجنة وصفه نعيمها ج ١٧ ص ١٧٥ بشرح النووى .
  - (٤) سورة الاعراف آيه (٤٣) .

ومن نعيم أهل الجنة ما لم يخطر على بال أحد قال الله تعالى  
 ( وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ  
 مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ  
 الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ) (١) وعن ابي هريرة رضى  
 الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ( قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
 أَعَدَّتْ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَأَعْيُنٌ رَأَتْ وَلَا أَأْذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِي  
 بَشَرٌ ذُخْرًا بَلَّهُ مَا أَطَّلَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ ) (٢) ( ( فلا تعلم  
 نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةٍ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ )) (٣)  
 وسائل الترغيب فى الآيه والحديث :

(١) الجنة تقرب فلا يكلفون مشقه السير اليها بل هى التى تجى  
 (وازلفت الجنة للمتقين )

(٢) ونعيم الرضى يتلقاهم مع الجنة ( هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ  
 من خشى الرحمن بالغيب وجىء بقلب منيب ) فيوصفون هذه الصفة مع  
 الملا الأعلى ويعلمون انهم فى ميزان الله اوابون حفيظون يخشون  
 الرحمن ولم يشهدوه منيبون الى ربهم طائعون .  
 (٣) ثم يؤذن لهم بالدخول بسلام لغير ما خروج ( ادخلوها بسلام ذلك  
 يوم الخلود ) .

(١) سورة ق آيه ( ٣١- ٣٢- ٣٣- ٣٤- ٣٥ )

(٢) اخرجه مسلم كتاب الجنة وصفه نعيمها واهلها ج ١٧ ص ١٦٦ واللفظ  
 له بشرح النووى واخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب ما جاء فى  
 صفه الجنة وانها مخلوقه ج ٤ ص ١٤٣ واخرجه احمد ج ٢ ص ٣١٣ ص  
 ٣٧٠ - وكتاب التفسير سورة السجدة ج ٤ ص ١٤٤ - ١٤٥ واخرجه  
 ابو نعيم فى صفه الجنة ج ١ ص ١٤٨ تحقيق على رضا عبد الله  
 دار المأمون للتراث

(٣) سورة السجدة آيه (١٧)

(٤) ثم يؤذن في الملا الأعلى تنويها بشأن القوم واعلانا بما لهم عند ربهم نصيب غير محدود ( لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ) . وهذا مصداقا للحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : ( اَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَأَعْيُنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ) ( ١ ) فمهما اقترحوا فهم لا يبلغون ما اعد لهم فالمزيد من ربهم غير محدود ( ٢ ) ولكن هذا النعيم الدائم قد نصت الآية عليه المستحق له واشارات الى ان هذه الدوافع كلها تحتاج الى ضوابط تضبط سلوك المرء فهي ليست جزافا ينالها المؤمن مع الكافر لكن لها ضوابط اشارت اليها الآية :

( ١ ) فهي للمتقين : فالتقوى ان تجعل بينك وبين عذاب الله وقايه وذلك بفعل المأمرو والبعد عن المحذور .  
 ( ٢ ) سرعة التوبة والإنابة إلى الله عز وجل لتكون ضابطا عن الذنب والاصرار عليه كما قال تعالى : ( لِكُلِّ اَوْابٍ خَفِيْظٍ ) ( ٣ )  
 ( ٣ ) الخوف والخشية من الله عز وجل وهذه كلها من مظاهر التقوى وهو اولى الضوابط التي تمنع من الاندفاع وراء الشهوات .  
 ومن نعيم اهل الجنة :

قال الله تعالى ( وَبَشِّرِ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَاتُوا بِمِثْلَابِهَا وَلَهُمْ فِيهَا اَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) ( ٤ )

( ١ ) سبق تخريجه ص ٢٢٤

( ٢ ) في ظلال القرآن - سيد قطب ج ٦ ص ٣٣٦٥ مرجع سابق .

( ٣ ) سورة ق آيه ( ٣٢ ) .

( ٤ ) سورة البقرة يه ( ٢٥ )



لما ذكر تعالى جزاء الكافر عقبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد في كتابه العزيز لما فى ذلك من تنشيط عباده المؤمنين لطاعاته وتنشيط عباده الكافرين عن معاصيه (١)

وسائل الترغيب فى الآيه :

(١) استخدام القرآن وبشر والتبشير هو الإخبار بما يظهر آثره على البشر وهى الجلدة الظاهرة من البشر والسرور .

(٢) ان لهم جنات : الجنات البساتين وانما سميت جنات لآثها تجن من فيها اى تسترة بشجرها . وهى اسم لدار الثواب كلها وهى مشتمله على جنات كثيرة

(٣) تجرى من تحتها الأنهار : والانهار جمع نهر وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر

(٤) ينالون ثمارها :

والمراد انواع الثمرات كالذى يعرفونه فى الدنيا وان اختلف فى الحجم والطعم والرائحة (٢) وقال ابن المبارك فى تفسيره قوله تعالى : ( وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذَلَّتْ قُطُوفُهَا تَدْلِيلاً ) (٣)

قال اهل الجنة ياكلون الثمار من الشجر كيف شاءوا جلوسا ومضجعين كيف شاءوا . (٤)

(١) تفسير فتح القدير ج ١ ص ٥٤ " مرجع سابق "

(٢) تفسير فتح القدير ج ١ ص ٥٤ - ٥٥ بتصرف شديد

(٣) سورة الانسان آيه (١٤) .

(٤) التذكرة فى احوال الموتى وامور الآخرة - للقرطبي ص ٨٥

(٥) لهم فيها أزواج مطهرة :

أى لم يصبهن ما يصبىب النساء من قذر الحيض والنفاس وسائر  
الأناس ومع ذلك فهن ابكارا كما قال الله تعالى : ( **إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ  
وَإِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَتْرَابًا** ) (٢) ( وهن عجائز الدنيا  
انشأهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن أزواجهن وجودهن ابكارا ) (٣)  
(٦) وهم فيها خالدون :

البقاء الدائم الذى لايقطع . فهذه الوسائل هى للحث والدوافع  
الى العمل والانتاج لمايرضى الله عز وجل والبعد عن كل مساخطه  
فهذا نعيم دائم غير زائل ولاناقص بل هى من تمام النعم التى يدوم  
فيها الخلود الابدى لاتنقص ولاتتبدل الا بما هو افضل منها وهى سواء  
كانت نفسيه او ماديه ملموسه اوغير ملموسه لتدخل الفرح والسرور  
على النفس والراحه التامه للفرد المؤمن وجمع سبحانه فى هذه  
البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من انهار ونعيم النفس  
بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقره العين بمعرفة دوام هذا العيش  
ابد الأباد وعدم انقطاعه . (٤)  
ومن نعيم الجنة :-

دخولهم زمرا وجماعات : قال الله تعالى : ( **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا  
رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ  
حُزْنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
صَدَقَنَا وَعَدَّةً وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ  
الْعَامِلِينَ ) (٥) .

(٢) سورة الواقعة آيه ( ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ ) .

(٣) تفسير فتح القدير ج ١ ص ٥٤ - ٥٥ ) بتصرف .

(٤) حادى الأرواح ص ١٥٦ - ص ١٥٧ .

(٥) سورة الزمر آيه ( ٧٣ - ٧٤ )

هذا اخبار عن حال السعداء والمؤمنين حين يساقون الى الجنة جماعه  
بعد جماعه .

وسائل الترغيب فى الآيه :

(١) يكون دخول الجنة جماعات - كل طائفة مع ما يناسبها الانبياء مع  
الانبياء والصديقون مع الصديقون والشهداء والعلماء مع زمريتهم  
وكل صنف مع صنف وكل زمرة تناسب بعضها بعضا . (١)

وفى هذا الدافع للترقى والتقرب الى الله ليعلوا المرء مع من  
يحب من هذه الجماعات فيكون مع زمرة من احب من الانبياء  
والصديقين والشهداء كما قال صلى الله عليه وسلم عن انس بن  
مالك رضى الله عنه : ( الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ) (٢)

(٢) الامن والسلام لهم - (وقال لهم حزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها  
خالدين ) فتفتح لهم الابواب تعظيما وتكريما وتتلقاهم الملائكة  
الخرنه بالبشارة والسلام والثناء . (٣)

فهذه الراحة النفسية والامن والسلام والترحاب نجدها فى آيات  
كثيرة فى القرآن الكريم : قال الله تعالى : ( وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِى اذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ اِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ) (٤)

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج ٤ ص ٦٦ مرجع سابق .

(٢) أخرجه البخارى واللفظ له كتاب الادب باب المرء مع من احب ج ١٦

ص ٤٨ - ٤٩ وأخرجه مسلم كتاب البر باب المرء مع من احب

ج ١٦ ص ١٨٦ وأخرجه الترمذى كتاب الزهد باب المرء مع من احب

ج ٤ ص ٥٩٥ - وكتاب الدعوات باب ٩٩ ج ٥ ص ٥٤ وأخرجه احمد ج ١

ص ٣٩٢ و ج ٣ ص ١٠٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج ٤ ص ٦٦ .

(٤) سورة فاطر آيه (٣٤)

فهذه من النعم النفسية وهى وسيلة للترغيب .فالدنيا بما فيها من قلق على المصير ومعاناة للامور تعد حزنا بالقياس الى هذا النعيم المقيم يوم الحشر على المصير مصدر حزن كبير .(١)

وقال الله تعالى فى سورة العنكبوت مما يدل على الامن والراحة قال الله تعالى : ( خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) (٢)

فهذا الثناء وهذا النعيم الدائم لايتسنى لكل احد بل ارشدنا القرآن الى الضوابط التى ينال بها هذا النعيم فقال هذا خاص لمن صبر وتوكل على الله فالصبر من اولى الضوابط الذى به ينال الثواب الحسن .

ومن هذه الضوابط حسن التوكل على الله فلا هم ولاغم بل هو قد توكل على الله عز وجل حق توكله فنال بهذا التوكل هذا النعيم المقيم بفضل الله عزوجل ويقول سيد قطب ( هذا حث على العمل والصبر والتوكل على الله وفى هذا من التثبيت والتشجيع لهذه القلوب فى موقف القلق والخوف والحاجة الى التثبيت والتشجيع(٣)

وقال الله تعالى فى سورة النبأ : ( لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ) (٤)

فالراحة النفسية تشمل كل من دخل الجنة فلا لغو ولا غلط يقول سيد قطب : ( فالحياة مصونه من اللغو والتكذيب الذى يصاحبه الجدال فالحقيقه مكشوفه لامحال فيها لجدل ولا تكذيب كما انه لا مجال للغو الذى لا خير فيه هوى حاله من الرفعه والمتعه تليق بدار الخلود)(٥)

(١) الظلال ج ٦ ص ٢٩٦١ .

(٢) سورة العنكبوت آيه ( ٥٨ - ٥٩ )

(٣) الظلال ج ٥ ص ٢٧٤٩ .

(٤) سورة النبأ آيه ( ٣٥ - ٣٦ )

(٥) الظلال ج ٦ ص ٣٨٠٨ .

ومن النعيم الذى اشار اليه القرآن ترغيبا لعباد الله المخلصين

وصف نساء اهل الجنة فقد جاء قوله تعالى :

( فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ) (١)

وقال فى سورة الصافات : ( وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ) (٢)

وقال الله تعالى : ( وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) (٣)

وفى هذه البشارة : نعيم النفس بالازاج المطهرة - والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل اذى يكون من نساء الدنيا . فطهر مع ذلك باطنها من الاخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من ان تطمح به الى غير زوجها وطهرت اثوابها من ان يعرض لها دنس او وسخ . (٥) (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ) (٦) اى حور حيايات لاتمتد ابصارهن الى غير اصحابهن حياء وعفه من انهن واسعات

(١) سورة الرحمن آيه ( ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ )

(٢) سورة الصافات آيه (٤٨)

(٣) سورة البقرة آيه (٢٥)

(٤) حادى الارواح ص ١٥٧ - دار القلم - بيروت - لابن الجوزيه .

وانظر ايضا التذكرة للقرطبى ص ٥٨٨ .

(٥) سورة الصافات آيه ( ٤٨ ) .

جميعات العيون وهى كذلك مصونات مع رقه ولطف ونعومه ( كَانَهُنَّ )  
 بِيضٌ مَكْنُونٌ ( ١ ) لاتبذله الايدى ولا العيون (٢).

واخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ قَالُوا فَمَا بَالُ الطَّعَامِ ؟ قَالَ جُثَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تَلْتَهُمُونَ النَّفْسَ ) (٣)  
 وهذا يؤيد ما ذهب اليه المفسرون من طهارة نساء اهل الجنة ظاهرا وباطنا . وجاء فى وصف نساء اهل الجنة من تمام الجمال كما قال تعالى ( وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ) (٤) وهن الفتيات الناهدات اللواتى استدار ثديهن . وهى متوافيات السن والجمال . (٥) وقال تعالى : ( لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ) (٦)

قال ابو عبيده لم يمسهن - ولم يطأهن ولم يغشهن . وذهب ابن الجوزى الى انهن لسن من نساء الدنيا وانما هن من الحور العين اللاتى خلقهن الله فى الجنة . (٧) فالنساء قد خلقهن الله للمتعه للازواج وهن من المحبيبات لنفس الرجال والمرأة من اقوى الدوافع وحب النساء دافع فطرى فى النفس البشرية ومن اجل هذا الحب جعل وسيله للترغيب والتقريب للجنة فالحور العين والنساء اللاتى ذكرن فى القرآن وسائل الترغيب العاملين وترغيب المؤمنين للعمل وضبط الشهوات .

(١) سورة الصافات آية (٤٩)

(٢) الظلال ج ٥ ص ٢٩٨٧

(٣) اخرجه مسلم كتاب الجنة باب الجنة وصفه نعيمها واهلها ج ١٧

ص ١٧٤

(٤) سورة النبأ آيه (٢٣)

(٥) الظلال ج ٦ ص ٣٨٠٨ .

(٦) سورة الرحمن آيه (٥٦)

(٧) حادى الارواح ص ١٦

فالأعمال الصالحة مهوور للهور العين فى الجنة فقال الله تعالى  
 ( وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ ) الى قوله ( وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ) (١) ويقول ابو هريرة  
 ( يتزوج احدكم فلانه بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين  
 باللقمه والتمرة والكسوة ) (٢) اى بالصدقات وبالتقرب الى الله  
 بالحسنات فهذا مهرن كما يرى ابو هريرة رضى الله عنه ومن نعيمة  
 اهل الجنة ذلك الشراب الطهور الذى ذكر فى آيات عدة واحاديث نبويه  
 كريمه ترغيبا للعمل الصالح الذى ينال به رضوان الله تعالى .

فقال الله تعالى : ( يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ  
 لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ) (٣) وقال الله تعالى  
 : ( يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيْقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ  
 وَمِزَاجُهُ مِّنْ تَسْنِيمٍ . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ) (٤)  
 وقال الله تعالى : ( إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ  
 أَتْرَابًا . وَكَأْسًا دِهَاقًا ) (٥) .

يقول سيد قطب تلك اجمل اوصاف الشراب التى تحقق لذة الشراب  
 وتنفى عقابيله فلا خمر يصدع الرؤوس ولا منع ولا انقطاع يذهب بلذة  
 المتاع ) (٦) ويطاف عليهم بالخمر والمعين الماء الجارى فلا تغتال  
 عقولهم ولا يصيبهم منها صداع . (٧)

(١) سورة البقرة آية (٢٥)

(٢) التذكرة - ص ٥٥٧ مرجع سابق

(٣) سورة الصافات آية (٤٥ - ٤٦)

(٤) سورة المطففين آية ( ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ )

(٥) سورة النبا آية ( ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ )

(٦) الظلال ج ٥ ص ٢٩٨٧ .

(٧) التذكرة - ص ٥٨٧ .

وجاء في وصف الخمره انها مختومه تفض عند شربها (١) وقال ابن المبارك عن ابي الدرداء ختامه مسك اى شراب ابيض مثل الفضة يختتمون به اخر شرابهم ( وكأسا دهاقا ) وهى مناعم ظاهرها حسى لتقريبها للتصوير البشرى اما حقيقه مذاقها والمتاع بها فلا يدركها اهل الارض وهم مقيدون بمدارك الارض وتصوراتها (٢)

وهذه كلها دوافع لكى يتنافس عليها المتنافسون ولذا قال الله تعالى: (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) (اى فى الاعمال الصالحه) (٣)

وهذا النعيم الغير متناهى يستمر ليشمل طعامهم . قال الله تعالى : ( وَإِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ . وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) (٤)

وقال الله تعالى : ( وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ) (٥)

وهذا الطعام الهنىء المرىء نزلا وتكريما لاهل الجنه ووسيله من وسائل الترغيب حيث انه من المعروف قوة الدافع الى الطعام من اجل البقاء فالبحث عن الطعام دافع فطرى فى النفس البشرىه فهم يبشرون بهذة النعم الدائمه .

ويقول سيد قطب : ( لهم فواكه وهم على سرر متقابلين وهم يخدمون فلا يتكلفون شيئا من الجهد فى دار الراحة والرضوان والنعيم ) (٦)

(١) الظلال ج ٦ ص ٣٨٥٩ .

(٢) الظلال ج ٦ ص ٣٨٠٨ .

(٣) التذكرة - ص ٥٨٨

(٤) سورة المرسلات آيه ( ٤١ - ٤٢ - ٤٣ )

(٥) سورة الطور آيه ( ٢٢ - ٢٣ )

(٦) الظلال ج ٥ ص ٢٩٨٧ .



ومن الحديث يبدو لنا التفاضل الواضح بين طعام اهل الجنة والطعام فى الدنيا كما سبق ان نقل ان الاتفاق فى المسميات تقريبا للاذهان فقط . ولذا نقل النووى مذهب اهل السنة وعامة المسلمين (ان اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون ينعمون بذلك وبغيره من ملاذ وانواع نعيمها تنعما دائما لا آخر له ولا انقطاع ابدا وان تنعمهم بذلك على هيئة تنعيم اهل الدنيا الا فى التسمية واصل الهيئه والا فى انهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون وقد دلت دلائل القرآن والسنة فى هذه الاحاديث وغيرها ان نعيم الجنة دائم لا انقطاع له ابدا) (١)

( فهذا التفاضل بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة يجعل الفضلات من براز او بصاق او نحوه يختلف باختلاف التفاضل بين نوعى الاكل والشرب فى الآخرة اكل اهل الجنة ناعم ومشربهم ناعم فلا عجب ان تخرج فضلاتهم ناعمه كذلك كريح المسك لان هذا يتناسب مع طهارة الجنة التى حرم الله عليها النجاسة والانجاس ) (٢) ومن نعيم المأكول والمشرب الى نعيم الملابس حيث لا يمكن ان يستغنى عنه الانسان وهو من دافع البقاء على هذه البسيطة لذا يتنافس الناس فى الملابس ويتباهون به ولهذا يسعون فى سبيل الكسب والتحصيل فى الدنيا اما فى الآخرة فملبس من فضل الله وحلى من نعيم الجنة لا يسعى فيها ولا شقاء من اجلها لذا قال الله تعالى فى آيات من كتابة العزيز (جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ اَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى اَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ اِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ) (٣)

(وذلك بعض المتاع ذى المظهر الذى يلبي بعض رغائب النفوس

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٧٣

(٢) حياة اهل الجنة - محمود شلبى ص ٢٧٥ دار الجيل بيروت .

(٣) سورة فاطر آية ( ٣٣ - ٣٤ )

وبجانبه ذلك الرضا وذلك الأمن والاطمئنان (١)

وقال الله تعالى: (يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا) (٢)

قال المفسرون: (ليس أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسورة

سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ.

وقال الله تعالى: (وَحَلَاوًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) (٣)

وقال الله تعالى: (وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) (٤)

وقال الله تعالى: (عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) (٥)

والاستبرق الديباج الصفيف الكثيف . وسندس الرقيق الخفيف (٦)

هكذا جمع لهم بين الصنفين المتباينين ليجتمع لهم كل ماتحب نفوسهم من خفيف وثقيل وناعم الملمس وكل هذة وسائل للترغيب للعمل لالاخرة .

قال الزجاج: ( احسن الالوان الاخضر والين اللباس الحرير

فجمع لهم بين حسن مظهر اللباس والتذاذ العين به وبين نعمته

والتذاذ الجسم (٧).

وسائل الترغيب فى الآيات السابقه :-

(١) يلبسون الذهب والفضه .

(٢) يلبسون الثياب الخضراء من حرير .

وهذا كله من الدوافع الفطرية اذ يقول الله تعالى ( زين

للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من

الذهب والفضه والخيول المسومه والانعام والحرث ذلك متاع الحياة

الدنيا) (٨)

(١) الظلال - ج ٦ ص ٢٩٤١ .

(٢) سورة الحج آيه (٢٣)

(٣) سورة الانسان آية (٢١)

(٤) سورة الكهف آية (٣١)

(٥) سورة الانسان آية (٢١)

(٦) التذكرة ص ٥٨٣ مرجع سابق وانظر ايضا حادى الارواح ص ١٤٢ .

(٧) حادى الارواح ص ١٤٥ .

(٨) سورة آل عمران آية (١٤)

فدافع الزينة والنساء وحب المال كل هذه من الدوافع الفطرية المحببة للنفس البشرية والتي جعلت وسائل للترغيب للعمل لآخرة والاستقامة على منهج الله عزوجل كما قال الله تعالى فى مدح المؤمنين ( إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ) (١) فالاستقامة على شرع الله ومنهج الله ضابطان حث عليه القرآن ويقول سيد قطب ( هؤلاء هم المؤمنون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الطريق اليه بالايمان والعمل الصالح . ولذا جعل لهم فى الآيه من وسائل الترغيب حيث يقيض لهم ملائكة يفيضون على قلوبهم الأمن والطمأنينه ويبشرونهم بالجنة ويتولونهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة). (٢) وهكذا نعيم اهل الجنة غير متناه فهم ينقلون من نعيم الى نعيم افضل منه واعظم منه مصداقا لقوله تعالى فى الحديث القدسي عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يقول الله عزوجل اَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَاعَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلَّهَ (٣) مَا أُظْلِعْتُكُمْ عَلَيْهِ (٤) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ) (٥)

ففى هذا الحديث يتجلى لنا نعم عظيمه كالنظر الى وجه الرب وحلول رضوانه وما لا يدركه البشر من نعم لا يخطر على البال كما قال

(١) سورة فصلت آيه ( ٣٠ - ٣١ )

(٢) الظلال ج ٥ ص ٣١٢٠ يتصرف .

(٣) بله بمعنى غير . وقيل اسم من اسماء الأفعال بمعنى دع / التذكرة

ص ٥٢١ مرجع سابق

(٤) سبق تخريجه ص ٣٤٠ .

(٥) سورة السجده آيه (١٧) .

الخطابي : ( المراد من بله دغ ما اطلعتكم عليه فانه سهل في جنب ما ادخر لهم ) (١)

واخرج مسلم في صحيحه عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لُبَيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَنْرَضِيَ يَا رَبُّ وَقَدْ أَعْطَيْنَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ إِلَّا أَعْطَيْتُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ يَا رَبُّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أَحَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا سَخَطَ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) (٢)

اذا فهذه اعظم وسيله للترغيب نختتم بها هذا الجراء من الفصل الا وهى التنعم الدائم والخلود الابدى بهذا النعيم قال الله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (٣)

وقال محمد بن الحسين رحمه الله ولهذا في القرآن نظائر كثيرة تخبر ان المتقين فى الجنة خالدين فيها آمنين لا يذوقون فيها الموت ابدا ولا يخرجون من الجنة ابدا . (٤)

(١) نقلنا عن صفة الجنة للحافظ ابن نعيم الاصبهانى تحقيق على رضا

عبد الله ج ١ ص ١٤٨ دار المأمون التراث .

(٢) اخرجه مسلم فى كتاب الجنة وصفه نعيمها واهلها ج ١٧ - المجلد ٩ ص ١٦٨ شرح النووى .

(٣) سورة التوبة آية (٢٠ - ٢١٠ - ٢٢) .

(٤) الشريعة للامام محمد بن الحسين الاجرى المتوفى سنة ٦٣٠ - تحقيق

محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ ص ٣٩٩

محمد بن الحسين :- ابوبكر الاجرى فقيه شافعى محدث ولد فى آجر

من قرى بغداد وحدث قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل الى مكة

وتوفى فيها ج ٦ ص ٩٧ الاعلام للزركلى .

الجنة دافع الى فعل الخير :

هكذا استخدم القرآن أسلوب الترغيب وعرض المغيبات عن الجنة وتقريبها للادهان لكي تكون دافعا لعمل الخير والتزود للاخرة . وقد اشرت الى ما نقله النووى من اجماع اهل السنة على التفاضل بين نعيم الجنة ونعيم الدنيا .

وقد حث القرآن الكريم والسنة النبويه على المسابقه لنيل رضوان الله عز وجل ونيل الجنة وهذا الحث يكون دافعا للترقى .  
 كما قال الله تعالى : ( سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ) (١) فقد حثت الآيه على المسابقه فى فعل الخيرات وطلب الرضى من الله لينال بذلك هذه الجنة التى وعد بها المتقون فقط اذ جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقايه باجتنا ب معاصيه والالتزام بما يرضيه لذا قال الله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَّزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢)

فالجاء والبشارة من الله للمؤمنين الذين الزموا انفسهم بان عملوا الصالحات والطاعات هكذا جعلت الجنة دافعا الى فعل الخيرات وفى الحديث عن اسامه بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لاصحابه " أَلَا مَشْرُوعٌ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نَورٌ يَتَلَاوُجُ وَرِيحَانُهُ تَهْتَزُّ ، وَنَهْرٌ مُّطَرِدٌ ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نُضْجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ فِي

(١) سورة آل عمران آية (١٣٣).

(٢) سورة البقرة آية (٢٥).

مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ " (١)

وفى الحديث استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كدافع للعمل ولذا قال ( الْأَمْشَرُّ لِلْجَنَّةِ ) أى الأفيكم ساع لها غايه السعى طالب لها عن صدق ورغبه وقوله ( مطرد ) أى جار من اطرده الشيء أى تتبع بعضه بعضا وجرى. (٢) فقد كشف لنا جانب من المحبوبات الى النفس فى الجنة والتي هى دوافع للسعى لنيل الجنة ففيها القصور والانهار والفاكهه والزوجه الحسناء الجميلة والملابس النضرة وكل هذة من المحبوبات التى يعمل من أجلها الانسان ويسعى ليصل اليها فلذا حث على عمل ما يرضى الله لكى يكون به الوصول الى الجنة بفضلہ ورحمته. وكما استخدم القرآن الجنة كاسلوب للترغيب والعمل فقد وردت كثير من الآيات للترهيب من النار والتحذير منها وكذا فى السنه النبويه فقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواقف كثيرة وأحاديث عديدة من النار

وقد عرض بعض صفات النار ترهيبا منها . كما عرض لصفات مستحقيا ممن يعذبون بها وحذر من الصفات التى تؤدى الى الوقوع فقال الله تعالى فى سورة البقرة : ( فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ) (٣)

(١) أخرجه ابن ماجه فى سنة كتاب الزهد باب صفة الجنة ج ٢ ص ١٤٤٨ حديث رقم ٤٣٣٢ وفى الزوائد فى اسنادة مقال - لوجود سليمان ابن موسى مختلف فيه والضحاك المعافرى الدمشقى ذكره ابن حبان فى الثقات وقال الذهبى فى طبقات التهذيب مجهول وباقى رجال الاسناد ثقات ورواه ابن حبان فى صحيحه / سنن ابن ماجه تعليق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي ج ٢ ص ١٤٤٩ .

(٢) سنن ابن ماجه تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ج ٢ ص ١٤٤٨ .

(٣) سورة البقرة آية (٢٤)

( وفى هذا من التهويل ملا يقدر قدرة من كون هذة النار تتقد  
الناس والحجاره فأوقدت بنفس مايراد احراقها به ) (١)  
فقد كشف لنا سبحانه وتعالى جانبا من المغيبات تحذيرا وترهيبا من  
الوقوع فى النار لكى يكون ذلك ضابطا لنا من التكذيب بالقرآن او  
لرسوله صلى الله عليه وسلم كما يكون دافعا لنا بالايمان بالله  
وكتبه ورسله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه .

وعبر عن وسائل الترهيب بقوله :

(١) فاتقوا النار . تحذيرا منها .

(٢) جعل وقودها الناس بزيادة فى الترهيب اذ انه يدرك من ذلك ان  
الانسان نفسه يصبح مادة لاشعال النار .

(٣) وجعل وقودها الحجاره أيضا ومما هو معلوم لدينا ان الحجاره  
تمتص الحرارة ولا تفقدتها بسهولة مما يزيد من شدة الترهيب  
والحذر من الوقوع فى نار جهنم "ولذا قال المفسرون ان المراد  
بالحجاره الكبريت توقد بها النار ، ويقال ان فيها خمسة انواع  
من العذاب ليس فى غيرها من الحجاره : سرعه الايقاد وبتن  
الرائحه وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان - وقوة حرقها اذا  
احميت (٢) .

وقال الله تعالى فى وصف غرف اهل النار ( لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنْ  
النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَأْتُونَهَا فَاتَّقُوا ) (٣)

هذا مشهد رهيب وهو اسلوب للترهيب بعرض هذة الغرف التى  
اتقدت عليهم فلا يرون الا النار المحرقة قد احاطت بهم . ويقول سيد  
قطب " هذا مشهد رهيب حقا وهو مشهد النار فى هيئته ظلل من فوقهم  
وظلل من تحتهم وهم فى طيات هذه الظلل المعتمه تلفهم وتحتوى

(١) فتح القدير ج ١ ص ٥٢ - مرجع سابق .

(٢) التخوييف من النار والتعريف بحال دار البوار - للامام ابو

الفرج بن رجب ص ٨٢ دار الهجرة .

(٣) سورة الزمر آية (١٦)

عليهم وهو النار " وهذا مشهد يعرضه الله لعبادة وهم بعد فى الارض يملكون ان ينادوا بانفسهم عن طريقته ويخوفهم مغيبته لعلهم يجتنبونه " (١) هكذا ظهر لنا من الايه ان المقصود منها التخويف والتهويل وان كنا لاندرك حقيقة وكنة هذه النار وشدتها ولكننا ندرك عظم اذاها وان كانت غير ملموسة لنا الان ولذا قال الله تعالى كاسلوب للترهيب :

(١) ( ذلك يخوف الله به عبادة )

(٢) واستخدم ايضا اسلوب التحذير فقال : ( يا عبادى فاتقون ) فان تقوى الله ضابط للنفس من الوقوع فى معاصى الله وبالتالي فهى نجاته لعباد الله .

وفى الحديث عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ قَالَ فَضَلَّتْ عَلَيْهِنَ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا ) (٢)

فهذا الحديث يخوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم امته ويحذرهم النار ويبين لهم التابين بين نارى الدنيا والاخرة مما اهل الصحابه ووقع فى نفوسهم فقالوا " انها لكافيه " اى نار

(١) فى ظلال القرآن سيد قطب - ج ٥ ص ٣٠٤٥ .

(٢) اخرجه البخارى - كتاب بدء الخلق - باب صفه النار وانها مخلوقه ج ٤ ص ١٤٧ واخرجه مسلم كتاب الجنه باب جهنم اعادنا الله منها ج ١٧ ص ١٧٩ . واخرجه احمد ج ٢ ص ٤٦٧ واخرجه مالك ص ٦١٤ كتاب جهنم باب ما جاء فى صفه جهنم . واخرجه الترمذى كتاب صفه جهنم باب ما جاء ان ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ج ٤ ص ٧٠٩ حديث ٢٥٨٩ . واخرجه ابن ماجه كتاب الزهد باب صفه النار حديث ٤٣١٨ .



الدنيا كانت مجزئه لتعذيب العصاة " (١) . فهي فضلت عليها  
 ( بتسعه وستين جزءا كلهن مثل حرما ) والمراد زادت" (٢)  
 وهذه الزيادة وسيلة من وسائل الترهيب فما دام الانسان لا يطيق  
 نار الدنيا المخففه والتي هي جزء من تسعه وستين جزءا من نار  
 جهنم فكيف به يوحد عليه فى نار الآخرة وكيف به وهو لا يفتتر عنه هذا  
 العذاب ولا يخفف .

وقد ورد التحذير من النار فى كتابه العزيز بقوله تعالى  
 : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ  
 وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا  
 يُؤْمَرُونَ ) (٣) . ويقول المنذرى قو انفسكم بترك المعاصى وفعل الطاعات  
 وأهليكم بالنصح والتأديب نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب . (٤)  
 وقد ورد ذكر الملائكة تخويفا وتهويلا عن عبد الله قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يُوْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّهَا سَبْعُونَ أَلْفَ  
 زِمَامٍ مَّعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُجْرُونَهَا ) (٥)  
 وهؤلاء الملائكة غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد  
 الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يمتنعون عن قبول الاوامر  
 والتزامها . (٦)

(١) فتح البارى ج ٦ ص ٣٣٠ .

(٢) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٦٢ للمنذرى . دار احياء التراث  
 العربى بيروت

(٣) سورة التحريم آيه (٦)

(٤) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٤ ص ٤٦١ .

(٥) رواه مسلم كتاب الجنه وصفه نعيمها باب جهنم اعادنا الله منها  
 ج ١٧ ص ١٧٩ . وأخرجه الترمذى كتاب صفه جهنم باب ما جاء فى

صفه النار ج ٤ ص ٧٠١ حديث رقم ٢٥٧٣

(٦) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٤ ص ٤٦١ .

وما جعل الله وصف هؤلاء الملائكة الا تخوبفا وتهويلا وقد كشف لنا الحديث عن عدد هؤلاء الملائكة الذين يجرون جهنم كما قال لها سبعون الف زمام (١) مع كل زمام سبعون ملك ولكن فى الحقيقة هم اعظم واكثر كما قال تعالى : ( وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ) (٢) .  
وسائل الترهيب :

(١) مضاعفه نار الآخرة عن نار الدنيا بتسعه وستين جزاء .  
(٢) وصف زبانيه جهنم وانهم غلاظ قساة لا يعصون الله ما امرهم .  
(٣) وصف عظمه جهنم وعدد الملائكة الذين يجرونها .  
وهذه الوسائل وان كانت لا يدرك كنهها وحقيقتها وانما جعلت للتخويف والترهيب فقط . وقد اشار الحديث الى بعد قعر جهنم اعادنا الله منها فعن ابي هريرة قال ( كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً (٣) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْرُونَ مَا هَذَا قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذَا حَجْرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مِنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوَى فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا . (٤)

وقال تعالى فى وصف جهنم : ( بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا . لَاتَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ) (٥)

(١) زمام أى من زم الانوف أى خرقها ويعمل فيها الزمام أى خيط كزمام للناقه لتفادية وتشدد الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٤ ص ٤٦١

(٢) سورة المدثر آية (٣١)

(٣) وجبهه أى سقطة . صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٧١ .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الجمه باب جهنم اعادنا الله منها ج ١٧ ص ١٧٩ وأخرجه الترمذى كتاب صفه جهنم باب ما جاء فى صفه قعر جهنم ج ٤ ص ٧٠٤ حديث رقم ٢٥٧٥ .

(٥) سورة الفرقان آية ( ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ )

ففى الآيه وصف لصوت جهنم وتغيظها اى شبهة صوت غليانها بصوت المغتاط وزفيرة وهو صوت يسمع من جوفة - وايضا ضيقا وهو لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق . وهم ايضا مقرنون اى قرنت ايدهم الى اعناقهم بالسلاسل (١)

هكذا من الآيه والحديث نستنج الشدة التى يعانىها من يلقى فى النار مما يدركه البشر ويلمسونه ترهيبا لهم فقد ورد :

(١) بعد قعرها .

(٢) بيان صوتها وغلظه .

(٣) اشتياقها لهم منذ ان تراهم وهى تزفر .

(٤) ضيقها لبيان شدة الكرب .

(٥) غلت ايدهم وارجلهم فهو ضيق على ضيق ضيق فى جهنم وضيق بتكبيلمهم وتقيد حركاتهم . نسال الله العفو والعافيه .

هذة النار البعيدة القعر المتلهفة الى المكذبين والعصاة والمجرمين لاتشبع ابدا ولا ترضى حتى يضع الجبار عليها رجلة ففى الحديث الذى اخرجه مسلم فى قوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد .

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه ) (٢) فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله بها لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة ) (٣)

(١) الترغيب والتهديب للمنذرى ج ٤ ص ٤٦٣ .

(٢) واخرجه البخارى كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٦٤ . صحيح مسلم باب صفه جهنم اعادنا الله منها ج ١٧ ص ١٨٢ بشرح النووى .

(٣) اثبت اهل السنه والجماعه ان الله قد ما ويدا وغيرها من الصفات التى تناسب جلاله وعظمته مما يحيل التماثل بين صفات الخلق والمخلوق فهى صفات كمال وجلال لايعلم كنهها وحقيقتها . بعكس المشبهة والمعطلة - انظر ص ١٨٢ ج ٧ صحيح مسلم بشرح النووى .

ففى الحديث دلالة على عظم جهنم وسعتها وانها لاتشبع بل هى ملتهفة الى هؤلاء العصاة حتى يضع الجبار قدمه فتقول قط قال النووى " اى يضم بعضها الى بعض فتتجمع وتلتقى على من فيها - وتقول قط اى يكفينى (١) وقد نقل لنا القرآن الاهوال التى يلاقيها اهل جهنم فقال الله تعالى: ( يَا۟نَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرۡصَادًاۙ لِلۡطَّاغِي۟نَ مَثَابًاۙ لِّبٰثِي۟نَ فِي۟هَاۙ اَحۡقَابًاۙ لَا يَذۡوُقُوۡنَ فِي۟هَاۙ بَرۡدًاۙ وَلَا شَرَابًاۙ اِلَّا حَمِيۡمًاۙ وَغَسٰقًاۙ جَزَآءًاۙ وَّفَا۟قًاۙ اِنَّهٗمۡ كَانُوۡاۙ لَا يَرْجُوۡنَ حِسَابًاۙ وَكَذَّبُوۡاۙ بِآيٰتِنَاۙ كَذٰبًاۙ وَكُلُّ شَيْۡءٍ اَحۡصِيۡنَهٗ كِتٰبًاۙ فذُوقُوۡاۙ فَلَٰنَ نَزِيۡدُكُمۡۙ اِلَّا عَذَابًاۙ ) (٢)

وسائل الترهيب :

(١) ان جهنم خلقت ووجدت وكانت مرصادا للطاغين وتترقبهم وينتهون اليها .

(٢) الاقامة الطويلة المتجددة

(٣) لا يذوقون فيها بردا ولا شربا )

(٤) يستثنى من الطعام والشراب فاذا الاستثناء امر وادهى ( اِلَّا حَمِيۡمًاۙ وَغَسٰقًاۙ ) الا الماء الساخن يشوى الحلوق والبطون فهذا البرد والالفساق الذى يغسق . من اجساد المحروقين ويسيل فهذا هو الشراب

(٥) التانيب الميئس من كل رجاء فى تغير او تخفيف (٣) ( فذُوقُوۡاۙ فَلَٰنَ نَزِيۡدُكُمۡۙ اِلَّا عَذَابًاۙ ) (٤)

صفات اهل النار :

(١) انما جعلت للطاغين .

(٢) والمكذبين .

(١) صحيح مسلم ص ١٨٤ ج ١٧ المجلد ٩ بشرح النووى .

(٢) سورة النبأية (٢١ - ٣٠) .

(٣) الظلال يتصرف ج ٩ ص ٣٨٠٧ - مرجع سابق .

(٤) سورة النبأية (٣٠)

وقد اخرج مسلم فى صحيحه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ اَوْثَرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطَهُمْ (١) وَغَرَّتَهُمْ (٢) قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي وَقَالَ لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مَلَأُهَا فَمَا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِيءُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ فَهَنَالِكَ تَمْتَلِيءُ وَيَزْوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْشِئُ لَهَا خُلُقًا) (٣)

هذه صفات اهل النار وقد ظهر من الآيه الكريمة وهذا الحديث انهم المتكبرون والمتجبرون - وهما كلمتان مترادفتين وقد ورد الذم فى القرآن للجبار والمتكبر فقال ( وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ) (٤) ( وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ) (٥) اى متكبرا (٦)

- 
- (١) سقطهم :- اى ضعفاؤهم والمحتقرون منهم .  
 (٢) غرتهم :- اى البله الغافلون الذين ليس بهم فتك وحدق فى امر الدنيا ج ١٨ ص ١٨١ مسلم بشرح النووى وانظر ايضا النهاية لابن الاثير ج ٣ ص ٣٥٥ .  
 (٣) اخرجه مسلم كتاب الجنة باب صفة النار ج ١٧ ص ١٨٢ . واخرجه البخارى كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٦٤ .  
 (٤) سورة مريم آية (١٤) .  
 (٥) سورة مريم آية (٣٢) .  
 (٦) انظر بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ٢ ص ٣٦٠ تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزى بادهى - توزيع دار الباز للنشر والتوزيع - مكة .

وقال تعالى فى صفات اهل النار :

( الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ . قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ) ( ١ )

الصفات المذكورة فى الآية :

( ١ ) الكفر بالله

( ٢ ) مناع للخير .

ويقول صاحب الظلال ذكر هذه النعوت : ( يزيد فى حرج الموقف وشدته فهو دلالة غضب الجبار القهار فى الموقف العصيب الرهيب وهى نعوت قبيحة مستحقة لتشديد العقوبه على من هذه صفته : كفار عنيد - مناع للخير - معتد - مريب )

وسائل الترهيب فى الآية :

( ١ ) فالقياء فى العذاب الشديد : بيانا لمكانة من جهنم التى بدأ الامر بالقائه فيها .

( ٢ ) سعة جهنم وانها متلهفة على لقائهم . ويقول سيد قطب :

( هؤلاء وهم كثرة الكثرة تقذف فى جهنم تباعا وتتكدس ركاما تنادى جهنم هل امتلأت واكتفيت ولكنها تتلمظ وتتحرق وتقول فى

كظة الاكول النهم هل من مزيد ) ( ٢ )

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( صَفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَأَسْيَاتِ عَارِيَاتٍ مُّمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ رُؤْسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ

( ٣ ) سورة ق آية ( ٢٤ - ٣٠ )

( ٤ ) الظلال ج ٦ ص ٣٣٦٥ - مرجع سابق .

الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدَ مِنْ  
مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا (١)

فالحديث فيه ترهيب وتخويف للنساء إذ انهن من اقوى الدوافع التى تدعو الرجال الى الوقوع فى الفاحشة فهن سبب للفتنة وهى غريزة تقوى وتشتد متى تركت بدون ضابط دينى يمنع من الافراط فيها دون قييد ولذا تعرض هذا الحديث لبيان الصفات الممقوته المؤدية الى الوقوع بالمحرم وبالتالي فهى السبب لدخول النساء فى النار .  
وقد نقل النووى هذه الصفات فقال :

- (١) كاسيات اى من نعمة الله وعاريات من شكرها .
  - (٢) وقيل كاسيات من الثياب وعاريات من فعل الخير والاهتمام لاخرتهن والاعناء بالطاعات .
  - (٣) تكشف شيئاً من بدنهما اظهاراً لجمالها .
  - (٤) يلبس ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها . (٢)
- فالنساء هنا تعرضن لسخط الله سبحانه مما استحققن منه العذاب الشديد فقد جمع بين نكران فضل الله وعدم شكره . وبث الفساد فى الارض بالاشارة التى توقع المرء بالفاخشه فقد استخدم من الغريزة الجنسيه فى اشارة الرجال والميل بهم عن طريق الحق ولذا قال فى نهاية الحديث ( مائلات مميلات ) وجاء فى تفسيره عدة اقوال .

- (١) مائلات اى زائغات عن طاعة الله وما يلزمهن من حفظ الفرج وغيرها ومميلات يعلمن غيرهن مثل فعلهن .

---

(١) اخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة باب جهنم اعاذنا الله منها ج ١٧ ص ١٩٠ بشرح النووى وكتاب اللباس باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات ج ١٤ ص ١٠٩ . واخرجه احمد ج ٢ ص ٣٥٦ - ص ٤٤٠

- (٢) ج ١٧ ص ١٩١ بشرح النووى .

(٢) وقيل مائلات متبخرات فى مشيتهن مميلات اكتافهن .  
 (٣) وقيل مائلات الى الرجال مميلات لهم بما يبدين من زينتهن  
 وغيرها. (١) وهى بهذا كانت وسيله الى ايقاع الرجل فى الحرام  
 وبهذا استحققت العذاب المذكور فى الحديث . وقد ورد على اسلوب  
 الترهيب فقال :-

(١) يعذبين بالضرب بالسياط .

(٢) انهن لا يدخلن الجنة .

(٣) بل ولا يجدن ريحها وان كانت ريحها توجد من مسيرة كذا  
 وكذا .

وقد ظهر لنا عظم الذنب " فان كانت موحدة فيحمل الحديث على انها  
 المستحله لفعل الحرام فابتالى لن تدخل الجنة لانها استلحت حراما  
 فكفرت . فتكون كافرة مخلدة فى النار . وان كانت تعلم انها معصيه  
 وانها حرام ولم تستحلها فلا تدخل اول الامر مع الفاشزين والله  
 اعلم " (٢)

وقد خص هذا الحديث النساء واعتنى بهن مما جعلنى انقله واشير  
 اليه وما ذلك الا لانهن سبب للوقوع فى الفتنة فدافع حب النساء  
 دافع فطرى فى النفس البشرية فقد قال الله تعالى ( زَيْنٌ لِلنَّاسِ  
 حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ) (٣)

فالمراة محببة بالفطرة الى الرجل لذا كان عليها ان تلجأ الى  
 الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه وتبتعد عن كل ما يثير عنصر الفساد  
 فى المجتمع المسلم بالمحافظة على نفسها والبعد عن مواطن الريبة .  
 والمعصية سبب لان يطمس على القلب ويرين عيه الذنب وبالتالي

(١) صحيح مسلم ج ١٧ ص ١٩١ بشرح النووى .

(٢) صحيح مسلم ج ١٧ ص ١٩١ بشرح النووى .

(٣) سورة آل عمران آية (١٤) .



يسخط الرب على المرء فيقع في المنهالك كما قال الله تعالى في  
سورة المطففين: ( وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِبِئْسَ الدِّينِ  
وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ  
الْأُولَئِينَ - كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ - كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ  
رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُوبُونَ - ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ - ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي  
كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ) (١)

ومن الآية تبدو لنا نتائج المعصية :-

(١) بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) : والمراد اى غطى على  
قلوبهم ما كانوا يكسبون من الاثم والمعصية والقلب الذى يمرن  
على المعصية ينطمس ويظلم ويرين عليه غطاء كثيف يحجب النور  
عنه ويحجبه عن النور ويفقده الحساسية شيئا فشيئا حتى  
يتبدل ويموت (٢) وفى الحديث عن ابي هريرة (بِئْسَ الدِّينُ الَّذِي  
اُذْنِبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ فَاِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ مِنْهَا صَقَلَ  
قَلْبُهُ فَاِنْ زَادَ زَادَتْ) (٣) هذه النتيجة تكون فى الدنيا لكن فى  
الآخرة له عذاب شديد يتناسب مع عظم المعصية فحجب قلبه يتبعه  
ايضا حجب عن لذة النظر الى العزيز الجبار

ولذا قال الله تعالى فى الآية :

(٢) "إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُوبُونَ" (٤) لقد حجبت قلوبهم المعاصى

(١) سورة المطففين آية ( ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ )

(٢) الظلال ج ٦ ص ٣٨٥٧ . مرجع سابق .

(٣) أخرجه ابن ماجه واللفظ له كتاب الزهد باب ذكر الذنوب ج ٢

ص ١٤١٨ حديث رقم ٤٢٤٤ . وأخرجه احمد ج ٢ ص ٢٩٧ . وأخرجه

الحاكم فى مستدركه وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ج ١ ص ٥٠٤

سكت عنه الذهبى وأخرجه الترمذى كتاب التفسير تفسير سورة

المطففين حديث رقم ٣٣٣٤ ج ٥ ص ٤٣٤ وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٤) سورة المطففين آية (١٥) .

والاشام حجبته عن الاحساس بربها فى الدنيا وطمستها حتى اظلمت وعميت فى الحياة فالجزاء الوفاق ان يحرموا من النظر الى وجهه الله الكريم ويحرمون من السعادة التى تكشف للمؤمنين ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ) ( ١ )

( ٣ ) ( انهم لصالوا الجحيم )

( ٤ ) ومع الجحيم التانيب والزجر والردع المناسب لمقامهم فى العذاب ولذا قال الله تعالى فى الآية : ( ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢) .

ومن صفاتهم وذكر احوالهم الى نقله اخرى تكشف لنا عظم ما يلاقون من السوق الى جهنم زمرا وكيفية حشرهم قال تعالى فى سورة الزمر: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ) ( ٣ ) .

هكذا يساق المتكبرون والمتجبرون والمكذبون بزجر وعنف وقسوة مما يجعلنا نشعر بشدة الموقف فيوقع الرهبة فى النفوس على النحو التالى :

يخبر الله تعالى عن حال الاشقياء الكفار كيف يساقون الى النار .  
 ( ١ ) انهم يساقون سوفا عنيفا بزجر وعنف وتهديد ووعيد كما قال الله تعالى : ( يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ) ( ٤ ) اى يدفعون دفعا . ( ٥ )

( ١ ) سورة القيامة آية ( ٢٢ ) .

( ٢ ) سورة المطففين آية ( ١٧ ) .

( ٣ ) سورة الزمر آية ( ٧١ ) .

( ٤ ) سورة الطور آية ( ١٣ )

( ٥ ) فى الظلال القرآن ج ٦ ص ٣٨٥٧ .

(٢) وقد نقل ابن كثير حالهم عند سوقهم فقال هذا وهم عطاشى ظمأء  
 كما قال الله تعالى: ( وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا  
 وَبُكْمًا وَصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ) (١)

(٣) تانيب الزبانية قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ  
 وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ  
 شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) (٢) شداد غلاظ  
 القوى على وجه التقرير والتوبيخ ولتنكيل (٣) ( أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ  
 مِنكُمْ ) (٤)

ثم اذا ادخلوا نار جهنم كان لهم نزلا عند الله عز وجل زيادة  
 فى التنكيل والترهيب حيث يكون العذاب قد شمل كل شىء من سوقهم  
 الى تعنيفهم الى طعامهم وشرابهم فقال الله تعالى: ( اذْكَرُ خَيْرٌ  
 نُّزُلًا مِّنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ  
 فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا  
 فَمَا لَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ  
 إِلَى الْجَحِيمِ ) (٥)

وفى الحديث عن بن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم قرا هذه الاية ( اتقوا الله حق تقاتة ولا تموتن إلا وانتم  
 مسلمون ) (٦) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لو ان قطرة  
 من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف

(١) سورة الاسراء آية (٩٧)

(٢) سورة التحريم آية (٦)

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٦٥ مرجع سابق

(٤) سورة الانعام آية (١٣٠)

(٥) سورة الصافات آية (٦٢- ٧٨)

(٦) سورة آل عمران آية (١٠٢)

بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ (١).

هذا هو نزلهم وهو حقا لا يدرك حقيقة هذه الشجرة ولا شدة سوءها كما قال سيد قطب ( الناس لا يعرفون رؤوس الشياطين كيف تكون ولكنها مفزعة ولاشك ومجرد تصورها يثير الفزع والرعب فكيف اذا كانت طلعا اكلون ومالئون منه البطون فاذا شاکت حلوقهم وهى كرؤوس الشياطين وحرقت بطونهم وهى تنبت فى اصل الجحيم ولا تحترق (٢)

ومما يوقع الرعب ايضا ان هذه الشجرة لا تحترق بل هى من نوع الجحيم ذاته فقد يظن ظانا ان هذه الشجرة تحترق وتنتهى لكنها على العكس مما يزيد فى هذا الرعب فهى تنبت فى اصل الجحيم وفى شرابهم يقول تعالى: ( ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ) (٣) .

" ويقول سيد قطب: ( فاذا طلوعوا الى برد الشراب يطفى اللهب فانهم لشاربون عليها ماء ساخنا مشوبا غير خالص ) (٤) وقال الله تعالى: ( وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ) (٥)

قال المنذرى . الصديد ما يسيل من جلود اهل النار . (٦)

وقال الله تعالى: ( وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ) (٧) الحميم الماء الحار الشديد الغليان فاذا شربوه قطع امعاءهم لفرط حرارته . والامعاء

(١) رواه الترمذى كتاب صفة جهنم باب ماجاء فى صفة شراب اهل

النار ج ٦ ص ٧٠٦ . وقال حديث حسن صحيح . واخرجه ابن ماجه

كتاب الزهد ج ٢ ص ١٤٤٦ حديث ٤٣٢٥

(٢) فى ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٩٨٩ .

(٣) سورة الصافات آية (٦٧) .

(٤) تفسير فى ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٩٨٩ .

(٥) سورة ابراهيم آية (١٧)

(٦) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٧٨ .

(٧) سورة محمد آية (١٥)

جمع معى وهى ما فى البطون من الحوايا ( ١ )

وقد يظن المرء ان هناك نهايه للعذاب ولو بالموت فيكون اهل النار رمادا فهذا قد يظن انه راحه او يخطر على البال انه النايه ولكن هيهات فقد اوضحت الايات الكريمه دوام العذاب فلا يفترن ولا يخفف فضلا عن الخلود الابدى فى جهنم

قال الله تعالى: ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ) ( ٢ )

وسائل الترهيب من الاية :

( ١ ) فلا تخفيف ولاموت حتى الرحمه بالموت لاتنال .

( ٢ ) ( وهم يصطرخون فيها ) وهم المنبوذون فى جهنم وصوت الانابه

والاعتراف والندم اذن ولكن بعد فوات الآوان . ( ٣ )

وقال محمد بن الحسين رحمه الله ( ٤ ) وقد ذكر الله عز وجل فى

كتابه اهل النار الذين هم اهلها يخلدون فيها ابدا ( ٥ ) فقال عز وجل ( إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ) ( ٦ ) .

وقال الله تعالى: ( لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ) ( ٧ )

( ١ ) تفسير فتح القدير ج ٥ ص ٣٤ مرجع سابق .

( ٢ ) سورة فاطر آية ( ٣٦ )

( ٣ ) فى ظلال القرآن ج ٦ ص ٢٩٨٩

( ٤ ) سبق ترجمته ص ٣٤٣ .

( ٥ ) كتاب الشريعة ص ٤٠٠ للامام ابى بكر محمد بن الحسين الاجرى -

تحقيق محمد حامد الفقى - مطبعة السنه المحمديه ١٣٦٩ هـ

( ٦ ) سورة الاحزاب آية ( ٦٤ - ٦٥ )

( ٧ ) سورة فاطر آية ( ٣٦ )

ففى القرآن شواهد تدل على ان اهل النار فى العذاب الشديد ابدا ( )  
 ( لا يفتَرِدُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ) (١)  
 النار ضابط عن الشر والوقوع فيه :

هكذا نرى من هذه الآيات والاحاديث مجتمعه كيف خوف الله بها عبادة المؤمنين وحذرهم من الوقوع فى معاصيه المؤديه الى موارد الهلاك .  
 والتى اراد الله سبحانه وتعالى انقاذنا منها فقال الله تعالى :  
 ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ) (٢) فهذا التحذير يسقط حجيتهم عند الله يوم القيامة  
 ويقيم الحجة عليهم بان الله اخذ عليهم العهد والميثاق بانه ربهم  
 وخالقهم والمستحق للعبادة وحدة فان عذبهم فبظلمهم وذنوبهم وان  
 عفى عنهم فلفضله وكرمه ولذا كان فى القرآن عرض دائم للعذاب  
 والتخويف ( ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ) (٣) من ذكر النار وما فيها  
 وما ذلك التخويف والترهيب الا لضبط النزوات والشهوات التى قد  
 تورد الفرد مورد الهلاك فاذا استعرضنا هذا العذاب وتخيلنا احاطته  
 بنا ووقوع العصاة بين يدي الله سبحانه : (الَّذِينَ كَفَرُوا  
 مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ) (٤) اذا تصورنا ذلك كله كان ذلك رادعا وضابطا  
 لقوة الشهوة التى قد تورد الفرد مورد الهلاك نسال الله العفو  
 العافيه .

- (١) سورة الزخرف آية (٧٥) .
- (٢) سورة الاعراف آية (١٧٢) .
- (٣) سورة الزمر آية (١٦) .
- (٤) سورة النور آية (٥٧) .

## الفصل الثامن

الحب في الله والبغض في الله

## (الحب فى الله والبغض فى الله)

قد يكون من أهم الضوابط التى تضبط سلوك المرء ذلك الجانب النفسى والشعور الداخلى الذى يخالج حنبات النفس دافعا لها ومحرضا لسلوك معين الا وهو الحب او البغض ان كلا منهما يمكن ان يكون دافعا ويمكن ان يكون ضابطا لسلوك الفرد فيمنع المرء من الاندفاع وراء شهواته ورغباته ولذا فقد نبه صلى الله عليه وسلم المسلمين الى هذا الشعور فى الحديث الشريف عن انس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : ( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) (١) فهذا توجيه وتهذيب لهذه المحبة وصرفها لمستحقها فلا يعلو حب الزوجه او الوالد او الولد على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تصرف المحبة كلها الى الله عزوجل فى الحديث عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْذَفَ فِي النَّارِ ) (٢)

هكذا ضبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاعر الفرد المسلم ووجهها التوجيه الصحيح .

وسوف استعرض فى هذا الفصل أهمية هذا الضابط لسلوك الفرد ودوره التربوى وكيف يكون الحب او البغض مهذب وضابط لسلوك الفرد .

(١) أخرجه البخارى كتاب الايمان باب حب الرسول من الايمان ج ١ ص ١٠ وأخرجه مسلم كتاب الايمان باب وجوب محبة الرسول ج ٢ ص ١٥ من حديث انس .

(٢) أخرجه البخارى كتاب الايمان باب حلاوة الايمان ج ١ ص ١٠ - ١١ وأخرجه مسلم كتاب الايمان ج ٢ ص ١٣ بشرح النووى - وأخرجه الترمذى كتاب الايمان ج ٥ ص ١٥ حديث ٢٦٢٤ - وأخرجه احمد ج ٣



## الحب فى الله والبغض فى الله

وستعرض فى هذا الفصل :-

اولا : تعريف كل من الحب والبغض فى اللغة والاصطلاح .

ثانيا : انواع الحب وتشمل :-

١ - حب الله عزوجل .

يشمل دوافع حب الله - ضوابط لمحبة الله عزوجل .

ثمرة حب الله .

٢ - حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- دوافع لمحبتة صلى الله عليه وسلم .

ب - ضوابط لمحبتة صلى الله عليه وسلم .

٣ - محبة الاخوة فى الله .

١ - دوافع هذا الحب .

ب - ضوابط الحب فى الله .

ثالثا : فضل الحب فى الله ويشمل :

١ - الآيات القرآنية

ب - الاحاديث النبوية

رابعا : علامات محبة الله .

محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

خامسا : مراتب الحب فى الله :

١ - حب من احب الله

ب - حب الصديقين والشهداء .

ج - حب سائر الخلق ممن التزم بسنته صلى الله عليه وسلم .

مراتب البغض فى الله : وتشمل

---

١ - المخالف للمسلمين

ب - المخالف فى العقيدة .

ج - المخالف فى العمل كالمبتدع .

د - صاحب المعاصى .

## الْحُب :-

---

الحب نقىض البغض والحب الوداد والمحبة كذلك الحب بالكسر واحبه فهو محب وهو محبوب - والحباب بالكسر المحابة والموادة - وتحبب اليه تودد . وحببت اليه الامر جعلته يحبه وهم يتحابون : اى يحب بعضهم بعضا وحب الى هذا الشئ يحبه حبا . (١)

## الحب فى الاصطلاح :-

---

١ - المراد بالحب فى الله ان يكون المسلم عميق الايمان بربه سريع الامتثال لشريعته قوى الصلة لخالقه يحب ما احب الله ويبغض ما يبغضه الله . له سلطان على هواه لا يشرك به احد ولا يؤثر على مرضاته والد ولا ولد . وهو بذلك عبد ربه واسير حبه وواقف عند حدوده ، ومن هنا ينطلق بنور حبه فيحب كل عبد يحب الله ويعبده ويماحب كل من يؤمن بالله ويوحده ويجد قى قلب كل مسلم روضة من الايمان تجذبه اليه وتربطه به . (٢)

وقيل فى الحب فى الله :-

٢ - ( وهو ان يحب المرء لا يحبه لذاته بل الى حظوظه الاخرويه منه كمن احب استاذه لانه يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله ) . (٣)

- 
- (١) لسان العرب - اعداد وتصنيف يوسف خياط دار لسان العرب بيروت ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩٢ بتصرف .
- (٢) السلوك الاجتماعى فى الاسلام حسن ايوب دار البحوث العلمية ص ٢٩٥ .
- (٣) موعظة المؤمنيين من احياء علوم الدين / محمد جمال القاسمى الدمشقى تحقيق عاصم بهجه البيطار دار النفائس ص ١٩٨ .

وقال ابو البركات فى مخطوطته :-

المحبة هى ميل الطبع الى الشئ لكونه لذيذا (١)

وقيل المحبة تعلق القلب بين الهمة والانس فى البذل والمنع (٢)

**البغض فى الله :-**

البغض فى اللغة والبغضة نقيض الحب وبغض الرجل بغاضه اى صار  
بغیضا . وبغضه الله الى الناس تبغیضا فابغضوه اى مقتوه .

والبغضاء والبغاضة جميعا شدة البغض وكذلك البغضة بالكسر

والمبغضة تعاطى البغضاء والتباغض ضد التحاب (٣)

**البغض فى الاصطلاح :-**

اعلم ان كل من أحب فى الله لا بد ان يبغض فى الله فانك ان  
احببت اناسا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد ان  
تبغضه لانه عاصى لله وممقوت عند الله . ومن احب لسبب فالبضرورة  
يبغض لذه (٤) هذا هو التلازم الظاهر من الحب والبغض فالحب قد  
يكون دافعا للبغض فحب الله دافعا لبغض كل من يبغض الله ولذا  
قال تعالى : ( لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ

(١) مخطوطة السير والسلوك الى ملك الملوك عبد الرحمن بن احمد

الجامى ابو البركات رقم ١٣٩٧ / ١٣٩٨ مجموعة رقم ٤٧ . مكتبة

الحرم المكى ص ١٨ .

تعريف بالمخطوطة : وهى تبحث فى نواحي نفسية كالمراقبة

والتقوى والمحبة وغيرها وقد اجاد فيها المؤلف لكى تكون

وسائل تقرب الى الله عزوجل والسير فى مرضاته .

(٢) منازل السائرين . مرجع سابق ص ٧١ .

(٣) لسان العرب ج ٧ ص ١٢١

(٤) موعظة المؤمنین من احياء علوم الدين ص ١٩٩ وانظر ايضا

الاحياء ج ٢ ص ١٦٦ .

اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ  
 أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ (١)

وقال تعالى ( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ  
 إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا  
 بِكُمْ وَبَدَأ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ  
 وَحَدُّهُ ) (٢)

وفى هذا ما يدل على ان مجرد بغض القلب لا يكفى بل لا بد مع ذلك من الاتيان بلازمه وهو معادات فيه اى اظهار العداوة بالفعل بالجهاد لاعداء الله والبراءة منهم والبعد منهم باطنا وظاهرا (٣)

وفى الحديث الشريف عن ابى امامه (٤) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ( مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ ) (٥)

(١) المجادلة آية : ٢٢ .

(٢) الممتحنة آية : ٤ .

(٣) تيسر العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد للشيخ احمد بن

عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب المكتب الاسلامى ط ٥ ص ٤٨٢ .

(٤) ابى امامه الباهلى هو صدى بن عجلان بن وهب ويقال ابن عمرو ابو

امامة الباهلى الصحابى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن

عمر وعثمان وعلى وابى عبيده بن الجراح وغيرهم . وقال ابو

عبيده هو آخر من مات من الصحابة بالشام وقال احمد بن محمد بن

عيسى صاحب تاريخ حمص مات سنة احدى وثمانين بجمص وقال ابو

عبيد وغير واحد مات سنة ٨٦ وقيل غيره - تهذيب التهذيب ج ٤ ص

٤٢٠ . وانظر اسد الغابة ج ٥ ص ١٦ .

(٥) اخرجه ابو داود واللفظ له كتاب السنة باب الدليل على زيادة

الايمان ونقصانه ج ٤ من حديث رقم ٤٦٨١ واخرجه الترمذى كتاب

القيامه باب ٦٠ حديث رقم ٢٥٢١ ص ٦٧٠ ج ٤ وقال حديث حسن

واخرجه احمد ج ٣ ص ٤٣٨ - ٤٤٠ .

والحديث شاهد على التلازم بين الحب والبغض فى الله اذ به كمال  
الايمن .

وذلك ان مدار الدين على اربعة : قاعدتان باطنتان وقاعدتان  
ظاهرتان :-

- . فالباطنتان : الحب والبغض .
- . والظاهرتان : الفعل والترك .

فمن استقامت نيته فى حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل  
مراتب الايمان ( ١ )  
اولا : حب الله

حب الله اعلى درجات الحب قال تعالى ( قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ  
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) ( ٢ )

محبة الله عزوجل اصل المحاب المحموده واصل الايمان والتوحيد ( ٣ )  
حكم محبة الله :-

هى واجبة على الاعيان . وقال تعالى : ( يَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ) ( ٤ )  
وقال تعالى : ( وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ) ( ٥ ) فمن احب الله وقدم  
محبتة وخشيته على كل شىء فانه مع الله وقد حصل له القرب الكامل  
منه وهو قرب المحبين وكان الله معه ( ٦ ) قال تعالى ( اِنَّ اللَّهَ مَعَ  
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ) ( ٧ )

( ١ ) الايمان : خصائصه علاماته ثمراته / القسم الثانى احمد عز الدين

البيانونى / دار السلام ص ١٧٣ .

( ٢ ) سورة آل عمران آية : ٣١ .

( ٣ ) اغاثة اللفهان ج ٢ ص ١٠٤ .

( ٤ ) سورة المائدة آية ك ٥٤ .

( ٥ ) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

( ٦ ) بهجة قلوب الابرار ص ٢٣٠ - ٢٣٢ .

( ٧ ) سورة النحل آية : ١٢٨ .

وقد وصفها ابن القيم بقوله :-

( هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون والى عملها شمر المتسابقون وعليها تفانى المحبون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقره العيون وهي روح الايمان والاعمال . وهي التي يتوصل بها الى مقاعد صدق عند عزيز مقتدر ) ( ١ )

وقال ابن قدامه : ( من عرف ربه احبه ومن احب غير الله الا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره عن معرفته ) ( ٢ )  
دوافع حب الله :-

اولا :

اولى دوافع محبة الله هي لانه سر الوجود ولانه سبب كل موجود فان الله هو الموجد لنا من العدم .  
قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) ( ٣ )

والمراد بالرب اى ولى النعم التي رباكم بها واسبغها عليكم من نعم ظاهرة وباطنة ومنها وجودكم بعد العدم . ( ٤ )  
ثانيا :-

ارسال الرسل ليهدو البشر الى خير الدنيا والاخرة . قال تعالى : ( رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ) ( ٥ )

- (١) تيسير العزيز الحميد بتصرف ص ٤٦٧ .
- (٢) مختصر منهاج القاصدين ص ٣٨٨ .
- (٣) سورة النساء آية : ١ .
- (٤) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٦ .
- (٥) سورة النساء آية : ١٦٥ .

والمراد البلاغ والانذار لكى يهتدوا الى الجنة وتنقطع حجة الخلق على الله . (١)

ثالثا :-

وقال الغزالي وحب الله تاره يكون لصدق الرجاء فى مواعيده وما يتوقع فى الآخرة من نعيمه (٢) فحبه رغبة فيما عنده من نعيم الجنة التى فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت . (٣)

رابعا :-

ومن الدوافع لحب الله حب الله لذاته كما قال الغزالي وتارة لذاته لا لأمر آخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها . (٤)

وبعد ان استعرضنا هذه الدوافع لحب الله لا بد ان اشير الى ضوابط لمحبهه تعالى لكى يسمو بهذا الحب الى اعلى مراتبه .

**ضوابط لحب الله :-**

لكى نحب الله ينبغى ان يكون هذا الحب قد اخضع سلوك الفرد الى ضوابط مع البارى بما تتناسب والاداب الخاصة مع الله عزوجل .

١ - عدم تشبيه حبه او تمثيله :-

فالله تعالت صفاته وتقدست ذاته ينبغى ان يحب حبا يسمو على ان يكون لحبه مثل او شبيه .

وهذا ضابط لتهديب العقيدة والاقرار بعقيدة التوحيد والاقرار بالذات والصفات فلا يتخذ له شبيه فى الحب ولا مثل فينطلق الانسان بهذا الحب الى اعلى درجاته .

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٦ .

(٢) الاحياء ج ٢ ص ١٦٥ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٦ .

(٤) الاحياء ج ٢ ص ١٦٥

٢ - عدم عصيانه تعالى :-

فان العصيان دلالة على عدم المحبة وينسب الى الشافعى قوله .  
تعصى الاله وانت تظهر حبه

هذا محال (١) فى القياس بديع

لو كان حبك صادق لاطعته

ان المحب لمن يحب يطيع (٢)

٣ - الاستقامة :-

على هديه تعالى واتباع انبيائه كما قال تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ  
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) (٣)

فيظهر من ذلك ان من ضوابط محبته تعالى الاتباع وعدم الابتداء  
لذا قال تعالى على لسان نبيه : ( فاتبعونى ) فاتباعه صلى الله  
عليه وسلم موجب لمحبة الله عزوجل وقد جمع ضوابط المحبة قوله  
تعالى ( قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ  
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ  
إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ  
بِأَمْرِهِ ) (٤)

هذا امر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان  
يتوعد من احب اهله وعشيرته وامواله ومساكنه او احد هذه الاشياء  
على الله ورسوله وجهاد فى سبيله وقد خوطب بهذا المؤمنون فى آخر  
الامر ( فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ) اى ما يحل بكم من عذاب  
الله ( وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ) اى الخارجين عن طاعة الله  
وهو تنبيهه على ان من فعل ذلك فهو من الفاسقين فهذا التشديد  
ووعيد عظيم ولا يخلص منه الا من صح ايمانه فخلص لله سره واعلانه

(١) هذا محال فى القياس : اى هذا قياس مبتدع جديد مخالف للطباع

والاستقراء التام الذى بينه فى البيت الثانى .

(٢) الآداب الشرعية ج ١ ص ١٧٣ - ١٧٤ بتصرف .

(٣) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٤) سورة التوبة آية : ٢٤ .



ويفيد ايضا ان المحبة الخالصة تستلزم تقديم مرضى الله على هذه الثمانية كلها . (١)

فيظهر من هذا ان من ضوابط محبته سبحانه وتعالى عدم تقديم كل محبوب على حب الله من مال او ولد او نفس او نحوها مما هو من دوافع المحبة المعروفة كما قال تعالى ( زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْإِتْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمُنَاقِبِ ) (٢)

ثمرة حب الله عزوجل :-

فاذا احب المرء ربه اثمرت هذه المحبة :-

اولا : صرف العبادة كلها لله فلا يشرك معه فيها احدا على الاطلاق فالعبادة والخشوع والتذلل من مظاهر الولاء لله والحب لله عزوجل .

ثانيا : حب من احب الله : وانما يحب من سواه تبعا لمحبته كما يحب الانبياء والمرسلين والملائكة والصالحين لما كان يحبهم ربه سبحانه .

ثالثا : كراهية ما يكره .

رابعا : ايثار مرضاته على ما سواه والسعى فيما يرضيه ما استطاع وترك ما يكره . (٣)

ثانيا : حب انبياء الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم :-

حب انبياء الله وحب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا ايضا من اظهر مظاهر الولاء والحب لله لان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عبادة . فاذا احب انبياء الله واوليائه لاجل قيامهم بمحوبات الله لا لشيء آخر فقد احبهم لله لا لغيره . (٤)

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٠ . (٢) سورة آل عمران آية : ١٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد بتصرف ص ٤٧٦ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٩ مرجع سابق .

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جعل حبه من كمال الايمان ففي الحديث الشريف عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١)

فدل هذا الحديث على ان من لم يكن الرسول احب اليه من ولده ووالده بل ومن نفسه فهو من اصحاب الكباثر ان لم يكن كافرا . (٢)  
وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف - عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ( المرء مع من احب ) (٣) .  
هذا الحديث فيه الحث على قوة محبة الرسل واتباعهم بحسب مراتبهم والتحذير من محبة فدهم فان المحبة دليل على قوة اتصال المحب بمن يحبه ومناسبته لآخلاقه واقتدائه به فهى دليل على وجوب ذلك وهى ايضا باعثة على ذلك . (٤)

فقوله صلى الله عليه وسلم : ( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ) اى لا يحصل له الايمان الذى تبرأ به ذمته ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول احب اليه من اهله وولده والناس اجمعين .  
فمن لم يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من اصحاب الكباثر ان لم يكن كافرا . (٥)

- 
- (١) متفق عليه أخرجه البخارى كتاب الايمان باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايمان ج ١ ص ١٠ واللفظ له . ورواه مسلم كتاب الايمان باب وجوب محبة الرسول ج ٢ ص ١٥ بشرح النووى ، وأخرجه ابن ماجه مقدمه ٩ ج ١ ص ٢٦ باب فى الايمان .  
(٢) ابطال التنديد باختصار شرح التوحيد حمد بن على بن حمد بن عتيق مكتبة الرياض الحديثة ط ٤ عام ١٣٨٩ هـ - ص ٩٧ .  
(٣) سبق تخريجه ص ٣٤٤ .  
(٤) بهجة قلوب لابرار ص ٢٣٠ مرجع سابق .  
(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٣ .

إذا مما سبق يمكن أن نستنتج دوافع محبته صلى الله عليه وسلم  
وسائر الرسل :-

دوافع محبة محمد صلى الله عليه وسلم :-

١ - أولى هذه الدوافع أن نحبه لكونه نبيا ورسولا ومحبتنا له  
ايمانيه اذ هو سبب كل خير به انقذنا الله من الشرك والضلال  
الى نور اليقين والايمان .

٢ - ومن دوافع محبتنا له صلى الله عليه وسلم جهاده بنفسه وافتدؤه  
هذا الدين بكل شيء حتى ظهر هذا الدين .

فكما ان محبته صلى الله عليه وسلم لها دوافع ايمانية فبحكم  
ايماننا يمكن ان نضع لهذه المحبة قيودا وضاوابط تستنتج من منهج  
الاسلام ومن قواعده العظمى :-

إذا فالضاوابط هي :-

١ - تصديق القول بالعمل والمتابعة له والا فالمدعى كاذب فالقرآن  
بين ان المحبة التي فى القلب تستلزم العمل الظاهر قال تعالى  
( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) (١)

وقد نفى الله سبحانه صفة الايمان عن تولى واعرض عن طاعة  
الرسول قال تعالى : ( وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ  
يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ) (٢)

فتبين ان هذا من لوازم الايمان والمحبة لكن كل مسلم لا بد ان  
يكون محبا بقدر ما معه من الاسلام . (٣)

٢ - ان تكون محبة الرسول فى الله من حيث محبة المحبوب تتعدى الى  
كل ما يحب فحب الله يجعلنا نحب رسله .

(١) آل عمران آية : ٣٢ .

(٢) سورة النور آية : ٤٨ .

(٣) تيسير العزيز الحميد بتصرف ص ٤٧٣

- ٣ - أن تكون هذه المحبة وفقا لشريعة الله ومنهاجه .
- ٤ - الاعتدال في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صرف له الدعاء أو جزء من العبادة فهذا صرف للعبادة لغير مستحقها . والله تعالى يقول : ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ) (١) أي يعبدوه وحده لا شريك معه أحد .
- ٥ - أن محبته صلى الله عليه وسلم عبادة يتقرب بها الى الله من حيث أنه حب وكل عبادة تابعة لقوله صلى الله عليه وسلم وفعله فلا افراط في محبته ولا تفريط .
- ٦ - ومن ضوابط محبته صلى الله عليه وسلم .
- اعتقاد أنه بشر مخلوق فهذا ضابط للالتزام الانساني بحبه صلى الله عليه وسلم لا بعبادته .
- هذه الضوابط التي اشترت اليها فيها ضبط لسلوك الفرد بحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا يرفع صلى الله عليه وسلم عن قدره بأن يساوى مع البارئ الخالق جل وعلا ولا ينقص بحيث يساوى مع سائر البشر .
- ومن احب الله ورسوله اشمر هذا الحب حب من يحب الله ورسوله فتقوم الاخوة في الله .
- تعريف الاخوة في الله :-**

ويقصد بها ( كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده ) (٢) فاذا هذا الحب يتسامى عن أي رابطة من روابط الدم أو الجنس أو الوطن أو نحوه بل هو يسمو ويعلو الى أن يصل بالانسان الى أن يحب شخصا لا يرتبط معه بنسب ولا برحم ولا غيره وإنما رباطه الوحيد هو الايمان الذي جعلهما يتحابان ويتقاربان .

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(٢) الاحياء ج ٢ ص ١٦٤ .

فلا تتحقق المحبة فى الله الا اذا كانت خاليه من الغرض ايجابيه فى الخير فمن احب شخصا لكونه مسلما صالحا ادى بالمتحابين الى النهوض ببعضهم والتواصى بالحق والصبر والتعاون على الخير والذكر والدعوة والعلم فتلك محبة فى الله (١)

وقد حث الاسلام على الاخوة بالله لما لها من عظيم النصرة للدين والتقرب الى رب العالمين ففى الحديث الشريف عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ إِمْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَتْ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ) (٢)

وشاهد هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : ( وَرَجُلَانِ تَحَابَا فِي اللَّهِ فَاجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ) .

والمراد بالجمع انهم اجتمعوا على ذكر او فعل خير مما يقرب الى الله حتى اذا انحرف احدهما او عمل مالا يرضى الله تفرقا وانتهت هذه الرابطة اذا تحولت عن مسارها الصحيح .

( وبناء على هذا فجميع عباد الله الصالحين يحبهم المسلم ويواليهم وجميع عباد الله الفاسقين يبغضهم ويعاديهم ) (٣)

ان الحب فى الله من اعظم ما يقرب الى الله فان الله تعالى شكور يعطى المتقرب اعظم باضعاف مضاعفة مما بذل ومن شكره تعالى ان يلحقه بمن احب وان قصر عمله قال تعالى ( وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ) . (٤)

(١) جند الله ثقافة واخلاقا / سعيد حوى ص ٢٤٧ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٢ .

(٣) منهاج المسلم ابو بكر الجزائرى ص ١٥٥ .

(٤) سورة النساء آية ٦٩ .

وقال صلى الله عليه وسلم من حديث انس : ( المرء مع من احب ) (١)  
 فالحديث مفسر للآية اذ ان من احب لله فهو مع هؤلاء النبيين  
 والصديقين والشهداء والصالحين ولذا قال انس رضى الله عنه انه  
 فرح بهذه المرتبة ففى الحديث الشريف عن انس رضى الله عنه : ( اَنْ  
 رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ وَمَاذَا  
 أَعَدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ فَقَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسُ فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا بِقَوْلِ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسُ فَلَنَا أَحِبُّ  
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِيبِ  
 رِيَاسَتِهِمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ ) (٢)

فهذا الحديث دافع الى الحب فى الله ليرتقى المحب الى درجة  
 محبوبه .

فكل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا فى علم او فى خير  
 فانما احب فى الله ولله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه (٣)  
**ثانيا : حب الله :**

ان اسمى الدوافع للحب فى الله حب الله فاذا كان هذا هو الهدف  
 من الحب فى الله فقد تتحقق محبة الله سبحانه وتعالى لمن هذه صفته  
 ولذا ففى الحديث الشريف ( عن معاذ قال سمعت الرسول صلى الله عليه  
 وسلم يقول قال الله عزوجل : ( حققت محبتى للمتحابين فى وحققت محبتى  
 للمتواصلين فى وحققت محبتى للمتزاورين فى وحققت محبتى للمتبادلين  
 فى ) (٤)

(١) سبق تخريجه ص ١٦٣ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب بدء الخلق باب مناقب عمر بن الخطاب ج ٥  
 ص ١٤ - ١٥ .

(٣) الاحياء ج ٢ ص ١٦٦ .

(٤) اخرجه احمد ج ٥ ص ٢٢٩ - ٢٣٢ ، واخرجه مالك فى موطئه كتاب  
 الشعر ص ٥٩٢ واخرجه الحاكم فى مستدركه ج ٤ ص ١٦٩ وقال وهذا  
 اسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واللفظ له . وقد سكت  
 عنه الذهبى .

فمن احب لله فقد استحق بذلك حب الله وهو اهم دافع يعمل الانسان من اجله ومن الحديث الشريف يمكن بان نقول ان حب الله هو الدافع للتأخي وللتزاور والتناصر ولذا ففى الحديث الشريف عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ( اِنَّ رَجُلًا زَارَ اَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَاُرْصِدَ لَهُ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا اتَى عَلَيْهِ قَالَ اَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ اُرِيدُ اَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرَبَّهَا (١) قَالَ لَا غَيْرَ اِنِّي اَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ : فَاِنِّي رَسُوْلُ اللهِ وَالْيَكْ يَبَانُ اللهُ قَدْ اَحْبَبَكَ كَمَا اَحْبَبْتُهُ فِيهِ ) (٢)

فدافع هذه الزيارة هو مجرد الاخوة فى الله ولهذا تحققت محبة الله سبحانه وتعالى لهذا الرجل الذى احب فى الله .  
ثالثا : قوة حب الله :

( فاذا قوى هذا الحب كان دافعا لحب من يقوم بحق عبادة الله من علم او عمل واثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن او تادب بآداب الشرع ) (٣)  
رابعا : الاجتماع على الذكر :

روى مسلم فى صحيحه عن ابى سعيد الخدرى قال : ( خَرَجَ مَعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقِهِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ مَا اَجْلِسُكُمْ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ قَالَ اللهُ مَا اَجْلِسُكُمْ اِلَّا ذَاكَ قَالُوا وَاللهُ مَا اَجْلَسْنَا اِلَّا ذَاكَ قَالَ اِنِّي لَمْ اَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ اَحَدٌ يَمْنُزِلْتِي مِنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيَّ حَلْقَةً مِنْ اَصْحَابِيهِ فَقَالَ مَا اَجْلِسُكُمْ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهُ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْاِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا قَالَ اللهُ مَا

(١) هل لك عليه من نعمة تربها : اى تقوم باصلاحها وتذهب اليه بسبب ذلك .

(٢) اخرجه مسلم كتاب البر باب فضل عيادة المريض ج ١٦ ص ١٢٤ بشرح النووى .

(٣) الاحياء ج ٢ ص ١٦٥ مرجع سابق - بتصرف .

أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ قَالَ أَمَا بَرَأْتَنِي لَمْ  
 اسْتَحْلَفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ  
 يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ (١)

فهؤلاء اجتمعوا على ذكر الله وطاعته ليس بينهم دنيا تجمعهم  
 الا الاخوة فى الله والحب فى الله وذكر الله جل وعلا لذا حصل لهم  
 الرضى من الرب والمباهاة بهم فى الملا الاعلى .  
**خامسا: البذل فى الله :**

( قد يسمو الحب فى الله الى ان يكون دافعا للبذل فى سبيل  
 الله فقد يكون بترك بعض الحظوظ دون بعض كمن يشاطر محبوبه ماله  
 او نحوه لانه لا تعرف درجة المحبوب الا بمحسوب يترك فى مقابلته فمن  
 استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه  
 شيئا) (٢)

هذه الدوافع التى تجعل المرء المسلم يسارع الى مشاطرة  
 المسلمين الحب فى الله والتقرب اليهم لكن هذه المحبة وهذه المودة  
 لا بد ان يكون لها ضوابط لى تتفق مع الشريعة الاسلامية وتسمو عن  
 كونها حبا غريزيا فتصل الى ان تصبح حبا اختياريا ضابطا للشهوات  
 من الانحراف وراء الاهواء .  
**ضوابط الحب فى الله**

اولا : " ان تكون لله وفى الله بحيث تخلو من شوائب الدنيا وعلائقها  
 المادية بالكلية ويكون الباعث عليها الايمان بالله لا غير." (٣)  
 فهو بهذا يضبط هذه الرابطة بين الاخوين فى الله فلا تبني على

(١) اخرجه مسلم كتاب الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى  
 الذكر ج ١٧ ص ٢١ بشرح النووى .

(٢) الاحياء ج ٢ ص ١٦٦ .

(٣) منهاج المسلم / ابو بكر الجزائري ص ١٥٥ .



المال أو الجاه أو السلطان أو أى غرض من اغراض الدنيا مما هو معروف تعلق النفس به كما قال تعالى : ( زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَثَابِ ) ( ١ ) .

فهذه المحبة غريزية ولها دوافعها الخاصة كما اشارت اليها الآية الكريمة وهذه المحبوبات ليست محرمة شرعا وما كانت كذلك لا يعتبر حبا فى الله لأنها من الشهوات أما ما كان خالصا لله ليس فيه دافع غريزى أو حظ دنيوى فهو الحب فى الله .  
ثانيا : عدم اتباع الهوى :

فان اتبعه فقد اتبع هواه قال تعالى ( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ) ( ٢ ) وهو محبة النفس ويتبع ذلك بغضها فان من الناس من يكون حبه وبغضه واراادته وكراهيته بحسب محبة نفسه وبغضها لا بحسب محبة فى الله ورسوله وبغض فى الله ورسوله ، وهذا نوع من الهوى . فالحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغوض ووجد واراادة وغير ذلك فمن اتبع ذلك بغير امر الله ورسوله فهو ( مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ) بل قد يتمادى به الأمر الى ان يتخذ الهه هواه ( ٣ )

لذا حذر تعالى نبيه داود عليه السلام من اتباع الهوى فقال تعالى ( وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ) ( ٤ )

( ١ ) سورة آل عمران آية : ١٤ .

( ٢ ) سورة القصص آية : ٥٠ .

( ٣ ) شذرات البلاطين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين ج ١ ص ٣٥٤

تحقيق محمد حامد الفقى / مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ

( ٤ ) سورة ص آية : ٢٦

( فأخبره ان من اتبع هواه اضله ذلك عن سبيل الله - وسبيل

الله هو هداه الذى بعث به رسوله وهو السبيل اليه (١)

ثالثا : " ان تكون على تقوى وادب والا فان هذه الاخوة لن تستمر (٢)

قال تعالى: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ) (٣)

فتقوى الله ضابط لسلوك الفرد بل هو اكبر ضابط لجميع

سلوكه وهو المهدب الوحيد لكل اخلاق الشعوب والامم فتقوى

الله هو زمام الامر للانسان فى سره وجهره .

رابعا : عدم تقديم محبته على محبة الله ورسوله قال تعالى : ( قُلْ

إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا

أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ

يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ) (٤)

وذلك لكى لا تستغرق محبة هذه الاشياء فى النفس البشرية

فتصرفه عما هو اعظم من محبة الله ورسوله .

خامسا : ان يكون هذا الحب والبغض موافقا لامر الله ورسوله بحيث

يكون مأمورا بذلك الحب او البغض ولا يكون متقدما فيه بين

يدى الله ورسوله ( ٥)

قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) (٦)

وقال تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) (٧)

(١) شذرات البلاطين ج ١ ص ٣٥٦ مرجع سابق .

(٢) جند الله ص ٢٤٨ .

(٣) الزخرف آية : ٦٧

(٤) سورة التوبة آية : ٢٤ .

(٥) شذرات البلاطين ج ١ ص ٣٥٦ . لشيخ الاسلام ابن تيميه .

(٦) سورة الحجرات آية : ١

(٧) سورة آل عمران آية : ٣١

فان اتباعه عنوان محبته ومحبة من احب الله واحب الرسول  
عنوان محبة الله ورسوله فحب صحابته وحب الانتصار من كمال  
الايمان - وبغض الكفرة والمنافقين واعداء الدين من تمام  
كمال الايمان .

سادسا : ومن ضوابط هذه المحبة ان يحب لآخيه ما يحب لنفسه كما روى  
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ  
حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ) (١) والمراد ما يحب لنفسه  
من الخير فيكون معه كالنفس الواحد (٢)

وجاء فى الحديث الصحيح عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير  
يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( مثل  
المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه  
شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ) (٣)

وفى هذا ضابط لاندفاع الانسان وراء شهواته ورغباته وراء حبه  
لنفسه بالذات فقد يدفع حب الانسان لنفسه لان يضر بآخيه المسلم او  
يستولى على حقوقه لكن الاسلام عندما ضبط هذه الرغبة فجعل المسلمين  
كالجسد الواحد بل وارتقى الى ان جعل المسلم يحب لآخيه ما يحبه  
لنفسه من الخير والمباحات فهو بهذا يقضى على نزعات النفس  
ورغباتها بحب الظهور والتملك الغير عادى .

وقال ابن الصلاح : ( وقد يعد هذا من الصعب الممتنع وليس كذلك  
اذ القيام بذلك يجعل بان يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاومه  
فيها احد بحيث لا ينقص على اخيه شيئا من النعمة عليه وذلك سهل  
على القلب السليم وانما يعسر على القلب الدغل . (٤)

(١) أخرجه البخارى باب من الايمان ان يحب لآخيه ما يحب لنفسه ج ١

ص ١٠ .

(٢) شذرات البلاطين ج ١ ص ٣٥٦ مرجع سابق .

(٣) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم

وتعاضدهم ج ١٦ ص ١٣٩ - ١٤٠ . بشرح النووى - وأخرجه احمد

واللفظ له ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٤) فتح المبين ص ١٣٦ .

والمقصود من هذا الحديث ائتلاف قلوب الناس وانتظام احوالهم

وهذه هي قاعدة الاسلام الكبرى التي اوصى الله بها بقوله تعالى :

(وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (١)

فاذا احب المؤمن لسائر المؤمنين ان يكونوا مثله في الخير احسن اليهم وامسك اذاه عنهم فيحبونه فتسرى المحبة بين الناس فيسرى الخير بينهم ويرتفع الشر فتنتظم امور معاشهم ومعادهم وتكون احوالهم على غاية السداد ونهاية الاستقامة . (٢)

هكذا عامل الاسلام المسلمين ووجه نداءه الى القلوب ليقوم بعملية التفريغ من الحقد والحسد والكراهية ويملاه بالايمان والحب والخير فلا يبقى فارغا تعبئه الاحقاد وساوس الشيطان بل يمتلئ بالحب بالله عزوجل وحب الرسول صلى الله عليه وسلم والحب لسائر المؤمنين .

فضل الحب في الله :

ويجدر بنا ان نسوق هنا بعض الايات والاحاديث الدالة على فضل الحب في الله والبغض في الله وان كانت قد ذكرت ضمنا فيما سبق لكن التفصيل عنها وابرازها افضل :

قال تعالى : ( فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ) (٣)  
وقال تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ) (٤)  
وقال تعالى : ( وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ) (٥)  
وقال تعالى : ( الْإِخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ) (٦)

(١) آل عمران آية : ١٠٣ .

(٢) فتح المبين ص ١٤٧ بتصرف .

(٣) سورة المائدة : ٥٤

(٤) آل عمران آية ك ٣١ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(٦) الزخرف آية : ٤٣ .

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الحب في الله وبين منزلته عند الله عزوجل .

### الحديث الاول :

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( **إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيُّنَ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي الْيَوْمِ أَظْلَمَ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي** ) (١)

الحديث الثاني :

عن معاذ بن جبل (٢) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عزوجل : ( **الْمُتَحَابِّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَغِيبُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ** ) (٣) .

فيرتقى المحب في الله عزوجل مرتبة قريبة من الله عزوجل يغبطهم عليها افضل الخلق وهم الانبياء والشهداء .

(١) اخرجه مسلم واللفظ له كتاب البر باب فضل الحب في الله ج ١٦ ص ١٢٣ بشرح النووي واخرجه مالك كتاب الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله ص ٥٩٠ .

(٢) معاذ بن جبل : بن عمرو بن اوس عائذ بن عدى بن كعب ابن عمر الانصاري الخزرجي ابو عبد الرحمن المدني اسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة وشهد بدرا والعقبة والمشاهد قال قتاده عن الحسن جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي - ومعاذ وزيد بن ثابت وابو زيد . قال ابو مسهر مات سنة سبع عشرة وقال يحيى بن معين مات سنة سبع عشرة او ثمان عشرة . - تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٨٧ .

(٣) اخرجه الترمذي كتاب الزهد باب ٥٣ ص ٥٩٧ ج ٤ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

## الحديث الثالث :

ومن فضل الحب فى الله ان المحب يجد حلاوة الايمان فى الحديث الشريف عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( ثَلَاثٌ مَنْ كُنَ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْذَفَ فِي النَّارِ ) (١)

وقد ذكرت فيما سبق عدة احاديث فيها فضل الحب فى الله بما يغنى عن الاعداد لها ومن هذه الايات والاحاديث مجتمعه نستنتج قاعدة الاسلام العظمى التى بنيت عليها العلاقات الفردية والجماعية لكى نخرج بمجتمع سليم معافى من الضغائن والاحقاد يدا واحدة وقلبا ينبض بالحب والوفاء لكل من نرتبط معهم برباط الدين لنحقق الخيرية التى اشار اليها القران الكريم بقوله تعالى : ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ) (٢) ولنحقق الاعتصام بمنهج الوحدة بقول الله تعالى : ( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ) (٣) ونحقق الاخاء بقوله : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ) (٤) فلا تحاسد ولا تباغض بل المسلم للمسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

(١) اخرجه البخارى واللفظ له كتاب الايمان باب حلاوة الايمان ص ٩ ج ١ وكتاب الادب باب الحب فى الله ج ٨ ص ١٧ وقال وحتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما . واخرجه مسلم كتاب الايمان ج ٢ ص ١٣ بشرح النووى - واخرجه الترمذى حديث ٢٦٢٤ ج ٥ ص ١٥ وقال ابو عيسى هذا الحديث حسن صحيح - واخرجه احمد ج ٣ ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) آل عمران آية : ١١٠ .

(٣) آل عمران آية : ١٠٣ .

(٤) سورة الحجرات آية : ١٠ .

هكذا اراد الله ان يخرج للعالم اجمع من اصغر المجتمعات افضل  
وامثل النماذج للتآخي والتحاب بدل التنافر والتنافر .

وخير نموذج لذلك الاوس والخزرج اعداء حروب طاحنة وويلات ذاقت  
القبيلتان مرها فلما اتى هذا الدين الف بينهم فاصبحوا اخوة في  
الله قال الله تعالى في معرض الامتنان بهذه النعمة الجزيلة ( وَاللَّهِ  
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ اَنفَقْتَ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا مَّا اَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ  
اللَّهَ اَلْفَ ) (١)

ويجدد بناء ونحن نتلمس الطريق الى الوحدة والى الحب فى الله  
ان نعرف وسائل الحب والبغض بالله وذلك لتمام البحث :  
وسائل اظهار الحب فى الله :

اولا اللسان :

وذلك بالنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر محاسنه  
واخفاء عيوبه والثناء عليه والدعاء له حيا وميتا .  
وان يكف عنه لسانه الا بخير فلا يذكر له عيب فى غيبته او حضوره  
ان يتلطف بآمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ولا يماريه فى الكلام  
ان يدعوه بأحب اسمائه اليه ويذكره بالخير فى الغيبة والحضور ان لا  
يسترسل فى نصحه فيقلقه ولا ينصحه امام الناس فيفضحه ان يدعوه له  
ولاولاده ومن يتعلق به بخير ما يدعوه لنفسه حيا وميتا حاضرا  
وغائبا (٢)

ثانيا : بالفعل وتشمل :-

اولا : المواساة بالمال فيواسى كل منهما اخاه بماله ان احتاج  
اليه ومثاله صدق ووفاء ابى بكر رضى الله عنه للنبي صلى

(١) سورة الانفال آية : ٦٣ .

(٢) منهاج المسلم ص ١٥٥ - ١٥٩ بتصرف وانظر ايضا الاحياء ج ٢ ص

١٨٦ وما بعده بتصرف .

الله عليه وسلم حتى فداه بكل ماله ففي الحديث عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة ألفا وستي الف درهم فاتانى جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال ان هذا والله قد فجعم بماله مع نفسه فقلت كلا يا ابا تترك لنا خيرا كثيرا فعمدنا إلى احجار فجعلتهن في كوه البيت وكان أبو بكر يجعل أمواله فيها وغطيت على الاحجار بثوب ثم جئت فأخذت بيده فوضعتها على الثوب فقال اما اذا ترك هذا فنعم قالت والله ما ترك قليلا ولا كثيرا) (١)

ثانيا : ان يفديه بنفسه ان احتاج الى ذلك ومن اعظم امثلة الفداء على بن ابي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم ففي الحديث عن ابي عباس رضي الله عنهما قال: (شئى على نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم البسه بردة وكانت قريش تريد ان تقتل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يرمون عليا ويرونه النبي صلى الله عليه وسلم وقد لبس بردة وجعل على رضى الله عنه يتضور فاذا هو على فقالوا انك للثيم انك لتتضور وكان صاحبك لا يتضور ولقد استنكرناه منك) (٢)

ثالثا : ان يتفقد احواله ويقضى حوائجه وان يسأل عنه بعد كل ثلاث ايام فان كان مريضا عادة وان كان مشغولا اعانه وان كان ناسيا ذكره وان يوسع له اذا جلس .

(١) اخرجه الحاكم فى مستدركه ج ٣ ص ٥ - ٦ وقال هذا حديث صحيح على

شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الذهبى (م) .

(٢) اخرجه الحكم فى مستدركه ج ٣ ص ٤ وقال هذا حديث صحيح الاسناد

ولم يخرجاه وقال الذهبى حديث صحيح .



رابعاً : ان يعفو عن زلاته ويتغاضى عن هفواته ويستتر عيوبه ويحسن به

الظن وان ارتكب معصيه سرا او علانية فلا يقطع مودته ولا يهمل اخوته ويبقى على نصيحته ومواصلته وموعظته .

وقال الغزالي هذا افضل لانه الطف وفيه رفق ولين ومداومة على العمل وهو يفضى الى الرجوع والتوبة . وهو ايضا فقه لان الاخوة عقد يوجب الوفاء به ومن الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال (١)

خامساً : ان يفى له فى الاخوة فيثبت عليها ويديم عهدا وان مات نقل

المودة الى اولاده ومن والاه من اصدقائه محافظة على الاخوة ووفاء لصاحبها فقد اكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم عجوزا دخلت عليه فى الحديث الشريف عن عائشة قالت : جاءت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عندى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم \* من انت قالت انا جثامه المزنيه فقال بل انت حسانه المزنيه كيف انتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بابى انت وامى يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال فقال : انها كانت تاتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان . (٢)

سادساً : ان لا يكلفه ما يشق عليه وان لا يحمله ما لا يرتاح معه اذا

اصل الاخوة كانت لله فلا ينبغي ان تحول الى غيره من جلب منافع الدنيا او دفع المضار . (٣)

(١) منهاج المسلم ص ١٥٥ - ١٥٩ - الاحياء ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢) اخرجه الحاكم فى مستدركه كتاب الايمان ج ١ ص ١٦ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد اتفقا على الاحتجاج برواة هذا الحديث فى احاديث كثيرة وليس له عله - سكت عنه الذهبى .

(٣) منهاج المسلم ص ١٥٥ - ١٥٩ - الاحياء ج ٢ ص ١٦٧ .

## وسائل اظهار النقص :

### الوسيلة الاولى باللسان :

" اما بكف اللسان عن مكالمته ومحادثته . وفى ذلك نقص لقدره واهانة بحقه لسبب فسقه " على الا يزيد الهجر عن ثلاث لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا تحل الهجرة فوق ثلاثة ايام فان التقيا فسلم احدهما على الآخر فرد عليه الآخر السلام اشتركا فى الاجر وان ابى الآخر ان يرد السلام برىء هذا من الائم وباء به الآخر .. ) (١) وفى الحديث عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل للمؤمن ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام ( ٢ ) واما بمحادثته لكن التغلظ له بالقول .

ثانيا : بالفعل :

ويشمل قطع السعى فى اعانته .

وهذا اذا كان ممن يسعى عليه وينفق عليه كما فعل ابو بكر مع مسطح اذا كان احد رعاياه فلما ظهر منه الفسوق فى اتهام عائشة حلف ابو بكر على نفسه الا ينفق عليه ثم لما تاب اعاده الى نفقته وقال تعالى فى ذلك : ( وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفُضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَّا تَحِبُّوا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) (٣) فكفر ابو بكر عن يمينه واعاد مسطح الى نفقته .

(١) اخرجه الحاكم فى مستدركه ج ٤ ص ١٦٣ وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجوا . قال الذهبي صحيح .

(٢) اخرجه مسلم كتاب البر باب تحريم الظن والتجسس والتنافس ج ١٦ ص ١١٨ .

(٣) سورة النور آية : ٢٢ .

وقد يكون بالسعى فى اسائته و افساد مآربه وهذا فيما يفسد عليه طريق المعصية فقط . (١)

وفى الحديث الشريف عن انس بن مالك رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أَنْصِرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصِرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصِرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ ) (٢)

فنصرتة هنا عن الوقوع بالمآثم والمحرمات فقوله صلى الله عليه وسلم ( تأخذ فوق يديه ) دلالة على منعه من الوقوع فى المعصية بآى وسيلة كانت .

الا انا نلاحظ ان كلا من الحب فى الله والبغض فى الله يندرج زيادة ونقصانا بحسب القرب والبعد عن الله ولذا نقول ان هناك مراتب يمكن ان يندرج تحتها كل من الحب او البغض فى الله .  
اولا : مراتب الحب فى الله :

اعلاها حب من احب الله كالانبياء كل حسب مرتبته و اعلى هذه المرتبة حب محمد بن عبد الله وهكذا الاقرب فالاقرب .  
ثانيا : حب الصديقين والشهداء والانصار لكل الانبياء كحب صحابه رسول الله وحب حوارى عيسى الذين ناصروه وحب مؤمن آل فرعون وغيرهم من انصار الانبياء جميعا وقد اشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى حب الانصار وحث على حبهم فى الحديث عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ ) (٣)

(١) الاحياء ج ٢ ص ١٦٧ وانظر موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين تاليف / محمد جمال الدين القاسم ص ١٩٩ .

(٢) اخرجه البخارى كتاب المظالم باب اعن اخاك ظالما او مظلوما ج ٣ ص ١٧٨ .

(٣) اخرجه البخارى كتاب الايمان باب علامة الايمان حب الانصار ج ١١

وكذا بالنسبة للبغيض في الله يندرج تحته امور منها .  
١ - المخالف للمسلمين :

خلاف العقيدة وهذا واجب بغضه كالكافر . وهذا اما ان يكون محاربا وهذا يستحق القتل والارقاق قال تعالى ( وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ) (١)

واما ان يكون غير محارب وهو الذمي وهذا لا يجوز ايذائه الا بالاعراض عنه والتحقيق له وترك مخالطته ومعاملته ومؤاكلته لقوله تعالى : ( لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ) (٢)  
وقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ) (٣)

٢ - المبتدع :

ويستحب اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه .

وان كان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته بل يؤثر في زجره فترك الجواب اولى وكذا كفا الاعانة عنه والاحسان اليه (٤)

فعلى هذا فطريقة زجره تختلف باختلاف حالة فان كان مما يؤثر فيه هذا جدر في التشنيع بالكلام وتحقير الفعل وشدة الزجر كان هذا اجدر في معاملته وان لم يكن الا التحقير بترك الكلام معه وعدم الاحسان اليه فهذا اولى بمعنى ان كلا يعامل بحسب ما يضبط سلوكه ويردعه عن بدعته .

(١) سورة البقرة آية : ١٩٠ .

(٢) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

(٣) سورة الممتحنة آية : ١ .

(٤) الاحياء بتصرف ج ٢ ص ١٦٩ .

وهذا يحتاج من الداعية الى التبصر بسلوك الفرد ودوافعه التي من أجلها أصبح مبتدعا فان الداعية صاحب بصيرة واعية استطاع ان يصل الى وسيلة يضبط بها سلوك كل من شذ عن منهج الله عزوجل ويصلح نفسه .

٣ - صاحب المعاصي :

وهو احد ثلاثة :

او : من اذاه يتعدى كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق .  
ثانيا : الذى يهوى اسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم حتى وان كان ذلك فى رضاهم ويقتضى هذا الاهانة ولاعراض والمقاطعة وترك السلام .

ثالثا : الذى يفسق بنفسه بشرب خمر أو ترك واجب ويجب منعه فى وقت مباشرته أن صودف فيجب منعه بما يمتنع به . اما ان فرغ منه فالتلف بدعوته واظهار مفسده واسداء النصيحة له (١) كل هذه وسائل تمنعه من الوقوع فى المعصية مرة أخرى .فهذه معصية مقتصرة على نفسه ومع هذا فلا بد من اصلاحه وذلك لانه لبنة من لبنات هذا المجتمع المسلم فمجتمعنا كل لا يتجزأ وينبغى أن يبقى كذلك وان كانت اصابة الجزء اسهل وايسر من الكل وذلك لسرعة فصله والقضاء عليه اذا تحقق فساده على أنه ينبغى أن يساهم الداعية فى علاج هذا الفرد ومحاولة القضاء على ما يظهر منه من فساد مهما كان ومن معاصى بشتى الوسائل والطرق ولكن فليبدأ بالاسهل فالاسهل وقد افردت فصلا خاصا فى موضوع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ومما سبق يتضح لنا ان المحبة يمكن ان تتفرع وكذا البغض قد يتسع ويضيق حسب الحب او البغض فى الله فاذا نقول المحبة انواع فهى اما ان تكون نافعة واما ان تكون ضاره .  
فالمحبة النافعة تشمل :-

١ ( محبة الله .

٢ ( محبة فى الله

٣ ( محبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب المعصية .

كمحبة الزوجة وما ملكت اليمين فانها معينة على ما شرع الله من النكاح وملك اليمين من اعفاف الرجل نفسه واهله فلا تطمع نفسه الى ما سواها من الحرام (١) قال تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا بِهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) (٢)

فهذا الزواج ضابط لدافع حب النساء فهو يصرف هذه الرغبة فى طريقها الصحيح لى لا يقع بالحرام .

اما المحبة الضارة فهى التى وجه الاسلام ضوابطه اليها ليضبط الانسان من سلوكه ويضعف من رغبته فيها حتى تتلاشى وتنتهى ويحل محلها محبة نافعة فلذا فالمحبة الضارة ثلاثة انواع :-

١ - محبة مع الله :-

وهى اصل الشرك والمحاب المذمومة . لانها تجلب لصاحبها ما

يضره من الشقاء والالم والعناء . (٣)

فضابط محبة الله توحيد العقيدة والاقرار بالوحدانية وان الله واحد احد وانه اصل كل موجود وسبب الوجود والنعم وعندئذ يستشعر المرء ان محبة غير الله مع الله كفر وشرك ينبغى ان ينصرف عنه ويلجأ بمحبته كلها الى الله سبحانه وتعالى .

٢ - محبة ما يبغضه الله :-

وهذه المحبة تتمثل بحب ما يبغض الله ورسوله كحب اعداء الاسلام

(١) اغائة اللفهان ج ٢ ص ١٠٤ .

(٢) سورة الروم آية : ٢١ .

(٣) اغائة اللفهان ج ٢ ص ١٣٩ .

والذين آذوا محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم او آذوا الانبياء عليهم السلام قبله وحب الكفرة واعوانهم وايضا تشمل حب المحرمات الظاهرة والباطنة والخاصة لنفسه او المتعدية لغيره فهذا كله حب لما يبغضه الله عزوجل .

فهذه المحبة الضابط لها الاقتداء بالانبياء السابقين قبلنا كيف ابغضوا ابنائهم فى الله كنوح وكيف ابغض ابراهيم الخليل اباه فى الله (١) كما ان القدوة فى الصحابة لها اثرها فى ضبط النفس فالمجتمع الماجن المحب للخمرة وللزنا وسائر المحرمات منذ نزول آية الخمر يكتفى هذا المجتمع ويصبح انقى امة ومجتمعنا عرفه التاريخ فيها هو عمر بن الخطاب يقول : ( انتهىنا انتهىنا يا رب ) عند قول الله تعالى : ( إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ \* وَإِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) (٢) هذه الآية الناطقة فى تحريم الخمر هى ايضا ضابط لتلك الشهوة المحرمة التى كانوا قد اعتادوا عليها وجعلوا حبها يخامر عقولهم وشهواتهم وفجاة وامتثالا لأمر الله تهرق الخمر فى شوارع المدينة الى غير عودة لهذه المحبوبة اللعينة التى طالما كانت سببا للبغضاء والصد عن الذكر وعن الصلاة . وكانت سببا لاىذاء الغير من ارتكاب المحرمات كالقتل والسرقة والزنا فهى ام الخبائث ولا ريب وبترها من جذورها يقضى على كل ما يتصل بها من محرمات .

٣ - محبة ما تقطع محبته عن محبته الله تعالى او تنقصها :-

هذا ما ساقه ابن القيم فى اغاثة اللفهان فمراده من هذا ان هذه المحبة قد تحول بين اخلاص الحب لله وفى الله وقد تصرف الانسان

(١) وقد اشرت الى محنة نوح وقصته مع ابنه وكذا قصة ابراهيم وتبراه من ابيه فى موضوع الاقتداء بالانبياء والذين معهم . ص ١٤١

(٢) سورة المائدة آية : ٩٠ - ٩١ .

الى حب شيء قد يقلل من حب الله من المحبة الطبيعية التي هي في النفس البشرية غريزة خلقية كحب المال وحب الزوجة وحب الوالد مما يستغرق عليه جميع حواسه كالرجل الذي دخل حديقته فرأى فيها الثمار وطيب المال قال الله تعالى على لسانه : ( فَقَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ) (١) فإذا به المال الى الكفر وانكار الساعة فهذا الحب قد ضبطه القرآن بأنه خسارة عليه في الدنيا والآخرة فعلى هذا يمكن ان نقول ان الحب في الله ضابط نفسى لسلك الفرد ومؤثر عظيم في المجتمع المسلم .

((فاذا أحب كل أحد من الناس لباقيهم ان يكونوا مثله في الخير أحسن اليهم وأمسك إذاه عنهم فيحبونه فتسرى المحبة بين الناس فيسرى الخير بينهم ويرتفع الشر فتنتظم أمور معاشهم ومعادهم وتكون أحوالهم على غاية السداد ونهاية الاستقامة وهذا غاية المقصود من التكاليف الشرعية والأعمال البدنية والقلبية وهذا انما يتولد من سلامة الصدر من الغل والغش والحسد فان الحسد يقتضى ان يكره الحاسد ان يفوقه أحد في الخير او يساويه فيه لانه يحب ان يمتاز على الناس بفضائله والايمان يقتضى ان يشاركوه فيما أعطى من الخير من غير ان ينقص عليه شيء )) (٢)

هكذا عامل الاسلام المسلمين ووجه نداءه الى القلوب ليقوم بتطهير القلوب من الحقد والحسد والكراهية ويملاها بالحب والخير فلا يبقى فارغا تعبئه أحقاد ووساوس الشيطان ، بل يمتلىء بالحب لله عزوجل وحبه للرسول صلى الله عليه وسلم والحب لسائر المؤمنين الأقرب فالأقرب من أنصار وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة الكهف آية : ٣٥ .

(٢) فتح المبين ص ١٤٧ .



تم بحمد الله الجزء الاول ويليه الجزء الثانى  
واوله احترام الاداب العامة فى المجتمع المسلم